الإدارة الديمقراطية
للتعددية الدينية والثقافية

لبنان من منظور عربي ومقارن

جامعة القديس يوسف

كرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار

الإدارة الديمقراطية
للتعددية الدينية والثقافية

لبنان من منظور عربي ومقارن

اشراف

أنطوان نصري مسرّه

2018

المحتويات

مقدمة

الباب الثالث

الوحدة في التنوع:
التربية والذاكرة الجماعية المشتركة

الباب الربع

المواطنية والعيش معًا في العالم العربي

مؤتمر جامعة الأزهر، القاهرة 2/28 – 2017/3/1
مؤتمر جامعة سيدة اللويزة، 2017/7/1
مؤتمر الجامعة الأميركية في القاهرة ومركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، 23–2017/4/24
مؤتمر باكو، ازربادجيان

الباب الخامس

الحوار والمصالحة وقيم لبنان التأسيسي

برامج كرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار

مقدمة

1

خطة اليونسكو العشرية: 2013– 2022

اربع اولويات لبنانية في التفاعل الثقافي*

أنطوان نصري مسرّه

تُشكل "خطة اليونسكو للعشرية الدولية حول التفاعل الثقافي" (2013-2022) مرجعًا ذات أهمية قصوى وبرنامجًا تطبيقيًا، بخاصة اذا بُذل جُهد في سبيل تكامل الاعمال على المستوى الدولي وتحديد الاولويات المحلية.

صادقت الجمعية العامة للامم المتحدة على القرار 104/67 بعنوان: "تفعيل الحوار والوفاق والتعاون بين الاديان والثقافات في خدمة السلام" مُعلنة العشرية الدولية للتقارب بين الثقافات (2013-2022) وكلفت منظمة اليونسكو بالتنفيذ. تهدف العشرية الى اعتماد سياقات تُحقق الوحدة في التنوع او، بتعبير افضل، الوحدة في ما يعلو على التباين (بند 3).

التحدي الاكبر عالميًا في مطلع القرن الحادي والعشرين، وبشكل اكثر الحاحًا في العلاقات بين الاديان، مواجهة حروب مُتسترة بتسميات دينية وبريئة ظاهرًا حول التعصب والتطرف والاصولية...

نعيش في زمن المتلاعبين بالغرائز والمكبوتات وإنتشار المنافقين، حسب تعبير القرآن حيث يّذكر النقاق اكثر من عشرين مرّة. كتب ريمون آرون Raymond Aron سنة 1944 في مؤلفه بالفرنسية: **الانسان ضد الطغاة:** "الاساطير، الاديان سوف يتم التلاعب بها علميًا من قبل زعامات خبيثة"[1].

الهدف من الخطة العشرية "مواجهة التلاعب بالدين". يتطلب ذلك ابحاثًا واعمالاً اكثر التصاقًا بالمجتمع وبدون إجترار سجالات معروفة حول العلمانية والفصل بين الديني والدنيوي وممارسة حوار مجاملة وتجميلي بين الاديان.

---

* مداخلة 3rd World Forum on Intercultural Dialogue
May, 18-19, 2015 ،Baku-Azerbaïj**an**

[1]. Raymond Aron, *L'homme contre les tyrans*, Paris, éd., de la Maison française, 1944, 402 p., p. 21.

توجهات لبنانية وعربية

ما هي الاولويات للبنان الذي يقع في منطقة حيث السلام في خطر او "هش" ؟ يستخلص "كرسي اليونسكو لدراسة الاديان المقارنة والوساطة والحوار" في جامعة القديس يوسف من الخطة العشرية التي أقرها المجلس التنفيذي لليونسكو في دورته الـ 194 تنفيذًا للقرار 37/ت1 اربعة توجهات اولوية لبنانيًا وبشكل عام عربيًا:

1. **برامج عملانية:** تُشدد الخطة على ضرورة المبادرات العملية على المستويات المحلية والوطنية والعالمية، مع ضرورة رصد الفعالية والتأثير مما يوفر حظوظًا في الاقتداء ومسارًا ذات استدامة (بنود 3، 6، 17، 23، 27 وملحق 2). تتطلب المبادرات شروطًا في الابداع وتحديدًا للاولويات وللجهات المستهدفة (بند 7، 22) واعتماد مؤشرات نوعية وكميّة تتعلق "بفعالية المبادرات" وتعبئة "القياديين الدينيين والروحيين" والمجتمع المدني عامة (بند 26، 28، 31) واللجان الوطنية لليونسكو (بند 28) بالترادف مع "ارادة صلبة في العمل" (بند 6).

2. **التخصيب التربوي:** أبرز الفئات المستهدفة المعلمون والشباب، بخاصة من خلال تأهيل المعلمين (ملحق 2) ومراجعة مضامين برامج التعليم المدرسية والجامعية في سبيل "نقل قيم ومواقف وسلوكيات وانماط حياة" (بند 16) وتنظيم مباريات (بند 34) ومشاركة الشباب في برامج في الحوار الديني والثقافي وإكتسابهم مؤهلات ثقافية تفاعلية (ملحق 2).

3. **اعادة الاعتبار لموجب الاحترام:** ينتشر اليوم خطاب حول الحوار والتفاعل الثقافي في حين ان مفهوم الاحترام في تراجع في العائلة والمدرسة والعمل والعلاقات بين الاديان وفي الحياة العامة مما يؤدي الى ضعف القدرة على إدارة المجتمع وضعف السلطة الناظمة للشأن العام autorité في بلدان تعتبر ديمقراطية.

تُشدد عشرية اليونسكو للسنوات 2013–2022 تكرارًا على الكرامة الانسانية والاحترام المتبادل. لا تقتصر هذه القيم على إعتماد مسافات فردية في العلاقة مع الآخر بل تستند على "معرفة ايجابية ومتبادلة للتنوع الثقافي والاتني واللغوي والديني" (بند 11، 16، ملحق 2).

الاحترام والكرامة هما ذات قيمة دستورية في لبنان، بموجب المادتين 9 و10 من الدستور. يعني الاحترام إعتبار الآخر ذات قيمة ذاتية وجدير بالتقدير. اما الكرامة فتفترض الاقرار بهذه القيمة في العلاقات بين الافراد والمجتمع وفي الحياة العامة. يستتبع ذلك ضرورة "بناء إطار تعددي لقيم مشتركة" (بند 6، 10، 11، 16) في حين ان مفهوم الاخوة في الثلاثية: حرية، مساواة، اخوة، هو اليوم الاكثر تهميشًا. التنوع والاحترام والكرامة هي في صلب الخبرة اللبنانية والدستور اللبناني، بخاصة في المادتين 9 و10. ورد في "اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي" سنة 2001: "ان الدفاع عن التنوع الثقافي واجب اخلاقي لا ينفصل عن إحترام كرامة الانسان".

يتوجب اليوم التركيز، بخاصة في لبنان، ليس على مجرد القيم المشتركة وسرد لائحة بهذه القيم، بدون فاعلية في واقع السلوك، بل التركيز على تراتبية القيم بخاصة في الفكر الاسلامي اليوم. ما فائدة لائحة تراكمية لقيم مشتركة بين زوجين اذا كانت الزوجة رحومة او تسعى الى نسيان الاساءة واذا كان الزوج حاقدًا؟ تُشكل تراتبية القيم في الاسلام: الرحمة، العدل، التقوى، لا اكراه في الدين... ضرورة اولوية اليوم.

4. **ذاكرة سلام للمستقبل:** ترتكز ضرورة "السلام الدائم"، حسب خطة اليونسكو، على "شبكة مترابطة ودقيقة من القيم والمواقف والسلوكيات" (بند 4). يُستخلص من ذلك الحاجة الى "ادراك ملموس للتاريخ" (بند 12). ما العمل في هذا السياق في سبيل "حماية الاجيال القادمة من مآسي الحرب؟" (بند 4). تتطلب ثقافة الذاكرة مراجعة مضامين الكتب، بخاصة كتب التاريخ، في سبيل تنزيهها من اساطير ومواقف مسبقة ومُنمطات (بند 17 وملحق 2). يضاف الى ذلك كتب التعليم الديني والثقافة الدينية.

يُشكل احياء "الثقة في مجمل النسيج الاجتماعي" (بند 3) هدفًا اساسيًا للبنان مع خلق "جو من الثقة والامان المتبادل" (بند 8). يطرح ذلك إشكالات مؤسسية دعمًا لدولة الحق والادارة الديمقراطية للتنوع الديني والثقافي. يطرح ايضًا هذا المسار اشكالات في علم النفس وعلم النفس التاريخي في الشخصية الجماعية اللبنانية التي تعاني من إدراك مجتزأ للبنان ال 452،10 كم^2 وللشأن العام وللمواطنية البانية للدولة.

الحاجة ايضًا الى رمزية اماكن للذاكرة. لا تقتصر هذه الاماكن على المتاحف الوطنية (بند 2/25)، بل تشمل "الاماكن العامة والاحداث المميزة" (بند 15). وتشمل في لبنان بشكل خاص المتاحف البلدية عن تاريخ اللبنانيين، وليس مجرد تاريخ لبنان الدبلوماسي

والتاريخ السياسي وتاريخ الحكام، وذلك في انجازاتهم المشتركة ومعاناتهم وقيمهم التأسيسية التي نُسجت طيلة قرون. يُنفذ برنامج في هذا السياق على المستوى البلدي بالاضافة الى تنظيم مباراة تشمل العديد من المدارس في سبيل تنقية الذاكرة واستكشاف القواعد المؤسسية والقيمية للبنان الكبير والميثاقية اللبنانية.

***

وضع "كرسي اليونسكو لدراسة الاديان المقارنة والوساطة والحوار" في جامعة القديس يوسف، انطلاقًا من خطة اليونسكو للعشرية، برنامجًا للسنوات 2015–2019.

الباب الأول

جامعة القديس يوسف

كرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار

2019-2015

1

جامعة القديس يوسف
كرسي اليونسكو لدراسة الاديان المقارنة والوساطة والحوار
برنامج 2015–2019

ما هي اليونسكو؟

أنشئت منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في 1945/11/16.

ليس الاهم، بالنسبة لهذه الوكالة المتخصصة للامم المتحدة، تشييد قاعات للدراسة في البلدان المنكوبة او تأهيل مواقع التراث العالمي.

الهدف الذي اعتمدته اليونسكو هو أشمل وأوسع طموحًا: بناء السلام في نفوس البشر من خلال العلم والثقافة والتواصل.

***

ما هي كرسي اليونسكو؟

أنشئت كراسي اليونسكو بموجب برنامج خلال المؤتمر العام لليونسكو في تشرين الثاني 1991.

تشمل الكراسي الجامعية أبرز حقول المعرفة التي ترتبط باختصاصات اليونسكو وهي التربية وحقوق الانسان والتنمية الثقافية والبيئة والعلوم الاساسية والتطبيقية والتواصل...

تهدف اليونسكو، من خلال هذه الكراسي، الى تنشيط إنشاء شبكات اقليمية ومحلية ودولية تضم جامعات ومؤسسات تعليم عال وجمعيات ومؤسسات في سبيل شراكة أعمق بين الموارد وتبادل المعارف والقدرات والسلوكيات.

***

ما هي شبكة UNITWIN؟

تُشكل شبكات UNITWIN وكراسي اليونسكو برنامجًا مشتركًا أُنشِئَ سنة 1992.

تعني UNITWIN (University Twinning and Networking) التوأمة والتشبيك الجامعي.

أنشأت برامج UNITWIN دائرة التعليم العالي ED/HED التي تُمارس مسؤولية الادارة والمتابعة.

شبكات البرامج مُتخصصة بموضوع مُحدد او إقليمي وتجمع جامعات وكراسي اليونسكو وجمعيات وباحثين وفاعلين إجتماعيين.

***

اي اولويات في التواصل الثقافي؟

تُشكل "خطة عمل اليونسكو للعشرية الدولية في سبيل التواصل الثقافي: 2013–2022 الوثيقة الابرز التي تتطلب جهودًا، خاصة لتحديد اولوياتها في كل بلد وتكاملها على المستوى الدولي.

يكمن التحدي الاكبر في مطلع القرن الواحد والعشرين في تجنب إستعادة حروب دينية تحت ستار تسميات دينية وبريئة ظاهرًا او إختزالية من خلال مُصطلحات التعصب والاصولية والتطرف.

ما هي الاولويات للبنان في منطقة حيث السلام مُهدد او "هش"؟ تستخلص كرسي اليونسكو في جامعة القديس يوسف من الخطة العشرية 2013–2022 اربعة توجهات رئيسة:

1. **برامج عملانية:** تُشدد الخطة على ضرورة المبادرات العملية على المستويات المحلية والوطنية والعالمية، مع ضرورة رصد الفعالية والتأثير مما يوفر حظوظًا في الاقتداء ومسارًا ذات استدامة (بنود 3، 6، 17، 23، 27 وملحق 2).

2. **التخصيب التربوي:** أبرز الفئات المُستهدفة المعلمون والشباب، بخاصة من خلال تأهيل المعلمين (ملحق 2) ومراجعة مضامين برامج التعليم المدرسية والجامعية في سبيل "نقل قيم ومواقف وسلوكيات وانماط حياة" (بند 16) وتنظيم مباريات (بند 34) ومشاركة الشباب في برامج في الحوار الديني والثقافي وإكتسابهم مؤهلات ثقافية تفاعلية (ملحق 2).

3. **اعادة الاعتبار لموجب الاحترام:** ينتشر اليوم خطاب حول الحوار والتفاعل الثقافي في حين ان مفهوم الاحترام في تراجع في العائلة والمدرسة والعمل والعلاقات بين الاديان وفي الحياة العامة مما يؤدي الى ضعف القدرة على ادارة المجتمع وضعف السلطة الناظمة للشأن العام autorité في بلدان تعتبر ديمقراطية. الاحترام والكرامة هما ذات قيمة دستورية في لبنان، بموجب المادتين 9 و10 من الدستور. يعني الاحترام اعتبار الآخر ذات قيمة ذاتية وجدير بالتقدير. اما الكرامة فتفترض الاقرار بهذه القيمة في العلاقات بين الافراد والمجتمع وفي الحياة العامة.

4. **ذاكرة سلام للمستقبل:** ترتكز ضرورة "السلام الدائم"، حسب خطة اليونسكو، على "شبكة مترابطة ودقيقة من القيم والمواقف والسلوكيات" (بند 4). يُستخلص من ذلك الحاجة الى "ادراك ملموس للتاريخ" (بند 12). ما العمل في هذا السياق في سبيل "حماية الاجيال القادمة من مآسي الحرب؟" (بند 4). تتطلب ثقافة الذاكرة مراجعة مضامين الكتب، بخاصة كتب التاريخ، في سبيل تنزيهها من أساطير ومواقف مُسبقة ومُنمطات (بند 17 وملحق 2). يضاف الى ذلك كتب التعليم الديني والثقافة الدينية.

***

اي برنامج للبنان 2015–2019؟

"كرسي اليونسكو لدراسة الاديان المقارنة والوساطة والحوار"، التي يرعاها نظام الكراسي الجامعية في جامعة القديس يوسف والمرتبطة مباشرة برئاسة الجامعة، ترسي علاقات جامعية مع مختلف الكليات ومؤسسات جامعة القديس يوسف.

يهدف برنامج الكرسي لاربع سنوات (2015-2019) الى تنمية وتدعيم بنود الاتفاقية بين اليونسكو والجامعة التي عقدت سنة 2002 وتم تمديدها، وكذلك توجهات "الخطة العشرية لليونسكو في سبيل التواصل الثقافي (2013-2022)" التي اقرها المجلس التنفيذي لليونسكو خلال دورته ال 194 تنفيذًا للقرار 37 C/1 II. تُركز كرسي اليونسكو في جامعة القديس يوسف على بنود الخطة الاكثر ضرورة وأصالة في الواقع اللبناني والعربي.

ما الثقافة في لبنان التي تنقلها مختلف وسائل التنشئة اذا كانت لا تؤدي الى وحدة في التنوع مُعاشة ومُلتزمة؟ يقول فارس الزغبي: "ما الفائدة في لبنان في تعليم افلاطون

وفرجيل وطاليس وسولجنتسين وشكسبير او موليير اذا كان المواطنون عاجزين عن معاجلة اشكالية العيش معًا الاسلامي–المسيحي "[2].

يكمن التحدي الاكبر المُعولم في المستقبل في ما يلحظه ريمون آرون سنة 1944: "الاساطير، الاديان سوف يتم إستغلالها علميًا من قبل زعامات خبيثة"[3].

تسعى خطة كرسي اليونسكو في جامعة القديس يوسف للسنوات 2015–2019 الى العمل، من خلال برامج مُتنوعة وميدانية، الى حماية تعددية النسيج الديني والثقافي في المجتمعات العربية،

انسجامًا مع تراث عربي واسلامي طيلة قرون،
وسعيًا لعصرنة هذا التراث وتأصيله،
وانسجامًا مع الشرعات الدولية لحقوق الانسان،
مع تخصيب تربوي في المدارس،
في سبيل إستدامة العمل وفاعليته.

اسباب هذا التوجه مُتعددة:

1. **ايديوولجيات مُستجدة:** يُخشى إستغلال الاديان كوسيلة تعبئة ايديولوجية في الصراع على السلطة بعد تراجع ايديولوجيات الماضي.

2. **الاتنوستراتيجية:** حيث ان العولمة ليست قالبًا تجانسيًا، بل تنمي الهويات الفردية والجماعية، يُخشى استغلال بروز الهويات الفردية والجماعية والتقوقع بحثًا عن ترادف بين مساحة جغرافية وهوية دينية مُحددة.

3. **تعدد الجهات التي تتكلم باسم الدين:** يشمل التطور الايجابي في الحريات الفردية والعامة مخاطر تعددية الجهات التي تتكلم باسم الدين مع تراجع الشرعية الاجتماعية للهيئات الدينية المؤسسية.

---

[2]. Pharès Zoghbi, “A quoi servirait, au Liban, l’enseignement de Platon, Virgile, Thalès, Soljenitsyne, Shakespeare ou Molière si les citoyens sont incapables de résoudre le problème de la coexistence islamo-chrétienne » (*L’Orient-Le Jour*, interview, 3/4/1987).

[3]. Raymond Aron, *L’homme contre les tyrans*, Paris, éd. de la Maison française, 1944, 402 p., p. 21.

4. **الحق في المعنى:** تخلق يهودية قومية مُتصهينة، وعلمانية غربية مناهضة لتراث مسيحي، واسلام باحث عن بوصلته، فراغًا روحيًا لدى الجيل الجديد، تسعى ايديولوجيات تبسيطية الى ملئه تجاه جيل جديد مُتعطش الى المعنى.

يتوجب على اللبنانيين، في خبرتهم طيلة قرون، العمل على حماية وتقييم وترسيخ موقع لبنان المعياري كرسالة وحدة في التنوع في المنطقة وعلى المستوى المقارن.

***

تعتبر كرسي اليونسكو أنه يتوجب مقاربة الاديان اليوم في أربعة توجهات مُتميزة ومُتكاملة:

الايمان: الايمان هو التساؤل البشري العالمي، الذي لا مكان له ولا زمان، حول الحب والموت والالم وما بعد الموت ومعنى الحياة... يجمع هذا تساؤل كل المعتقدات في مستويات مُتمايزة وتلتقي ايجابات هذا التساؤل اكثر مما تتناقض. يقول تيار دي شاردان: "كل ما يرتقي يلتقي"[4] حاجة الاديان، تاليًا، كمؤسسات مُلازمة لنقل البشارة الى العودة باستمرار الى منابعها الروحية.

الحقوق: لا يُختزل الدين في المعتقد الشخصي الداخلي، بل يشمل مجالاً مشتركًا بين الخاص والعام ومجالاً عامًا تتطلب إدارته الديمقراطية التوفيق بين الحرية والمجال العام.

السياسة: أن استغلال الدين في السلطة وفي الصراع على السلطة، او علم السياسة الديني politologie de la religion، وبروز حروب بتسميات دينية ومصطلحات تبدو بريئة ظاهرًا حول التطرف والاصولية والتعصب وصورة الاخر... تتطلب هذه الظواهر مقاربات يقظة ووعيًا وقدرة فائقة على التمييز discernement، بخاصة في مجتمع متعدد الاديان والمذاهب حيث قد ينتشر فريسيّون واهل ناموس ومنافقون. المنافقون – وهو تعبير يَرِد اكثر من عشرين مرة في القرآن – يستغلون العلوم المسماة انسانية ويلجأون الى وتقنيات متطورة **علميًا** للتلاعب بالعقول.

الثقافة: مقاربة الاديان في المجالات الثلاث: **الايمان والحقوق والسياسة** هي بطبيعتها متداخلة الاختصاصات interdisciplinaire/transversale وتفترض بالتالي

[4]. Theillard de Chardin, « Tout ce qui s'élève converge.

البُعد الثقافي الذي لا يُختزل بصورة الآخر والمعرفة التجريدية للمعتقدات والعقائد. الاديان، حين تفتقر الى البُعد الايماني، تتحول الى طقوسية أو فرائض مُغلقة وعازلة.

***

ثلاثة مجالات عمل 2015–2019

تندرج مشاريع وبرامج كرسي اليونسكو للسنوات 2015–2019 في ثلاثة مجالات:

المجال الاول الايمان والدين في التحولات اليوم

يشمل هذا المجال أربعة أعمال:

1. **مختارات في الفكر الديني الاسلامي المسيحي في لبنان:** توثيق ونشر، لهدف ثقافي وتربوي وللتعميم في المدارس، مختارات تتضمن نصوصًا قصيرة واساسية لكتّاب وفاعلين لبنانيين. تُشكل هذه المختارات جوابًا لبنانيًا وعالميًا حول إسلام لبناني في تفاعل يومي مع المسيحية، ومسيحية لبنانية تُجسّد سؤال الانجيل: "من هو قريبي".

2. **تراتبية القيم ومفاعيلها:** تنظيم طاولة مستديرة في سبيل تحديد إطار بحث وعمل حول الموضوع الذي هو غالبًا مُهمل بالرغم من أهميته اليوم حول تراتبية القيم.

يصطدم البحث والتربية في ما يتعلق بالقيم المشتركة الاسلامية المسيحية، في السلوكيات والممارسة، باشكالية تراتبية القيم. يتطلب لاهوت "القريب" في الانجيل مزيدًا من التعمق. وما هي تراتبية القيم في الاسلام: الرحمة، التقوى، الحرية، العدل، لا اكراه في الدين...؟

3. **البيانات المشتركة الاسلامية المسيحية:** نشرت جامعة القديس يوسف مجموعة هذه البيانات في ستة أجزاء كثمرة جهد وإستمرارية. ما الذي يُستخلص من هذه البيانات؟ ما هي القضايا الهامة والاقل ورودًا والخلافية؟ ما العمل؟

4. **وجوه حوارية:** الحاجة الى تعميق تراث اسلامي مسيحي معاش ونشره يشمل قيمًا تأسيسية من خلال وجوه ريادية في الحوار.

المجال الثاني الحقوق: الادارة الديمقراطية للتعددية الدينية والثقافية في لبنان والمجتمعات العربية

تسعى كرسي اليونسكو في جامعة القديس يوسف في السنوات 2015–2019 الى تحقيق البرامج التالية ونشرها في كتاب سنوي وعلى الشبكة.

5. **بروز مبدأ القانونية في الاسلام والتاريخ العربي:** حصل غالبًا طمس لبروز مبدأ القانونية principe de légalité كظاهرة انتروبولوجية طبيعية وعالمية في كل مجتمع. يستتبع ذلك، لدى اخصائيين وفي أعمال جامعية، خلط بين شريعة وتشريع.

القانون، كنص وضعي اجرائي، هو انتاج بشري محض تتعدد منابعه الدينية والفلسفية والايديولوجية. ينتج عن المقاربة التاريخية العملانية، في سبيل المثاقفة الحقوقية acculturation du droit، مفاعيل في كتابة تاريخ العالم العربي والتنشئة الحقوقية والتربية المواطنية.

6. حماية النسيج التعددي في الجبل ولبنان: الحاجة الى متابعة، في قلب المجتمع، لمسار مصالحة الجبل والعودة وهو مسار باشرته قيادات سياسية ودينية مسيحية وإسلامية ويحتاج الى متابعة بالتعاون مع جمعية "لقاء أبناء الجبل".

7. **علم سياسة الاديان اليوم:** Politologie de la religion: ما هي تقنيات استغلال الدين في السلطة وفي التنافس على السلطة؟ من هم اليوم "المنافقون" كما هو وارد في القرآن؟ ومن هم الفريّسيون وأهل الناموس في الانجيل؟

8. **مرصد التعددية الدينية والثقافية في المجتمعات العربية:** يشمل البرنامج رصد وتحليل التحولات المستجدة المتعلقة بالادارة الديمقراطية للتعددية الدينية والثقافية في المجتمعات العربية،

في صياغة الدساتير،

والتشريعات،

والممارسات،

وصيانة تعددية النسيج العربي،

مع التركيز على حالات ايجابية ومعيارية تثير التماثل والاقتداء والتمكين empowerment والتي هي غالبًا مُغيّبة في وسائل اعلام وأعمال جامعية.

تندرج دراسة الحالة الراهنة في لبنان للحريات الدينية، على مستويات التشريع والضمانات القضائية والدستورية والتعليم، في هذا السياق.

المجال الثالث التربية على الوحدة في التنوّع

يفتقر كل بحث وعمل وسياسة عامة بدون استثناء الى الاستمرارية والاستدامة في حال عدم تخصيبه تربويًا من خلال مختلف وسائل التنشئة، بخاصة في المدارس ولصالح الجيل الجديد.

الحاجة هي اكثر الحاحًا في لبنان بعد سنوات من الحروب المتعددة الجنسيات (1975–1990) وما بعد السلم، بخاصة ان الجيل الثالث لم يعش التراث اللبناني في التواصل اليومي وتُنقل اليه غالبًا ذاكرات مشوهة ومجتزأة.

يتم التخصيب التربوي في لبنان من خلال:

التربية الدينية،

والثقافة الدينية،

ومباراة مدرسية بخاصة حول وجوه ريادية تأسيسية للبنان (1920–1943)، بالتعاون مع جمعية تصالح Gladic ومؤسسة جورج ن. افرام.

يشمل هذا المجال البرامج التالية:

9. **تنظيم طاولات مستديرة حول أعمال كرسي اليونسكو**، بمشاركة المكتب الاقليمي العربي لليونسكو في بيروت، واللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو، والمؤسسات والجمعيات العاملة في الحوار الاسلامي المسيحي في لبنان والمجتمعات العربية في إطار شبكة اصدقاء كرسي اليونسكو.

10. التاريخ والذاكرة: كيف يُشارك التلامذة في كتابة التاريخ: طاولة مستديرة بمشاركة أخصائيين أجانب، بخاصة من سويسرا، وحوالي 25–30 معلم تاريخ في عدة مدارس في سبيل تنقية الذاكرة وإنتاج تربوي معياري وتطبيقي.

11. تاريخ اللبنانيين بالوثيقة والصورة: انتاج حوالي عشر ملفات تربوية داعمة حول مواضيع رئيسة تأسيسية في تاريخ اللبنانيين (الميثاق الوطني، لبنان الكبير، استقلال 1943، الذاكرة المدنية في الحروب 1975 – 1990، النشيد الوطني، تاريخ الحريات...)، وليس مجرد تاريخ لبنان الدبلوماسي وتاريخ الحكام، بالتعاون مع مؤسسة "أديان".

12. **الدين والتربية:** تنظيم لقاءات حول التنشئة الدينية كما هي مُمارسة في مؤسسات تربوية ومن المعلمين في سبيل إستخلاص مجالات تربوية تطبيقية.

ان الاعمال التربوية المنتجة خلال برنامج "تصالح"، الذي اختتم باحتفال في قاعة أبو خاطر في جامعة القديس يوسف، بمشاركة أكثر من 800 تلميذ من مدارس عدة، في 2013/5/18، سيتم نشرها وتعميمها.

13. نشر كتاب باللغة العربية: الثقافة المواطنية في المجتمع التعددي: لبنان من منظور مقارن، بالتعاون مع جمعية "تصالح". مُنحت جائزة مؤسسة المونسنيور اغناطيوس مارون للطبعة باللغة الفرنسية في 2015/5/13.

14. نشر: نشر أعمال كرسي اليونسكو لأهداف علمية وتربوية في آن. وتسعى كرسي اليونسكو الى تطوير موقعها على الشبكة خلال 2015–2019.

***

عملت جامعة القديس يوسف **باستمرارية** طيلة أكثر من قرن في الحوار الاسلامي المسيحي مع اصدار إنتاج مُميز.

انتجت التجربة المتراكمة اصدارات مع تأهيل **كادرات فاعلة**، بخاصة في اطار معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، ومنذ 2007 برنامج "الماستر في العلاقات الإسلامية المسيحية"، وهي كادرات ذات مواقع استراتيجية في المجتمع اللبناني.

وجمعية "تصالح"، التي انشأت سنة 2011، لها علاقات وطيدة مع **المدارس والشباب**.

ودعمت مؤسسة جورج ن. افرام برامج عديدة متعلقة بالعلاقات الاسلامية المسيحية.

وغالبية المؤسسات والجمعيات التي تعمل في مجال **الحوار الاسلامي المسيحي والسلم الأهلي** لها علاقات مُستمرة مع جامعة القديس يوسف.

ستكون كرسي اليونسكو تاليًا "مجالاً متداخل الاختصاصات" (البند 5 من الاتفاقية).

الباب الثاني

إدارة التعددية الدينية والثقافية
في لبنان والمجتمعات العربية

1

التعددية في المجتمعات العربية

اشكالية إدارة التنوع واستشراف[*]

أنطوان نصري مسرّه

1. **التراث العربي:** تتصف المجتمعات العربية تاريخيًا بتعددية نسيجها الاجتماعي دينيًا ومذهبيًا وعرقيًا وباستمرارية إدارة التنوع في إطار الوحدة طيلة قرون وبأشكال متنوعة خلافًا للقومية اليهودية التي أدخلت على المنطقة العربية أيديولوجية الترادف بين مساحة جغرافية وهوية دينية ومذهبية محدّدة espace identitaire .

2. **حماية تعددية النسيج العربي:** نتيجة عوامل متعددة في

العولمة

والتحولات في الصراعات الإقليمية والدولية

وامتداد الحريات الفردية والجماعية...

تبرز الحاجة عالميًا وفي المجتمعات العربية بشكل خاص:

1. **ثقافيًا:** الى حماية الصلة الاجتماعية

ونشر قيم التسامح والاحترام المتبادل

واستنباط التراث القيمي العربي لنقله الى الأجيال الجديدة.

يتطلب ذلك

مراجعة لبعض السياقات الفكرية العربية والتي، في اغتراب عن الواقع، لم تحقق مزيدًا من الوحدة والتضامن والاستقرار والاستدامة.

2. **حقوقيًا:** الى تحديد الوسائل العملية في الإدارة الديمقراطية للتعددية

بأصالة وتجدد في آن

[*]. نص أعد في سبيل تنظيم برنامج عمل في اطار احدى كبرى المؤسسات العربية، 2016.

في اطار مفهوم غير مغلق لمواطنية قد تكون مُركبة في بعض الحالات ضمانًا لوحدة المجتمع واستقراره.

3. **تربويًا:** مراجعة التراث العربي، وقراءته انطلاقًا من القيم الإنسانية والحقوقية اليوم، بخاصة في الفلسفة والتاريخ والادب، في سبيل إستنباط القيم الإنسانية التي غالبًا ما طمستها أنظمة سلطوية او تيارات عقائدية مغلقة

ونقل ذلك في المدارس والجامعات وفي المواد التعليمية والممارسات بأصالة وتجدد.

يحتاج كل تحول في السياسات العامة الى تخصيب تربوي والا يفتقر الى عنصر الاستدامة sustainable.

***

ان نبذ مصطلح "التعددية" بالمطلق في الماضي في مجتمعات عربية مُتعددة البنية اساسًا كما في لبنان،

ثم إنتشار مصطلح "الأقليات" في مجتمعات عربية حيث كل المكونات هي اصيلة

هما مؤشر لمعضلة في المقاربة المنهجية والعملية والتي تنعكس سلبًا في السلوك والممارسة وفي كثير من الظواهر السلبية في المجتمعات العربية.

لكنه يتوجب دمج التحليل بالتطبيق في سبيل تحويل المعرفة الى سلوك،

تجنبًا لمسار سائد في "الينبغيات" (ينبغي، ويقتضي ويجب)،

من خلال رصد نماذج عربية عملية وتطبيقية في الإدارة الديمقراطية للتنوع، ثقافيًا وحقوقيًا وتربويًا، وهي متوفرة في كل المجتمعات العربية، ولكنها غير بارزة في وسائل الاعلام، وبهدف التماثل والاقتداء والتمكين capacitation/empowerment.

***

صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على القرار 104/67 بعنوان: "تفعيل الحوار والوفاق والتعاون بين الأديان والثقافات في خدمة السلام" مُعلنة العشرية الدولية للتقارب بين الثقافات 2013–2022 وكلفت اليونسكو بالتنفيذ.

تشكل "خطة اليونسكو للعشرية الدولية حول التفاعل الثقافي" (2013–2022) مرجعًا ذات أهمية قصوى وبرنامجًا تطبيقيًا، بخاصة اذا بُذل جهد على المستوى الدولي مع تحديد الأولويات الوطنية.

بعض المحاور المقترحة

1. الحالة البحثية حول التعددية في المجتمعات العربية: خلاصة توليفية ومراجع مختارة واستشراف (1990– 2016).

2. التعددية السياسية political pluralism والتعددية الاجتماعية social/ segmented pluralism pluralism.

مفاعيل التمييز ومعضلاته الثقافية والحقوقية والتربوية.

3. **بين الفكر والايديولوجيا: الاعتراف بالولاءات التحتية allégeances primaires عامل توحيد ام انقسام؟**

– خبرات عالمية: الاتحاد السوفياتي السابق، يوغوسلافيا السابقة، سويسرا، بلجيكا، جزر فيدجي، ايرلندا الشمالية...

– خبرات عربية: لبنان، سوريا، العراق، السودان، ليبيا...

4. إدارة التعددية السياسية والاجتماعية في تعديلات الدساتير العربية بعد التحولات العربية منذ 2010.

5. إدارة التعددية الدينية والثقافية في إجتهادات المجالس والمحاكم الدستورية العربية.

6. التعددية القانونية pluralisme juridique: منابعها التاريخية العربية ومجالات التطوير والتحديث.

7. قياس التعددية مقارنة مع المجتمعات العربية

امثلة مقارنة

8. المعايير في حماية التعددية والوحدة الوطنية في الشرعات الدولية.

9. الفدرالية الجغرافية والفدرالية الشخصية واللامركزية: خبرات في الوحدة والتنوع.

***

في مرحلة لاحقة: **الإدارة الثقافية والتربوية للتعددية في المجتمعات العربية** محاور مختلفة وللتحديد

المحاور عديدة، ويمكن تحديدها، الا اذا تقرر إرجاء الجانب الثقافي–التربوي الى مرحلة ثانية في التخطيط.

مراجع مختارة

1. التراث العربي

Georges Young, *Corps de droit ottoman,* Oxford, Clarendon Press, 1905, 7 vol., vol. 2, notamment pp. 7-10, 67-109, 148-155.

Sur la communauté arménienne : Mesrob K. Krikorian, *Armenians in the Service of the Ottoman Empire*, 1860-1908, London, Routledge and Kegan Paul, Henley and Boston, 1978, 149 p.

Benjamin Braude, Bernard Lewis (ed.), *Christians and Jews in the Ottoman Empire. The Functioning of a Plural Society,* Holmes and Meier Publ. Inc., 1982, 2 vol.

Coll., *Minorités et nationalités dans l'Empire ottoman après 1516*, Beyrouth, Publications de l'Association des historiens libanais, Librairie Le Point, 2001 (en arabe, français et anglais), 708 p.

G. Noradounghian, *Recueil d'actes internationaux de l'Empire ottoman*, Paris-Leipzig-Neuchatel, 1902, vol. III, pp. 280 sq.

Baron I. de Testa, *Recueil des traités de la Porte ottomane,* Paris, Muzard, vol. VI, 1884, pp. 338-345.

L. Filkenstien, *Jewish self-Government in the Middle Ages*, New York, 2e ed., 1964. Cf. aussi *Encyclopedia Universalis,* vol. 9, pp. 535-536.

Haim Zafrani, *Mille ans de vie juive au Maroc*, Paris, Maisonneuve et Larose, « Judaïsme en terre d'islam », 1983, 320 p.

Pierre Gannagé, *Le pluralisme des statuts personnels dans les Etats multicommunautaires* (Droit libanais et droits proche-orientaux), Bruxelles – Bruylant et Beyrouth – Presses de l'Université Saint-Joseph, 2001, 400 p.

حسن الحكيم، **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية، 1915-1946**، بيروت، دار صادر، 1974، 520 ص.

Antoine Messarra, *Théorie juridique des régimes parlementaires pluralistes*, Beyrouth, Librairie Orientale, 2012, 246 p.

__, Les garanties constitutionnelles des libertés religieuses au Liban. Etat des lieux, jurisprudence et prospective », Conseil constitutionnel du Liban, *Annuaire 2015,* vol. 9, pp. 61-116, et résumé en anglais pp. 117-126.

انطوان نصري مسرّه، "إدارة التعددية الدينية والثقافية في اجتهادات المجالس والمحاكم الدستورية العربية. لبنان من منظور مقارن"، **المجلس الدستوري في لبنان**، الكتاب السنوي 2011، المجلد 5، ص 99-174.

2. **بعض الأبحاث العربية**

سعد الدين إبراهيم (تحرير وتقديم)، **التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي،** عمان، منتدى الفكر العربي، 1989، 360 ص.

صبحي العتيبي (اشراف)، **التعددية في الدول العربية،** عدد خاص لمجلة **الأفق العربي،** عمان، عدد 9، شباط 1987، 470 ص.

وقائع المؤتمر الذي نظمته الجمعية العربية للعلوم السياسية حول موضوع: "الأقليات في الوطن العربي"، ونشرت بعض اجزائه في **المستقبل العربي،** بيروت، عدد 119، كانون الثاني 1989، وفي **المجلة العربية للعلوم السياسية،** عدد 3-4، أيلول 1989

هاني فحص، **الشيعة بين الاجتماع والدولة،** بيروت، دار سائر المشرق للنشر والتوزيع، 2016، 206 ص.

هنري العويط (تنسيق واشراف)، **المواطنة التعددية العروبة،** عدد خاص نشرة **أفق**، مؤسسة الفكر العربي، ديسمبر 2015، 190 ص.

التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية (العرب بين مآسي الحاضر واحلام التغيير. أربع سنوات من "الربيع العربي")، تنسيق واشراف د. هنري العويط، تحرير ا. احمد فرحات، ا. حسين قبيسي، د.خ. رفيق رضا صيداوي)، بيروت، مؤسسة الفكر العربي، 2014، 782 ص ولائحة مراجع ص 719-782.

مرصد التعددية الدينية في لبنان والمجتمعات العربية، اشراف انطوان مسرّه وربيع قيس وطوني عطاالله، بيروت، جامعة القديس يوسف، الماستر في العلاقات الاسلامية

المسيحية بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور والمؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، 2010، 280 ص.

أنطوان نصري مسرّه، **النظرية الحقوقية في الأنظمة البرلمانية التعددية** (ميثاق لبنان والدستور من منظور مقارن)، بيروت، المكتبة الشرقية، 2017، 656 ص.

ممارسة الوحدة في التنوع (حالات ونماذج تطبيقية في التواصل والعيش معًا)، بيروت، جامعة القديس يوسف، الماستر في العلاقات الإسلامية والمسيحية، بالتعاون مع مؤسسة جورج افرام، اشراف أنطوان مسرّه، الجزء الأول، 2014، 390 ص، والجزء الثاني، 2014، 440 ص.

وجوه حوارية (إشكالية ورواد كبار وتوقعات مقارنة)، وقائع المؤتمر الدولي في اطار الماستر في العلاقات الإسلامية المسيحية، جامعة القديس يوسف، بيروت، اشراف أنطوان مسرّه، 2013، 420 ص.

3. بعض الأبحاث المقارنة

افلين ابو متري مسرّه (تعريب)، **الديمقراطية في المجتمع المتعدد. دراسة مقارنة**، تعريب عن ارنت ليبهارت Arend Lijphart مع مقدمة للمؤلف للترجمة العربية، بيروت، المكتبة الشرقية، 1984، 320 ص.

__ (تعريب)، **البناء القومي بالمواثيق والأنظمة البرلمانية التعددية** (نصوص مختارة نقلاً عن الإنكليزية)، بيروت، المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، سلسلة "وثائق" رقم 62، المكتبة الشرقية، 2016.

A. Messarra (dir.), *La pratique de l'unité plurielle* (Comprendre la Suisse), Beyrouth, Association libanaise des sciences politiques et Ambassade de Suisse au Liban, Beyrouth, Librairie Orientale, 2008, 248 p.

A. Messarra (dir.), *La gestion du pluralisme* (Expériences comparées : Suisse et Liban), Beyrouth, Carnegie Middle East Center, Swiss Embassy and Lebanese Political Science Association, Beirut, Librairie Orientale, 2011, 208 p.

Agree to Differ, Unesco Publishing, Tudor Rose, 2015, 172 p.

2

فكر ديني على مستوى تحديات اليوم*

أنطوان نصري مسرّه

ما هو الواقع؟ نعيش تراجع أو زوال ايديولوجيات الماضي: رأسمالية، شيوعية، اشتراكية، فاشية... فتتحول اديان الى ايديولوجيات في الحلبة السياسية والصراع على السلطة. لماذا؟ لخمسة اسباب على الاقل:

1. الحاجة الى ايديولوجية في عملية التعبئة السياسية.
2. كون الاديان تحمل كثقافة قيمية وهي مرتبطة بالهوية وقد تكون بالتالي عنصر تعبئة.
3. كون الاديان تطرح عقائديًا قضايا غير قابلة للتفاوض وبالتالي شديدة النزاعية في المجال السياسي.
4. تعدد الهيئات، بفعل امتداد حرية التعبير، التي تتكلم باسم الدين وبالتالي تراجع الضوابط المؤسساتية.
5. إمتداد ثقافة السوق في حين يحمل الانسان عطشًا الى معنى وقد يستغل الفراغ الروحي خبراء مخادعون في التعبئة السياسية النزاعية.

ما العمل؟ ليس خطابنا غالبًا على مستوى التحدي وخطورة التحولات اليوم. الحاجة الى البحث في اربعة توجهات اولية:

---

* موجز كلمة ألقيت في مؤتمر ملتقى الأديان، في قصر اليونسكو، وصدور بيان: "نداء للحوار من أجل السلم الاهلي"، ملتقى الأديان، قصر اليونسكو، 2015/2/20.

1. من هم المنافقون؟ اقتحم ويقتحم تجار الهيكل اليوم كل الهياكل. هم فريسيّون واهل ناموس في الانجيل، وهم المنافقون، الذين يرد ذكرهم في القرآن اكثر من عشرين مرّة. من هم المنافقون؟ ليسوا الكفار، لان الكافر قد يكون صادقًا وباحثًا عن الالوهية. لم يتعمق الفقه الاسلامي في تحديد من هم المنافقون واستكشاف خداعهم. يقول ريمون آرون Raymond Aron في كتابه: **الانسان ضد الطغاة** الصادر سنة 1944: "الاساطير، الاديان، سيتم التلاعب بها بعد اليوم علميًا من قبل زعامات خبيثة".

2. لماذا نهرب دائمًا من الآية: "لا اكراه في الدين" او نُفسّرها بشكل اختزالي. تنقض هذه الآية بشكل اطلاقي اي عنف تحت ستار الله او الدين. عبارة اكراه هي سياسية حيث ان تحديد الدولة هو احتكارها القوة المنظمة وبالتالي لجوئها الى الاكراه.

3. نبحث عن القيم المشتركة الاسلامية المسيحية لاهوتيًا وقيميًا وثقافيًا وتربويًا ونُهمل تراتبية القيم. اذا كان زوجان يتمتعان بمئة قيمة مشتركة ولكن الزوجة ترحم وتسامح او تنسى، اما الرجل فيحقد... ما فائدة باقي القيم المشتركة؟ تراتبية القيم هي الاساس. لم يتم البحث بشكل معمّق حول تراتبية القيم في الاسلام. لذا يأخذ البعض عبارة في القرآن ويتصدر بها القيم كافة! ابرز القيم في تراتبيتها في الاسلام: الرحمة أولاً ثم التقوى، العدل، الحرية،

لا اكراه في الدين...

4. الحاجة الى الغوص في مضامين كتب التعليم الديني التي قد تقتصر على عقائدية مُغلقة خلافًا لجوهر الايمان والعقيدة. لا تغيير بالعمق بدون تخصيب تربوي، بخاصة للجيل الجديد وفي زمن حيث العطش الايماني في عالم اليوم يتخطى الاديان المؤسساتية والطقوسية الشكلية. قد تكون الاديان في جمودها المؤسسي غائبة عن الاجابة على تساؤلات الانسان المعاصر.

3

المواعظ والخطب المتكررة للبابا فرنسيس:

أي كنيسة مؤمنين من اجل عالمنا وفي المشرق العربي*

أنطوان نصري مسرّه

ما نعيشه غالبًا في عالمنا هو، واقعًا، ما وصفه قداسة البابا بـ"الالزهايمر الروحي". نسعى غالبًا الى تغطية المرض بالمجاملة وبحوار تجميلي وتموضع وعلى مسافة واحدة من الجميع وتاليًا من دون معايير وبوصلة .ما نحتاج اليه هو الحزم وأقصى درجات الوضوح في المبادئ في سبيل يقظة خلاصية، بخاصة في المؤسسات الناظمة للمعايير، وأبرزها الكنيسة والمؤسسات الدينية عامة، والمؤسسات الدستورية والقضاء والمؤسسات التربوية والجامعية .ما تأثير قول قداسة البابا في الكنيسة في لبنان بالذات، وفي الكنيسة المارونية بالذات التي لها دور ريادي في الكيان اللبناني حيث أن رئيس الجمهورية (الماروني) "يسهر على احترام الدستور"، أي سلطة المعايير؟

ما يكرره البابا فرنسيس في مواعظه وخطبه هو خارج عن المألوف. إنه يحمل هاجس الأصالة والتجدد في الكنيسة، وفي سلوك المؤمنين بشكل عام، ليس تكيفًا مع مستجدات، حيث أن التكيف بالمعنى المتداول قد يحمل أخطاراً عدة، بل جواب على تحولات جذرية في عالمنا.

المؤسسة الدينية بشكل عام، وكل مؤسسة من دون استثناء حيث أن إدارتها بشرية، هي مهددة بالتحول الى جهاز بيروقراطي مغلق يعمل لصالح القيّمين عليه. لا أحبذ تعبير إصلاح الكنيسة، إذ قد يكون الإصلاح مجرد تنظيم بيروقراطي جديد يغيّر تقنيًا في الشكل من دون التحول في الجوهر.

التراث المتراكم في الكنيسة هو مصدر غنى ومصدر ثقة ومصدر "ثقة بالماضي" بحسب قول البابا (2014/12/18). الثقة ضرورة لكل انطلاقة أصيلة تندرج في سياق ذاتي

* مقال صدر في ملحق النهار، 2015/1/3.

في التغيير، أي غير أصولية غارقة في الماضي وغير تقدمية متهورة. في ذكرى 125 سنة على تشييد كنيسة المخلص في شارع رشيد دحداح –مونو في بيروت طُرح الموضوع الآتي خلال طاولة مستديرة: "كيف تقرأ الإنجيل اليوم كأنه كتاب صدر أمس؟". لم تكن طبعًا الأجوبة على مستوى السؤال الذي يبدو بسيطًا، لكنه يتطلب درجة قصوى من الصفاء الذهني والتفكير النيّر والثاقب وحدّةً في الوعي والادراك. طرح السؤال انطلاقًا من الثقة أن بشارة يسوع لا تزال آنية، وأكثر آنية مما مضى، لأسباب وتحولات عديدة ومن منظور إنساني وغير ديني حصرًا أو عقائدي.

لا لكنيسة متحفية ومظاهر

ماذا يقول قداسة البابا؟ يقول إن "الكنيسة أمّ وليست مقاولاً... وهي تُفاجئ بالمستجدات اللالهية اذا كانت أمّاً" (2014/12/19). ويقول: "الكنيسة مفيدة اذا خرجت عن ذاتها (10/12/2014) "وهي "من دون فائدة اذا اختزلت بمتحفيتها أو بتنظيم إداري متكامل" (2014/12/9). ويتحدث عن مسيحيين بالمظهر... ذوي مساحق تجميلية تذوب بمياه الامطار" (2014/12/14). ويحض على اكتشاف الله من خلال التواضع" :النفس المتواضعة تكتشف الله.(3/12/2014) "ويتكلم عن "المسيحيين الذين لهم كينونة عميقة " "chrétiens ayant de la substance" (4/12/2014). ويحض على "عدم اليأس من واقع الحروب" (2014/11/27). خلال زيارته لتركيا يتكلم عن" بناء سلم راسخ قائم على احترام الحقوق الاساسية وموجبات الكرامة الانسانية (...) اذ نحتاج الى حوار لتعميق المعرفة واعادة الاعتبار الى قدرتنا على استكشاف الشؤون العديدة التي تجمعنا" (2014/11/28). في رسالة الميلاد 2014 يشدد البابا على "الالتزام في العالم لتحقيق وضمان الحرية الدينية التي هي حق أساسي"، ويذكر حالات التمييز والاضطهاد، منها حالة 130 تلميذًا قُتلوا في باكستان. ويحدث انتهاك للحريات الدينية والحقوق الاساسية في سوريا والعراق ونيجيريا وباكستان... ما يحمل قداسة البابا على هذا الطرح في الأساسيات تحولات نابعة من التقدم بالذات، حيث في إيجابيات التقدم والعصرنة والعولمة انحرافات محتملة. يقول هنري برغسون" :(Henri Bergson, 1859–1941) الجسد المبالغ في نموّه يحتاج الى مزيد من الروح." اكتسب قداسة البابا بفضل وضوح كلامه ثقة المؤمنين وغير المؤمنين.

وهو يذكر فلسطين حيث "صمت وصراخ الاطفال العاجزين". ما يكرره البابا غالبًا هو خطر "اللامبالاة". وذكر مرةً في عظته "عولمة اللامبالاة"!

كنيسة أكثر حضورًا وإيمان متجدد

أبرز التحولات التي تتطلب إيمانًا أصيلاً ومتجددًا من الكنيسة وتضافر جهود المؤمنين بشكل عام التحولات السبعة الآتية وقد عرضنا قسمًا منها خلال طاولة مستديرة في الصويره (المغرب) لمؤسسة انا ليند الاورو- متوسطية للحوار بين الثقافات وتكريمًا لرئيسها اندره ازولاي، في 13-2014/12/14: -1الفرد المعاصر: ان التقدم الكبير في تحرر الفرد قد يؤدي الى تفكك الصلة الاجتماعية وتراجع ادراك الشأن العام الجامع ولما يجعل المجتمع مجتمعًا يجمع. التقدم كبير في الحرية والمساواة... ولكن على حساب الاخوة! هل أصبحنا، كما يكتب عدد من المفكرين اليوم، مجتمعًا مائيًا société liquide يفتقر الى البوصلة والمعايير الناظمة والجامعة؟ -2الدولة وسلطتها: تستتبع انتشار الدمقرطة أخطار الاستغلال الاداتي للقانون والمبالغة في المقاضاة وتراجع مفهوم السلطة autorité في العائلة وفي بنيات المجتمع كافة، وبخاصة سلطة الدولة التي هي الشرط الاساسي كي يكون أيّ مجتمع قادرًا على الحكم.
-3الاديان الايديولوجيات: سيمتد استغلال الاديان كإيديولوجيات تعبئة بعد زوال الايديولوجيات المعروفة في الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية... إخترق ويخترق تجار الهيكل اليوم كل الهياكل. إن علاقة يسوع بالفريسيين وأهل الناموس كانت ممتدة في كل مراحل حياة يسوع. يذكر القرآن أكثر من عشرين مرّة عبارة "المنافقون". من هم المنافقون؟ يقول ريمون آرون Raymond Aron في كتاب صادر في العام 1944 الانسان ضد الطغاة " :L'homme contre les tyransالاساطير والاديان سوف يتم التلاعب بها بعد اليوم وعلميًا من قبل قيادات خبيثة -4."الارهاب: بعد زوال الحروب بين الدول منذ الاختراعات النووية والسلاح المتطور، تنتشر حروب بالوكالة في دول صغيرة ضعيفة او مستضعفة، كما حصل ويحصل في لبنان، من خلال تنظيمات ارهابية عابرة للدول تستغل عجز الدولة الوطنية وعجز النظام الدولي -5.تواصل بلا إعلام ومن دون صلة: إن التقدم الهائل والايجابي في التواصل قد يُوفّر وهمًا بالاعلام والتواصل .انه يوفر تواصلاً بلا صلة ووهمًا بالمعرفة وطغيانًا للرأي على حساب الفكر والتفكر. ما يصلنا يوميًا من خلال وسائل تواصل

اجتماعي هو غالبًا شبيه بالقال والقيل والشائعات التي كانت سائدة ما قبل اختراع المطبعة.
6. علماوية بلهاء: يترافق فكريًا تقدم المعرفة والتسهيلات التكنولوجية، أي ما نعيشه في قيادة سيارتنا المتطورة واستعمال الحاسوب، مع تفسيرات تبسيطية وعلى المدى المنظور court–termisteويتم البحث عن معالجات تقنية لمعضلات غير تقنية وأبعد من التقنية تتعلق بالقيم والأهداف والمعنى والثقافة.

.7هامشية المجتمع المدني: إن السلطات الأربع، أي سلطات السياسة والرأسمال والانتلجنسيا والإعلام التي كانت في الماضي متمايزة يراقب بعضها البعض، أصبحت غالبًا اليوم تشكل كتلة واحدة متراصة حيث سياسيون هم رأسماليون ويملكون وسائل إعلام ويوظفون خبراء ومستشارين. كيف يمكن المجتمع المدني أن يكون فاعلاً من خلال تقويم مقاربته للسياسة؟ أي ثقافة تاليًا، أي أنسنةhumanisme ، وأي حوار، وأي دور للمؤمنين في الكنيسة والمؤمنين عامة والانسان اليوم؟

ما العمل؟

إن خبرتنا طوال نحو نصف قرن في لبنان، وبخاصة خلال السينودوس من أجل لبنان 1995 والارشاد الرسولي، تُبيّن مدى التراجع في الالتزام على الاقل في المجالات الآتية:

1. مجلس كنائس الشرق الاوسط: مارس المجلس دورًا رياديًا طوال أكثر من عشر سنين وهو يعاني اليوم صعوبات وعوائق في زمن حيث الحاجة اليه ماسة وضرورية وملحة ومنتظرة من الهيئات الدينية والمدنية كافة.

2. كنيسة من أجل عالمنا: إن عدداً من الجمعيات ذات الارتباط بالهيئات الدينية التي مارست دورًا رياديًا وفعالاً في الدفاع عن الحقوق والالتزام، بخاصة في الفترة التي سبقت السينودس من أجل لبنان اضمحلت في غالبيتها.

3. وثائق مهمة ولكن من دون خطة طريق تطبيقية: ان مجمل الوثائق الريادية التي صدرت في السنوات الاخيرة، وابرزها حول الكنيسة وشرعة الشأن العام ومذكرة بكركي... لم تترافق مع خطة طريق تطبيقية، بخاصة من خلال العاملين في المؤسسات الجامعية والتربوية ومن خلال النقابات والهيئات المهنية ومن العاملين في الاعلام وفي الجمعيات

الاهلية.

أكثر هذه الوثائق توفر ادراكًا وهميًا بالفعل ولكن من دون متابعة وإصغاء وجدّية في التطبيق. لا يقتصر هذا المنحى على الكنيسة المؤسسية. جذوره ذهنية وثقافية. أصاب الإرشاد الرسولي الذي أعلن في 1997/5/10 حين ذكر: "ما يجب تعزيزه، أكثر من أي تنظيم جديد، إنما هو ذهنية جديدة" (هذه العبارة واردة بحرف اسود في الارشاد الرسولي، البند 9، ص 15).

* * *

في لبنان وفي شأن دوره ورسالته في الادارة الديموقراطية للتنوع الديني والثقافي تطرح مواعظ وخطب قداسة البابا فرنسيس تساؤلات تتطلب نقدًا ذاتيًا، ومراجعة منهجية، وبرامج تطبيقية في مرحلة هي من أصعب المراحل حيث يظهر تراجع في الفكر اللبناني. نعني بالفكر اللبناني الأبعاد الدينية والاسلامية المسيحية والثقافية والوطنية.

أين نحن اليوم في لبنان الرسالة؟ الجواب عن ذلك أستقيه من شارل مالك حين كان أمينًا عامًا للأمم المتحدة. يقول" :المهم هو أن يُمسك لبنان من الداخل. نحن قمنا في الأمم المتحدة بما علينا القيام به. على المولجين بالبيت (لبنان) أن يمسكوه جيدًا. أنا لا أخاف من الفوضى في الإدارة ولا يقلقني ضعف الدولة. إنما يخيفني ويقلقني ضعف الفكر اللبناني عند بعض اللبنانيين والتراجع الأخلاقي عند فئة من النخبة وفقدان الثقة بدورنا ومصيرنا."

4

ادارة التعددية الدينية والثقافية في المجتمعات العربية*

انطوان نصري مسرّه

تغرق أبحاث دستورية العربية في سجالات حول الطائفية واللاطائفية، والعلمانية والفصل بين الدين والدولة، والشريعة والتشريع، والدولة المدنية...، في حين ان المحاكم والمجالس الدستورية في البلدان العربية والعالم هي أكثر وضوحًا وعملانية في معالجة إشكالات مختلف شؤون الإدارة الديمقراطية للتعددية الدينية والثقافية، حالة بحالة.

الحاجة الى توفير مرجعية وإطار منهجي لشؤون الادارة الديمقراطية للتنوّع هي غالبًا غارقة في سجالات، بدون مُقاربات حقوقية بشأن الطائفية واللاطائفية، والعلمانية والفصل بين الدين والسلطة، والشريعة الدينية والتشريع...، وتاليًا بدون تشخيص، حالة بحالة، ومعالجة.

تُشكّل بنود تشريعية لبنانية وعربية عامة أطرًا دستورية، لها قواعدها الحقوقية الناظمة (وليست خارجة عن القانون hors-la-loi) حيث انها واردة في نصوص دستورية وضعية. نُعني بشكل خاص في الدستور اللبناني المادتين 9 و 10 (الإدارة الحصرية للطوائف في بعض الشؤون المحدَّدة أو الفيدرالية الشخصية)، والمادة 19 (حق رؤساء الطوائف في الطعن أمام المجلس الدستوري في حالات محدَّدة)، والمادة 95 (قاعدة الكوتا أو التخصيص أو التمييز الايجابي)، والمادة 65 (الأكثرية الموصوفة في بعض القرارات).

الأنظمة العربية، باستثناء النظام في لبنان، ضربت – بدرجات متفاوتة – التقاليد الدستورية في الفيدرالية الشخصية (أنظمة الملل، وحرية التعليم للمؤسسات الدينية...) بحجة تحقيق الاندماج، أو بالأحرى "الانصهار"، أي بقوة الحديد والنار. وترافقت ايديولوجيات اندماجية قسرية عربيًا مع ذهنية الاستيلاء على الأرض بين مجموعات دينية وتقاسم السلطة جغرافيًا ومذهبيًا، بشكل يتخطى مجرد التنافس الانتخابي النيابي والبلدي. وأدى ضرب

---

* موجز مداخلة لمؤتمر في جامعة صلاح الدين، معهد القانون وعلم السياسة، اربل، 2015.

التقاليد الدستورية العربية، بعد عهود ممّا سُمي التحرر، الى تفكيك مساعي الوحدة، وتأزيم العلاقات بين الشعوب.

ماذا فعل العرب، بعد العهود التي سُميت في الماضي تحررًا، بتراثهم الدستوري طوال طيلة قرون؟ تخلوا بالمطلق عن بعض تنظيمات الماضي بدون السعي الى عصرنة هذه التنظيمات. اعتمدوا سياقات ايديولوجية في التحديث بدون استيعاب موجباته. إنه مأزق بعض الفكر العربي وبعض الفكر التوحيدي العربي. إن الصهيونية في الموضوع الذي يهّمنا هي التي أدخلت على المنطقة العربية والشرق الأوسط بعامة مفهومًا انفجاريًا في الترادف بين هوية دينية ومساحة جغرافية، وهو المنحى الذي يُناقضه التراث الدستوري العربي.

مع انهيار الحدود، بفعل عولمة وسائل التواصل وحرية انتقال الأشخاص والسكّان، تُطرح بصورة مُتزايدة مشكلة حماية الحقوق الثقافية على الصعيدين الجغرافي والشخصي. من الضروري البحث، بالنسبة الى المجتمعات المتنوعة البنية، في كيفية توطيد فدرلة تنسجم مع المبادئ الإنسانية وحقوق الإنسان، ولا تكون حصيلة هندسة جراحية للشعوب عبر التهجير أو الإبادة أو التطهير الإثني أو الاندماج القسري.

إن إشكالية ربط الهوية بالجغرافيا، وإن تبدو طبيعية في ايديولوجية الدولة–الأمة، قد تكون انتحارية ودموية، بخاصة في زمن التواصل ضمن مجالات مُتحركة مادية ورمزية، وحيث الأقليات غالبًا ما تكون غير مُتمركزة في مجال جغرافي محدَّد.

منذ خمسينيات القرن الماضي، ألغت سلطات عربية الحقّ الممنوح للطوائف في إنشاء مدارسها الخاصة، وذلك إمّا عن طريق تأميم التعليم وإمّا عن طريق مراقبته بصورة مباشرة، وهذا لم يؤد الى اندماج ثقافي أكبر. كما أُلغي بالتدريج التمثيل النسبي المضمون في المجالس السياسية والإدارات العامة. أمّا في ما يتعلق بنظام الأحوال الشخصية، فإن هذا النظام لا يتمتع بالمساواة مع الشريعة الإسلامية إلا في حالة لبنان، حيث إنه في حال التنازع بين القوانين لا يحظى أي نظام أحوال شخصية بأي تفوّق على طائفة أخرى الأمر الذي يشجّع على تراجع التحايل على القانون.

5

علم تسييس الدين في المجتمعات العربية:
معضلة رسم الحدود

حالات لبنان ومصر والأردن

مقاربة عملانية وإستشراف*

أنطوان نصري مسرّه

بعيدًا عن الايديولوجيات والعقائد ومقاربات تقليدية في الفصل بين الدين والدولة، ما هو واقع التجربة العربية المعاشة في تنظيم العلاقة بين الدين والسياسة او بالأحرى السلطة؟ الدراسة الميدانية حول أشكال احتواء النزاعات المسيّسة دينيًا هي المدخل لسد فراغ نظري وعملي حول الموضوع.

هل أصبحت الاديان اليوم في العالم وفي استغلالها السياسي مجالات سائبة وبدون ضوابط يقتحمها المتنافسون السياسيون ورجال الدين الطامعون في السلطة؟ تشمل الظاهرة أكثر بلدان العالم، وبشكل اكثر حدة المنطقة العربية مهد الاديان الكبرى.

النظرية العلمانية الغربية في أزمة، والعالم العربي يبحث في أجواء تعصب واصوليات عن نموذج عملي لاحتواء النزاعات المسيّسة دينيًا. ما تعيشه أكثر المجتمعات في العلاقة بين الدين والسلطة هو مختبر قد يكون مؤلمًا في بعض مظاهره، لكن دراسته

---

* مداخلة خلال مؤتمر:

"Between World Society and Regional Transformations :
Christians, Christian Churches and Religion in a Changing Middle East" International Conference organized on behalf of the
Commission for Global Church Affairs of the German Bishops Conference, Workshop 2 : "The tension between integration and non integration of church state relations", Roma, 24-26 February, 2016.

ان الدراسة هي في معظمها ثمرة بحث ميداني للمؤلف ودراسة حالات، في لبنان ومصر والأردن، خلال سنة 1990 بهدف بناء نظرية عربية لموضوع العلاقة بين الدين والسلطة في التراث العربي والخبرة العربية المعاشة.

بدون اطر ذهنية مُسبقة هي بالغة الفائدة لاستخلاص نموذج عربي في تنظيم العلاقة بين الدين والسلطة.

تعاني الانظمة العربية من إنتشار تيارات تعصب ومن استغلال الدين في التنافس السياسي، وبشكل عام من مجال ديني سائب يخترقه سياسيون ورجال دين للتعبئة السياسية. كيف تنتظم العلاقة بين الدين والسلطة religion et pouvoir؟ ما هي النماذج العملية في البلدان العربية والتي يمكن اعتبارها مدخلاً لدراسة تنظيم الدولة للمجال الديني؟

الحالات الابرز في المنطقة هي حالات مصر والاردن ولبنان. ان لمصر ولبنان، بسبب وضعهما السكاني (الانفجار السكاني بالنسبة لمصر والتعددية الدينية بالنسبة الى لبنان)، وبسبب تجربتهما الديمقراطية في اطار تعددية حزبية، دور في صياغة تنظيم العلاقة بين الدين والسلطة في الانظمة العربية المعاصرة.

ان الباحثين العرب في قضية العلاقة بين الدين والسياسة عامة هم أسرى اما نموذج يُسمونه غربيًا، في الفصل بين الدين والدولة، او نموذج ديني معاكس يعتبرونه اسلاميًا. ليس النموذج الاول غربيًا بل على الاصح فرنسي ونابع من ايديولوجية الثورة الفرنسية او من تفسير مجتزأ لقول المسيح: "اعطوا لقيصر ما لقيصر ولله ما لله". اما النموذج الثاني فلم يُدرس بواقعية لا في التاريخ العربي ولا في الممارسة السياسية. ان التجربة المعاشة وخصوصا الدراسة المقارنة الامبريقية والميدانية لحالات مُتعددة ولفعالية مختلف السبل هي التي تسمح باستخلاص نموذج عربي يخرج التنظير العربي المعاصر، والاسلامي عامة، من أسره واغترابه ويُغني الدراسات المقارنة على المستوى الدولي.

تختلف الاديان في عقائدها ولكنها تجابه كلها بدون استثناء جدلية استغلال الدين في التنافس السياسي وهي المعضلة التي تُشكل المنطلق لتنظيم العلاقة بين الدين والسلطة. يطمس توقف الباحثين على مستوى العقائد المشكلة الاساس في احتواء النزاعات المسيسة دينيًا. تصيب هذه المسألة كل المجتمعات. انها تتخذ ابعادًا أكثر خطورة في العالم العربي حيث نشأت الاديان الكبرى. ان التحول عن هذا الغنى نحو تسويد الدين الواحد أو كيانات طائفية هو مناقض للمسار التاريخي العربي والاسلامي عامة في تنظيم العلاقة على اسس براغماتية فاعلة وغير منافية للحرية.

هناك اجماع بين المفكرين على رفض السلطة الدينية على اعتبار انها خارجة عن مفاهيم القرآن ولكن ما هي المؤسسات التي تحول دون الاحتكام الى الشارع وتنظم الفصل

الوظيفي بين الاختصاصات والسلطات وتلملم المصالح وتحتوي النزاعات؟ تحول الدين سياسيًا وعمليًا وبسبب فقدان الضوابط في بعض المجتمعات العربية، خصوصا تلك التي تتمتع بدرجة من الديمقراطية، الى مجال سائب No man’s land يخترقه رجال دين ورجال سياسة طامعون في السلطة وباحثون عن شرعية ذات مصدر إلهي غير قابلة للنقد.

يفتقر العالم العربي الى نموذج في تنظيم العلاقة بين الدين والسلطة بالرغم من غنى التجربة العربية التاريخية والمعاصرة. يظهر الفراغ في تأرجح المنظرين ضمن العموميات المعروفة في الدين والدولة والشريعة والعلمانية... تسمح الدراسة الامبريقية الميدانية وخصوصًا دراسة حالات باستخلاص نموذج يشكل اطارًا في التنظير كما في انتظام العمل السياسي.

انطلقت الجدلية في الغرب من السياسة لضبط الفصل الوظيفي بين الهيئات الدينية والسلطات السياسية التنفيذية. يجب ان تنطلق الجدلية في العالم العربي من الدين لحمايته من التسييس والحفاظ على جوهره تجاه التنافس السياسي.

1
تشابه الاديان في ثلاثة امور: التسييس والمأسسة وحتمية التنظيم

تُظهر الملاحظة المباشرة التي هي المنهج الاول في العلوم الاجتماعية ان كل الاديان مُتشابهة تجاه جوهر السياسة بعكس ما يرد في الكتب اللاهوتية او الشرعية حول تباين هذا الدين عن ذاك. يظهر للباحث الميداني في العلاقة بين الدين والسياسة ان هذا التشابه يشمل ثلاثة امور لها ارتباط بالسياسة:

1. كل الاديان مُعرضة للتسييس او الاستغلال السياسي في حال توفر حد أدنى من الديمقراطية: كل الاديان بدون استثناء هي مُرغمة على ايجاد اطر تحول دون الاستغلال المولد لنزاعات غير قابلة للتسوية كالشؤون الاخرى. ان الذين يذكرون قول المسيح: "اعطوا لقيصر ما لقيصر ولله ما لله" يغفلون مقدمة النص التي هي اساس المعضلة. جاء في المقدمة:

"ان الفريسيين أرسلوا اليه جواسيس يراؤون انهم صديقوّن لكي يأخذوه بكلمة فيُسلموه الى سلطة الوالي فسألوه قائلين: "يا معلم أيجوز لنا ان ندفع الجزية لقيصر ام لا؟ واذ ادرك مكرهم قال لهم: اروني دينارًا. لمن هذه الصورة؟ وهذه الكتابة؟ قالوا: لقيصر. قال لهم: ردوا **ما** لقيصر لقيصر **وما** لله لله. فلم يستطيعوا ان يأخذوا عليه شيئًا في هذا الكلام أمام الشعب، بل دهشوا من جوابه ولزموا الصمت" (لوقا، 20، 20–26، متى 22، 15–22، مرقص 12، 13–17).

لم يجب المسيح عن السؤال – الحيلة. كل المعضلة في عبارة "**ما**": لم يُحدد المسيح **ما** هو لقيصر **وما** هو لله، لان في ذلك مأساة الانسان في التوفيق وايجاد الضوابط. والمسيح نفسه، من الناحية البشرية، حكم عليه بالموت لاسباب سياسية لانه، في حياته العامة، أصبح يُهدد السلطات القائمة بالرغم من تكراره ان مملكته ليست من هذا العالم وبالرغم من عدم إدلائه حتى تلميحًا باي نقد تجاه السلطات السياسية او سعيه الى منافسة هذه السلطات. اما نبي الاسلام فكان قائدًا دينيًا وسياسيًا، سعيًا للتوفيق بين الديني والدنيوي. تجنّب بذلك المأساة البشرية في التوفيق ولكن المعضلة قائمة وشاملة بعده، حيث انه خاتمة الانبياء ولا احد بعده هو الناطق الرسمي باسم الله.

ليس في نص الانجيل فصل بالمعنى المتداول، بل مشكلة استغلال الدين في السياسة او متاجرة قيصر بالله. في مجال آخر طرد المسيح التجار من الهيكل مؤكدًا على عدم المتاجرة بالاديان. يفترض الحؤول دون الاستغلال والمتاجرة فصلا **وظيفيًا** بين الهيئات الدينية والدنيوية لا "فصل" الدين عن الدولة. تكمن المعضلة في حماية الدين من السياسيين ومن رجال الدين الطامعين في السلطة.

كما في تجار الهيكل في الانجيل، يطالع القارئ المصري في صحفه اليومية تحقيقات حول "الباعة الذين يتسللون حتى الى المساجد"[5] "واسوار جامع ابن طولون التي تحولت الى مرعى للاغنام ومدفن الحيوانات النافقة" [6]، "وتعرض ساحة ميدان مسجد العارف بالله بمدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ لتعد صارخ من الباعة الجائلين بعربات اليد وتجار الفاكهة والخضروات"[7]، "ولصوص مساجد الغربية" [8].

---

[5]. **الاهرام**، 1978/9/3.
[6]. **الاهرام**، 1987/8/2.
[7]. **الاهرام**، 1987/10/12.
[8]. **الوفد**، 1985/11/21.

تشمل تاليًا مسألة استغلال الدين بواسطة التحايل المصلحي والسياسي كل الاديان ما دامت السياسة سياسة والبشر يتنافسون سياسيًا. كل طرح آخر للجدلية فيه شيء من الالحاد أو عدم الواقعية. تظهر دراسة التاريخ الاسلامي واقعيًا ان اكثر القرارات كانت تتخذ لاسباب تتعلق بمنطق الدولة ولكنها تنسب الى الدين لتبريرها او استغلالها. يبحث بعض المؤلفين المصريين في تطبيق الشريعة الاسلامية او في العلمانية ويبحث آخرون عن صيغة يسمونها توفيقية، بينما يستحيل "التوفيق" في أمور دينية جوهرية. ليس البحث في تقنين وتنظيم وضبط العلاقة بحثًا توفيقيًا، بل بحثًا اساسيًا من منطلق الواقع السياسي وضرورة احتواء النزاعات وحماية الدين من السياسيين ومن رجال الدين الطامعين في السلطة.

أغفلت دراسة التمييز بين الديني والدنيوي من زاوية الفلسفة السياسية أو الحق العام موضوع استغلال النخبة السياسية للدين في التنافس السياسي. من هذا المنطلق يقتضي عدم المبالغة في تنظير التمييز بين الديني والدنيوي بأغفال الدافع الاصلي اليه. من هنا ايضا ضرورة وضع نظرية عامة للتسييس واجراء تحاليل عملية لممارسته لانه ينتشر اليوم بفضل عوامل متعددة، منها وسائل الاتصال الجماعية، ولانه عامل نزاع وعنف في المجتمعات.

انطلاقًا من التمييز بين السياسة والتسيّس Politisation والتسييس Politification، ومن علم سياسة الدين politologie de la religion (والذي لا علاقة له لا بالدين ولا بالإيمان) يُمكن تحديد التسييس بأنه مناورة تهدف الى استغلال القدرة النزاعية للسياسة بشأن الفروقات الاساسية في المجتمع، لا لمعالجة هذه الفروقات أو إحتوائها بل للتنافس بين النخب، وذلك بالتلاعب بواسطة الحيلة على جدلية الخاص والعام وعلى عامل المظهرية، في الانظمة التي تسمح بحرية التنافس السياسي بين النخب. لكل موضوع مطروح سياسيًا ناحيتان: ناحية سياسية ذات طابع زراعي، صناعي، اقتصادي، تربوي أو غيره، وناحية تسييسّية يجب معالجتها كوسيلة تكتيكية في التنافس والتعبئة النزاعية.

ما هي المواضيع القابلة للتسييس؟ من هم القادرون على التسييس؟ ما هي وسائل التسييس ومفاعيله؟ وكيف يمكن الحد منه؟ القادرون على التسييس هم النخبة القممية اي الاقطاب الذين يتمتعون عمليًا بالحصانة الجزائية. يستغلون المظهرية apparence الملازمة لجوهر السياسة، بمعنى انهم يدافعون عن غاية مُعلنة لهدف غير مُعلن مرتكزين على عنصر الاخفاء. ينجح التسييس بفضل الالتباس: يقوم الواحد بالجدل متلبسًا بالدين

بينما يجيب الآخر حول الموضوع الوضعي مساهمًا بتصرفه هذا على اخفاء الوظيفة الكامنة للتسييس. بذلك تنحرف السياسة عن اهدافها وتصبح عامل اغتراب وإحباط وسلوك عدواني ويستمر التخلف لأن الامور تُطرح للتنافس لا للمعالجة. ان الشباب، بسبب قابليته الايديولوجية وإستعداده للتعبئة السياسية، هو ضحية ومُشارك في التسييس.

يفترض الحد من التسييس وضوحًا في الرؤيا في التعليم الجامعي وفي البحث لتجنّب معالجة موضوع تسييسي كمشكلة تقنية وضعية. لا شك ان هذا الوعي صعب في ذهنية عربية قد تنحو الى التحليل التوحيدي أكثر منه الى التمييز.

ان المجتمعات العربية التي تتمتع بدرجة من الديمقراطية ومن الحريات الاعلامية مُهددة في استقرارها لا فقط بسبب حدة الفروقات الطائفية أو اللغوية أو الاتنية بل بسبب تسييس هذه الفروقات في التنافس السياسي والتعبئة بين النخب الاساسية. هذا التسييس قد يظل قائمًا حتى في حال معالجة هذه الفروقات او احتوائها سياسيًا. هذه المجتمعات هي بحاجة الى الحد من التسييس من أجل احتواء النزاعات فيها ومن اجل استقرارها وفعاليتها. ان التسييس مرتبط ايضا بحدة التباينات في المجتمع وبدرجة تراكمها. ان التخطيط الثقافي – الاجتماعي–الاقتصادي المتوازن يعزل العامل المذهبي عن التباينات الاخرى المرادفة له فيجعله أقل استقطابًا.

ان البلدان التي تعتمد الاسلام "دينًا للدولة" تشكو من عمل سياسي مخالف للاسلام والذي يقوم "باسم الاسلام". كيف يمكن في العمل السياسي، وبعيدًا عن العقائد، التمييز بين سياسة اسلامية فعلاً وسياسة "باسم الاسلام"؟ لا يكفي ان تذكر الدساتير ان "الاسلام دين الدولة"، بل يجب ايجاد اشكال مؤسسية تحول دون تسييس الاسلام خلافًا للاسلام.

2. كل الاديان تنحو الى المأسسة: تسعى الاديان الى توطيد دعائمها ضمن مؤسسات اما لاهداف تنظيمية دينية وتبشيرية واما لاهداف سلطوية. ان القول انه لا يوجد في الاسلام "سلطة" دينية أو كنيسة أو اكليروس هو قول عقائدي يتجاهل الواقع المعاش. عندما يتساءل فهمي هويدي: "من يفتينا وكيف؟"[9] فهذا يُعبّر عن خطورة الانفلاش والفوضى في الاجتهاد وفي التأويل اذا افتقر الدين الى مؤسسات (وان كانت مجرد مؤسسات بحثية أو فكرية) تتمتع بدرجة من الشرعية الاجتماعية. وعندما يسعى بخاصة منذ 1977 ائمة

---

[9]. فهمي هويدي، **الدين المنقوص**، القاهرة، مركز الاهرام للترجمة والنشر، الطبعة الثانية، 1988، 312 ص، ص 145 – 152.

المساجد والقراء والوعاظ والمأذنون الشرعيون في مصر بانشاء نقابات خاصة بكل منهم لاهداف لها مبرراتها[10] فهذا يعني ايضا ان الاديان متشابهة في توجهاتها (التي تختلف شكلاً) نحو المأسسة. ان لم يكن في الاسلام اكليروس فانه من المحتم الاقرار باختصاص الائمة والدعاة. في 15 كانون الاول (ديسمبر) 1987 حين اشتدت بعض الانتقادات تجاه رجال الدين الذين اعتبروا موالين للسلطة، قال وزير الاوقاف، الدكتور محمد علي محجوب: "على الشباب ان يعرف ان الائمة والدعاة هم المتخصصون في فقه العبادات واصول الدين وقواعده وكما ان لكل مهنة علمائها ومفكريها (...). هنا يجيء دور علماء الازهر والاوقاف معًا في تصحيح المسيرة".

3. كل الاديان هي بحاجة الى تنظيم علاقتها مع الدولة: ان اختصار الاسلام بثلاثة "د": دين ودنيا ودولة، او مجرد اعتبار "الاسلام مصدر التشريع" هو إختزال للجدلية التي لا مفر منها في تنظيم علاقة وفي رسم حدود السلطات والاختصاصات وتحديد صلاحية السياسة في اللجوء الى القوة المنظمة.

ان جدلية الديني والدنيوي هي جزء من نظرية دستورية مُتجددة في فصل السلطات. فكما انه يقتضي الفصل وظيفيًا بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، يجب الفصل وظيفيًا بين السلطات السياسية التنفيذية والهيئات الدينية. اننا نجد اثباتًا لذلك في الحوار التالي الذي نشرته **الاهرام** ضمن تحقيق حول أحداث عين شمس:

" – قال الرجل: سمعت من شخص مسيحي يُدعى اسكندر ويعمل ميكانيكي حين كان يستدعي معاونه بالسب والاهانة التي وصلت لسب الدين، فتدخل احد افراد هذه الجماعات وقام بضربه (...).

– الشيخ ابراهيم عبد الرازق (صاحب مكتبة آدم المواجه للمسجد)**:** اليس سبّ الدين خطأ يستحق العقاب؟

– الرجل يرد: ولكن هذا ليس من سلطتهم... هناك ولاة للامور هم المسؤولون عن هذا"[11].

---

[10]. **الاهرام**، 1977/10/3، و 197/4/21 و 1979/4/20 و 1979/5/6، **مايو**، 1982/6/14، **الاهالي**، 1984/4/4.

[11]. **الاهرام**، 1989/1/30.

تعتبر بعض الصحف ان عام 1988 هو عام اقتحام المساجد في مصر. بدأت سلسلة من الاقتحامات في نيسان (ابريل) 1986 واستمرت حتى استفحلت عام 1988. تسرد جريدة **الشعب** 180 حالة اقتحام سنة 1988[12]. يُعدد حسنين توفيق ابراهيم ويحلل مؤشرات العنف السياسي في مصر[13]. وفي قراءته المتلفزة لبيان **العلماء** شدّد اكثر الفقهاء المصريين شعبية، الشيخ محمد متولي الشعراوي، على "ان الاسلام هو دين الحوار لا العنف". ونشرت **الاهرام** سلسلة مقالات خلال كانون الثاني وشباط 1989 (يونيو وفبراير) تحت عنوان: "الذين يريدون حكمنا". كتب فيها عبد العزيز حمود قائلاً: "ادت ممارسات الجماعة الاسلامية داخل الجامعة والقائمة على ضرب الطلبة بدعوى تغيير المنكر ومنع الاختلاط الى فرز تيار رافض داخل الجامعة قام لأول مرة بتنظيم مسيرات واسعة النطاق للتنديد بالتطرف والارهاب وتوزيع بيان شيخ الازهر بين الطلبة لتوضيح حكم الاسلام في اللجوء الى العنف"[14].

في التمييز بين الدين القائم على **الايمان** وبالتالي القناعة الذاتية، والسياسة حيث يحق اللجوء الى **الاكراه** الملازم للسياسية تكمن جدلية تنظيم العلاقة بين الدين والسلطة. يقول عميد كلية الطب في جامعة القاهرة: "لسنا ضد الدين ولكن ضد العنف" ويجاريه الطلاب الذين يقولون: "نريد تطبيق الشريعة الاسلامية لكن بغير القوة. الفكر الاسلامي ليس ميدانًا للهواة بل يجب ان يُفسره علماء مشهود لهم بالصلاح"[15]. كشواهد في اللجوء الى الاكراه من قبل هيئات دينية أو تحت ستار الاديان نذكر انه قام عدد من المُدرسين الملتحقين بمدرسة منيّة الاعدادية للبنات بمركز شبين القناطر يوم 31 يناير 1989 بالاعتداء على مدرسة لاجبارها على ارتداء النقاب[16] .في تحقيق حول احداث المنيا يتحدث احد المواطنين عن "تشييد مسجد في اقصى الحدود الجنينة اطلق عليه دار الخلافة ولم يكتمل بناؤه بعد وهناك يمارسون القصاص على كل من تسول له نفسه الخروج على شرعها والبداية دائمًا: الاخوة عايزينك في المسجد"[17].

---

[12]. **الشعب**، 1988/12/17.

[13]. حسنين توفيق ابراهيم، "ظاهرة العنف السياسي في مصر"، في كتاب: د. علي الدين هلال (محرر)، **النظام السياسي المصري: التغيير والاستمرارية**، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، مكتبة النهضة المصرية، 1988، 1080 ص، ص 710-981.

[14]. **الاهرام**، 1989/2/2.

[15]. **الاهرام**، 1989/2/1.

[16]. **الاهالي**، 1989/2/8.

[17]. **روز اليوسف**، 1989/2/6.

ان النصوص التي اعتبرت المرجعية الاساسية في مسألة العلاقة بين الدين والسلطة ليست تاليًا: "اعطوا لقيصر ما لقيصر..." أو "مملكتي ليست من هذا العالم" ولا بعض النصوص التي يردّدها باحثون في الاسلاميات. ان النص الاساسي بالنسبة الى المسيحية هو المقدمة التي تسبق مباشرة سؤال "الجواسيس". اما بالنسبة الى الاسلام فهو مبدأ: "لا اكراه في الدين" (سورة 2، 256).

حيث ان كل مسألة تصبح سياسية عندما ترتبط بسلطة الدولة، فان حق اللجوء الى الاكراه على المستوى العام هو من جوهر صلاحية الدولة، بينما الدين قائم على الاقناع وعلى قيم وشرائع. تتمتع السلطة السياسية التنفيذية وحدها بحق تامين تطبيقها وتحديد مجالي الخاص والعام فيها.

ندرس في ما يلي ثلاثة حالات، في لبنان ومصر والأردن، بنهج امبريقي لاستخلاص أصول في رسم الحدود بين الدين والسلطة.

2
لبنان: معضلة رسم الحدود بين الدولة والطوائف

يظهر التحليل التجريبي للتسييس في لبنان ان كل المواضيع قابلة للتسييس المولّد للعنف: القداسة (بمناسبة اعلان قداسة الاب شربل سنة 1977)، التربية، الزراعة، الكلام السياسي المتداول، العطلة الاسبوعية، الطوابع البريدية، تاريخ بدء الدراسة في كلية، منح مساعدة مالية، المباراة المتلفزة، وحتى كرسي الاعتراف...؟ الخبير البلجيكي فان زيلاند الذي جاء الى لبنان في الاربعينيات من اجل تنظيم الاقتصاد اللبناني اعلن بعض العجز بعد فترة من اعمال الدراسة وقال لرياض الصلح معللا هذا العجز: "كيف لي، دولة الرئيس، ان اعرف ان التفاح في بلادكم ماروني، والبرتقال مسلم سني، والزيتون ارثوذكسي، والتبغ شيعي، والعنب كاثوليكي؟ ولو اخبرتني بذلك قبل مجيئي الى لبنان لما غامرت بسمعتي كخبير في هذه البلاد التي تنتسب فيها كل ثمرة الى طائفة"[18]. يوضح مفتي الجمهورية اللبنانية، الشيخ حسن خالد، المعضلة بقوله: "المشكلة في لبنان ليست مشكلة مسيحية اكليركية حتى تطرح العلمنة حلا للمشكلة اللبنانية، بل ان المشكلة اللبنانية هي مشكلة

---

[18]. **الحوادث**، عدد 1118، 1978/4/7.

اسلامية – مسيحية، معًا، وليست في جوهرها تدخل الاسلام والمسيحية في السياسة، بل هي مشكلة عكسية تتلخص في تدخل السياسة ورجال السياسة في شؤون الدين والتحدث باسمه"[19]. ان القول بعدم تدخل رجال الدين في السياسة بشكل مطلق يؤدي الى تدخل رجال السياسة في الدين من أجل التعبئة بواسطة التعصب في التنافس السياسي، بينما قد يكون لرجال الدين دور فاعل في شؤون مُحددة لاحتواء النزاعات المتعلقة بشؤون الاديان والتفاعل الايجابي بينها. تثبت القمم الروحية المشتركة والسعي الى احيائها وعقد اجتماعاتها من السلطة المركزية فاعلية هذه القمم إذا ما تمتعت بصفة شرعية في اطار فصل وظيفي للسلطات. الخطورة في تسييس الدين هي ان العقيدة الدينية غير قابلة للتفاوض كالشؤون الاخرى المادية، فينتج عن التسييس تعصب وصراع ونزاع غير قابل للاحتواء.

تشكل ايضا خطبة العلاّمة محمد حسين فضل الله في مسجد بئر العبد، بمناسبة عاشوراء في 15 تشرين الاول 1983، اطارًا عمليًا ومنهجيًا لمقاربة الموضوع: "ان الفصل بين الجانب الروحي والسياسي في الاسلام هو الذي يجعل الحياة السياسية تسير في طريق الضلال (...). يوجد فرق بين الدين والطائفة (...) هناك قومية شيعية وسنية ومسيحية (...). انظروا الى أكثر هؤلاء السياسيين: أغلبهم لا يتدينون بدين المسيحية. انها ورقة يلعبون بها، والاسلام ورقة يلعبون بها. الناس بسطاء: المسيحي لا يشعر بحقد والمسلم لا يشعر بحقد"[20]. ويحلّل العلامة فضل الله ظاهرة محاربة الاسلام في المجتمعات العربية فيقول: "أصبحنا نفكر بعقلية استعمارية ونحن يوحى لنا انها عقلية اسلامية (...). يعيش المسلمون قضية الخلاف المذهبي، حتى ان بعض الدول العربية الاسلامية ليس لها هم في العالم الا ان تقترف مجازر اسلامية (...). تستخدم كل المؤسسات الاسلامية التي تصرف عليها من موازنة المسلمين من اجل مواجهة المسلمين (...) باسم الحفاظ على التوحيد وعلى الاسلام. هكذا نبذل الاموال ونبذل كل المواقف السياسية"[21].

عندما قصفت احدى الميليشيات المطار في بيروت سنة 1983 أسند ذلك الى "الله" في تصريح لأحد القياديين: "ان الله لا يريد ان يسافروا، فأوعز بالقصف. ان الله يرفض (..) ولذلك قصف المطار"[22]. في 29 كانون الاول 1983، أكد المجلس الاسلامي

---

[19]. **النهار**، 1984/3/27.
[20]. **النهار**، 1985/1/5.
[21]. **النهار**، 1985/1/5.
[22]. **النهار**، 1983/12/1.

معارضته بعض التصريحات بشأن "الحقيقة الاسلامية وانطباقها على واقع التعايش"[23]. في الهند تدخلت الشرطة الهندية في 6 تشرين الاول 1983 لمنع اعدام مسلمين دينًا امام محكمتين اسلاميتين في ولايتي جامو وكشمير[24]. بمناسبة الذكرى الثانية، في 11 شباط 1981، للثورة الايرانية انتقد الامام الخميني "تدخل رجال الدين في الشؤون التي هي ليست من اختصاصهم خصوصًا في الشؤون التنفيذية"[25]. وحذر المفكر المصري فهمي هويدي من "تدخل الاسلام في الامور التي يجب ألا ينغمس بها"[26]. وعندما ننظر الى مشاريع التقسيم الطائفي ومشاريع نشر التعصب والعنصرية، ندرك ان قضية الاستغلال السياسي للدين قضية شاملة وانه يجب البحث في التاريخ العربي عن السبل التي اعتمدت لمنع هذا الاستغلال.

يقر النظام اللبناني بشرعية الطوائف ولكن يرسم لها **حدودًا**. لم يؤد نقد هذا النظام الى الانزواء ضمن الحدود، بل الى الانفلاش والى التعدي على صلاحيات الدولة والى انتحال صفة تمثيل الطوائف. حيث ان الطوائف هي هيئات وسيطة تعبّر عن ولاءات مشروعة للمواطنين فلا يمكن بناء الدولة بدون الطوائف او ضد الطوائف بل فوق الطوائف بتحديد العلاقة وتقنينها. يفترض الانسجام ايجاد ضوابط مؤسسية من خلال التجربة اللبنانية وفتح قنوات تواصل لا تحتكر فيها الطوائف العلاقة، وذلك على عدة مستويات (النظام الانتخابي، مجلس اجتماعي واقتصادي، بنية مجلس النواب، الجمعيات الثقافية على المستوى الوطني، نظام منفتح في الاحوال الشخصية...).

ان البحث خلال الازمات عن قوة ثالثة وتأليف لجان تنسيق وطوارئ وحوار واجتماعات القمم الروحية وجولات رؤساء الحكومات على رؤساء الطوائف تبيّن الحاجة الى مؤسسة دائمة للطوائف كهيئات دينية تكون هيئة حوار دائمة تحول دون انتحال صفة تمثيل الطوائف من زعامات الاحياء ومن الشارع وتكون تكريسًا مؤسسيًا ذا فاعلية اكبر لاجتماعات ممثلي المذاهب خلال الازمات في لبنان.

يظهر البحث المقارن انه يوجد في المجتمع المتنوع قضايا طائفية وعلاقات بين الاديان والمذاهب يجب تقنينها في مؤسسة خاصة من اجل احتواء النزاعات المسيسة دينيًا

---

23. **النهار**، 1983/1/29.
24. **النهار**، 1983/10/6.
25. **النهار**، 1981/2/11.
26. **الحوادث**، عدد 1267، 1981/2/13، ص 52 – 54.

والحؤول دون انتحال الصفة التمثيلية للطوائف. هنا تكمن معضلة الهيئات الوسيطة بين الدولة والمواطن. لا يمكن المعالجة بتجاهل الطوائف او بإلغائها بل بشكل تكون فيه الدولة فوق الطوائف وليس ضد الطوائف.

تدخل شؤون الاحوال الشخصية حسب المادة 9 من الدستور اللبناني في هذا الاطار. لكن قضايا الاديان والمذاهب والعلاقات بينها هي اوسع من الاحوال الشخصية. لا يتوفر لهذه القضايا في لبنان قنوات لضبطها واحتواء نزاعاتها والحؤول دون تسييسها بالمتاجرة بها اسلاميًا ومسيحيًا من سياسيين ومن رجال دين. يمكن تحديد شؤون الاديان والمذاهب والعلاقات بينها استنادًا الى محاضر اجتماعات القمم الروحية ومجالس الملل. ان مسألة العيش المشترك في الجنوب على إثر الانسحاب الاسرائيلي وقضية عودة المهجرين من مختلف الطوائف الى قراهم هي امور من صلاحيات ممثلي الهيئات الدينية والمذهبية لا من صلاحية زعماء احياء او تنظيمات مسلحة.

يقتضي تاليًا حصر قضايا الطوائف وعلاقاتها في مؤسسة يستلهم تنظيمها من القمم المسيحية–الاسلامية التي تجتمع خلال الازمات. ان تقنين قضايا الطوائف في هيئة مشتركة يسد فراغًا في تنظيم شؤون الطوائف واحتواء النزاعات المسيسة دينيًا. اما الوسائل التنظيمية فيمكن تلخيصها باثنتين:

1. **مأسسة اجتماعات القمم الروحية المشتركة التي تجتمع خلال الازمات:** ان الهدف من هذه المأسسة هو ضبط الشارع الطائفي وعملية انتحال صفة تمثيل الطوائف من الشارع. ان انظمة الاحوال الشخصية التي ترعى الطوائف وانظمة هذه الطوائف في بعض المجالات تفتقر في لبنان الى هيئة تنسيق عليا (باستثناء دور محكمة التمييز في الاحوال الشخصية) معترف بها. يمكن ان يؤلف رؤساء الطوائف في لبنان هيئة دائمة مرتبطة بمجلس الوزراء وذات صفة **استشارية** في الشؤون المتعلقة بالاديان والمذاهب، ومنها قضايا الاحوال الشخصية، والتعليم في المدارس التي تديرها هيئات دينية، وحق التنقل والسكن لابناء مختلف الطوائف في كل المناطق، والخطب في اماكن العبادة، والعلاقات الروحية وارساء اسس الحوار بين الاديان وصيانة وانماء ميثاق العيش المشترك في كل المجالات.

ان المؤسسات الدينية هي اقدر على معالجة امورها بشكل تقريري واحتواء نزاعاتها بدلاً من الدكاكين الطائفية، وذلك لاسباب ثلاثة:

1. ان لرؤساء الطوائف نظرة شمولية لابناء مذاهبهم في كل لبنان بينما ينظر السياسي الى طائفته في منطقته او حتى في الحي الذي يقطنه. ان النظرة الشمولية الى الطائفة في وضعها السكاني في كل لبنان تحتوي بذاتها على عنصر توحيد وضبط النزاعات وتسويتها.

2. ان قيادات الطوائف غير مرتبطة بالعملية الانتخابية التي تحمل السياسيين على تسييس الدين للوصول الى اهداف سياسية، انها بالعكس تتمتع بصفة الثبات.

3. ان القيادات الدينية في لبنان تتمتع بسبب دورها ومكانتها بدرجة أعلى من التسامح الضروري في المجتمع. يذكر في هذا المجال القمة الروحية اللبنانية المشتركة في الكويت بدعوة من "اللجنة العربية السياسية للاتصال والمساعي الحميدة للبنان" بين 20 و24 شباط (فبراير) 1989. يوجد في بلجيكا وماليزيا مؤسسات من هذا النوع ذات صلاحيات دائمة للنظر في العلاقات بين الاديان والمذاهب. اوجدت بعض الدساتير (بلجيكا وافريقيا الجنوبية وقبرص سابقًا...)، مجموعة قضايا تعتبر "قضايا ذات طابع شخصي" او "مرتبطة بشؤون السود" او "بالطوائف".

تنظر مجالس الطوائف في اجتماعاتها الدورية في قضايا التوازن والمشاركة والحقوق والكيان والضمانات...، لكن هذه المجالس لا تتمتع بصفة شرعية. يستولي سياسيون على الطروحات هذه ويسيسونها. ان قضايا الاحوال الشخصية غير خاضعة للتسييس الديني لانها من صلاحيات الطوائف صراحة وبصورة شرعية، فلا يتدخل فيها سياسيون. ينسجم هذا التحليل مع تصريح بطريرك الروم الكاثوليك، مكسيموس الخامس حكيم، حول "ضرورة انشاء مجلس مسيحي اعلى"[27]. وكذلك مع تصريح نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حول انشاء "هيئة لبنانية عليا تنظر بعدالة في المخاوف وتوجد الضمانات ضد هذه المخاوف"[28]، واقتراحه "تشكيل لجنة مسؤولة تبحث في كل نوع يفترضه العقل من انواع الضمانات" [29]. ان قضية الحدود بين

---

[27]. **النهار**، 1984/5/6.

[28]. **النهار**، 1984/3/19.

[29]. **النهار العربي والدولي**، عدد 381، 1984/8/26.

Antoine Messarra, “The accommodation between communities in Lebanon: Parliament and paraparliaments in plural societies”, *Social Compass* (International Review of Sociology of Religion), 40 (4), 1988, pp. 625-636.

الطوائف كهيئات وسيطة والدولة هي مسألة تقنين علاقة بهدف الانسجام بين الدين والدولة ومسألة فتح مجال محايد لا تحتكر فيه الطوائف العلاقة.

2. **التقيد بروحية الهيئة الانتخابية الموحدة:** ان نظام المشاركة في لبنان، بعكس الرأي المتداول، يخفف من التسييس الطائفي، ولكنه يقتضي اعتماد منطلقين لحصر تسييس الدين: الحد اولاً من هذا التسييس بتغيير وسائل العمل السياسي التحتية في وسائل انتقاء النخبة وذلك بتشجيع السلوك التعاوني بين النخب بدلاً من السلوك التنافسي المطلق، وثانيًا باضعاف عنصر الاستقطاب الطائفي بفضل تخطيط ثقافي – اجتماعي – اقتصادي يعزل العامل الديني عن التباينات الاخرى المرادفة له فيجعله اقل استقطابًا.

تكمن معضلة التمثيل النيابي في لبنان في التوفيق بين التمثيل الوطني وتمثيل الطوائف. اعتمد النظام اللبناني لحلها مبدأ الهيئة الانتخابية الموحدة Collège électoral unique، الذي بموجبه يشترك ناخبون من طوائف مختلفة في انتخاب مرشحين من طوائف مختلفة، بدلاً من ان يُشكل الناخبون في كل طائفة على حدة هيئة انتخابية منفردة لانتخاب ممثلين عنهم. تنص المادة 3 من قانون الانتخاب تاريخ 26 نيسان 1960 في هذا الصدد على ما يلي: "يُحدد عدد نواب كل طائفة في كل دائرة وفقًا للجدول الملحق بهذا القانون"، بينما تنص المادة 4 بأن "جميع الناخبين في الدائرة الانتخابية على اختلاف طوائفهم يقترعون للمرشحين عن تلك الدائرة". الغاية من اعتماد ما نسميه مبدأ الهيئة الانتخابية الموحدة هو حمل المرشحين على التعاون والاعتدال، لان المرشح مرغم على الاعتماد على أصوات ناخبين لا ينتمون الى طائفته.

ان حجم الدائرة الانتخابية موضوع رئيسي في العملية التمثيلية في لبنان. يمكن التمييز بين ثلاث مراحل في موضوع حجم الدوائر الانتخابية ابتداء من الدائرة الكبرى على اساس المحافظة (1934–1950)، وانتقالاً الى زيادة عدد الدوائر الى تسع (1951–1953)، وانتهاء الى التصغير من 33 الى 26 دائرة (1953–1972) ثم عودة الى الدوائر الواسعة منذ 1992.

من المعضلات المزمنة في التجربة الانتخابية خلال نصف قرن في ما يتعلق بمبدأ الهيئة الانتخابية الموحدة انه خلال الازمات ينافس المجلس النيابي مجالس تُمثل الطوائف مباشرة، او "الشارع" الذي هو مؤسسة فعلية تنتحل صفة تمثيل الطوائف. انها الظاهرة السلبية لحسنات الهيئة الانتخابية الموحدة: حيث ان المبدأ يرغم على الاعتدال (وان كان ذلك نسبيًا)

فانه قد يعزل عن المجلس النيابي الممثلين "الحقيقيين" للطوائف، او الذين يعتبرون انفسهم كذلك او ينتحلون هذه الصفة، مما يؤدي خلال الازمات الى ظهور قمم ومجالس خارج المجلس تحد من دور المجلس النيابي الشرعي. انها ظاهرة مُستمرة ترتبط معالجتها بموضوع حجم الدائرة وبكيفية تمثيل الطوائف المؤسسي. ان جولة الرئيس رشيد الصلح في نيسان 1975 بين رؤساء الطوائف لاحتواء النزاع هو مظهر من مظاهر النظام اللبناني خلال الازمات.

حين تحتاج البلاد الى دور نيابي بدون منافس تسعى كل مجموعة من الطوائف الى التعبير عن ارادتها في هيئات منفردة من خلال من تعتبرهم القيادات الطبيعية. فيتحتم على السلطة التنفيذية اجراء مشاورات مع ممثلي الطوائف بين القوى السياسية او الفعاليات. لم ينعدم دور المجالس النيابية في لبنان خلال التاريخ النيابي، ولكن منافسة القمم والشارع تحد من هذا الدور بالرغم من جهود رئاسة المجلس والكتل، اذ ان السبب هو بنيوي يكمن في بعض جوانبه في مبدأ الهيئة الانتخابية الموحدة وطريقة ممارستها. لكنه في السنوات 2015–2017 ولدى وضع قانون انتخابي جديد جرى تضخيم لهذه الظاهرة. ان النظام اللبناني القائم على التفاوض من اجل احتواء النزاعات يقضي بتوفير قناة مشتركة بين الطوائف تضبط الشارع (الرسم البياني رقم 1).

الرسم 1 – مجلس النواب ومجالس الطوائف وسياق التسوية خلال الازمات في لبنان:
1976-1975

الوظائف والخلل في احتواء النزاعات

3
مصر: من هم ولاة الامور؟

تُشكل التجربة المصرية اختبارًا ونموذجًا عمليًا، في الكثير من جوانبه، لاحتواء النزاعات المسيّسة دينيًا. ان اختصار الاسلام بثلاثة "د": دين ودنيا ودولة، او مجرد اعتبار "الاسلام مصدر التشريع" هو اختزال لجدلية تنظيم الدولة للمجال الديني ورسم حدود السلطات والاختصاصات وتحديد صلاحية اللجوء الى القوة المنظمة.

تكمن المعضلة في السؤال الذي يُطرح بوضوح في الواقع المصري: من يحق له المنع واللجوء الى القوة لفرض المنع؟[30] في التمييز بين الدين القائم على الايمان، وحق اللجوء الى الاكراه الملازم للسياسة تكمن جدلية تنظيم العلاقة بين الدين والسلطة. يمكن رصد اربع وسائل تنظيمية في التجربة المصرية:

1. امتداد اشراف وزارة الاوقاف على كل المساجد: اكتسبت المساجد الاهلية، على كثرتها، اهمية سياسية كبرى تلح بضرورة ضمها الى وزارة الاوقاف. صدر في هذا الصدد القانون رقم 157 لسنة 1960 الذي ينص بضمّ المساجد الاهلية الى وزارة الاوقاف. لكنه لم يتيسّر ضم هذه المساجد لاحتياج معظمها الى المعاونة المالية سواء اكانت للتعمير او لاقامة الشعائر. ايدت محكمة القضاء الاداري بمجلس الدولة قرار وزير الاوقاف بضم المساجد الاهلية. اعتبرت المحكمة ان قانون تنظيم وزارة الاوقاف الصادر عام 1959 يقضي بان تتولى الوزارة ادارة تلك المساجد سواء صدرت قرارات باشهارها او لم تصدر. لا يمر يوم الا وتقرأ في الصحف المصرية عن انضمام مساجد اهلية الى وزارة الاوقاف مما يسمح لهذه المساجد بالاستفادة من تقديمات الوزارة. لكن اشراف الوزارة على حوالي 25000 مسجد اهلي في السنوات 1990 يكاد يكون اشرافًا محدودًا بسبب قلة الامكانات.

2. التنسيق في خطبة الجمعة: ان اقتراحات التوحيد او التنسيق في خطبة الجمعة قديمة وحديثة في آن. انها تثير ردود افعال متباينة من العلماء بين الرفض الكامل والتأييد بشروط. من بين الشروط الا تكون الخطبة الموحدة صدى لما تهدف اليه السلطة وان يتم

---

[30]. يراجع الحادثة الواردة سابقًا (مرجع رقم 7) في **الاهرام**، 1989/1/30.

اختيار الموضوعات مع ترك حرية للخطيب بمعالجتها. ان الدورات التدريبية التي تُنظمها وزارة الاوقاف واستعانتها بخطباء مؤهلين هي وسائل غير مباشرة لضبط الانفلاش في خطبة الجمعة.

3. البحث المستمر عن تحديد لصلاحيات وزارة الاوقاف: ان تاريخ وزارة الاوقاف المصرية هو تاريخ التوسيع او التضييق في صلاحياتها تبعًا للمفاهيم الظرفية السائدة حول الدين ومدى شموليته المجال السياسي. تُشكل وزارات الاوقاف عامة في المجتمعات الاسلامية او وزارات الشؤون الدينية والمقدسات اطارا لتنظيم علاقة انسجام بين الدين والسياسة بدلا من علاقة تجاهل او عداء. يُستخلص من التجربة التاريخية لوزارة الاوقاف المصرية الحاجة الى امرين هما في اساس تنظيم العلاقة بين الدين والسياسة:

– التمييز بين **الصلاحيات** الدينية والصلاحيات السياسية التنفيذية ورسم حدود الاختصاصات.

– ضرورة توفر **المراقبة** التي هي في جوهر القاعدة الدستورية في الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. يهدف المبدأ الدستوري المعروف حول السلطات الثلاث الى الحؤول دون تجاوز السلطة او "لجم السلطة من السلطة" حسب تعبير مونتسكيو.

4. اعلاء شأن جامعة الازهر: ان بيان علماء المسلمين الذي ألقاه في 2 كانون الثاني (يناير) 1989 الشيخ احمد متولّي الشعراوي يُشدد على ثلاثة مفاهيم تشكل اطارًا في بناء نظرية العلاقة بين الدين والسلطة وهي: اولياء الامور وحدود الولاية والضوابط. جاء في البيان:

"اتفق العلماء ان تغيير المنكر باليد واجب على ولي الامر وعلى كل انسان في حدود ولايته وان تغيير المنكر إذا ادى الى مفسدة اشد كان التوقف واجبا لان اباحة تغيير المنكر بغير ضوابط يؤدي الى شيوع الفوضى في المجتمع ويضر بمصلحة الدين والوطن. (...) الثابت في كل العصور ان الذي يقوم بتنفيذ الحدود وتغيير المنكر باليد هم اولياء الامور وحدهم".

تفترض المفاهيم الاساسية الواردة في هذا البيان اختصاصًا سياسيًا متميزًا، أي فصلاً وظيفيًا بين السلطة السياسية والهيئات الدينية.

نعتمد على دراسة حالة تعديل بعض أحكام قوانين الاحوال الشخصية بموجب القانون رقم 100 لسنة 1985 استنادًا الى مضابط جلسات مجلس الشعب[31]. استغرقت دراسة المشروع وصياغته وقتا طويلا في إطار لجنة نيابية مُشتركة مؤلفة من لجنة الشؤون الدستورية والتشريعية ولجنة الشؤون الدينية والاجتماعية والاوقاف ومجمع البحوث الاسلامية وبعض علماء الدين. يصف عضو مجلس الشعب الدكتور احمد هيكل جلسات المجلس لإقرار المشروع بأنها "تاريخية في موضوع شديد الحساسية".

يُستخلص من دراسة الحالة ضرورة التنسيق بين السلطة التشريعية والهيئات الدينية في ما يتعلق بالمواضيع المطروحة على مجلس الشعب والتي تُعتبر مرتبطة بالشريعة، على ان تكون السلطة التشريعية "صاحبة الولاية الاصيلة". يمكن تفصيل هذا المبدأ الى خمسة عناصر استنادًا الى مداولات مجلس الشعب المصري:

1. **التمايز بين الاختصاصات والوظائف:** أثار عضو المجلس، الدكتور عبد الغفار عزيز، مسألة اختصاص رجال الدين في المسائل الشرعية وشكك في اختصاص اعضاء مجلس الشعب في ما اسماه "امور دينية". تطرح المناقشة ثلاثة أنواع من الاسئلة في شأن تحديد تمايز الاختصاصات: هل هيئة العلماء "سلطة" تعلو على كل السلطات وتُمارس تيوقراطية باشكال مختلفة؟ هل يكتفي بهيئة من العلماء مشهود لها بالكفاءة حسب المقاييس الجامعية؟ ام هل يقتضي تنظيم انتخاب هؤلاء العلماء؟ هل الاختصاص في الشريعة تحدده الشهادة ام التاريخ العلمي وما هي التخصّصات المتصلة بالشريعة؟ نورد بعض المقاطع من مضابط الجلسات:

– "السيد العضو الدكتور عبد الغفار عزيز: انبّه حتى لا نتورط ايها الاخوة، ان مثل هذه الامور يجب اطلاقًا الا يُؤخذ فيها بالاغلبية المطلقة، لانها امور دينية شرعية تخصصية ويجب ان تترك للمتخصصين، ويجب الا نورط انفسنا فيها (ضجة) .

– رئيس المجلس (د. رفعت المحجوب): فضيلة الاستاذ ينسى انه يتكلم في المجلس التشريعي صاحب الاختصاص في سن القوانين، وان من حق المجلس ان يستعين بمن يشاء من المتخصصين وقد فعل، ولا يوجد أي حجر–باسم التخصص الذي يستطيع المجلس ان يستكمله–

---

[31]. جمهورية مصر العربية، مجلس الشعب، مجموعة اعمال جلسات مجلس الشعب بشأن القانون رقم 100 لسنة 1985 بتعديل بعض احكام قوانين الاحوال الشخصية (التقرير ومضابط الجلسات رقم 96، 97، 98 في 1985/6/30 و 1985/7/1، الفصل التشريعي الرابع، دور الانعقاد العادي الاول)، 1985، 105 ص.

على اختصاص المجلس صاحب الولاية الشرعية في التشريع وارجو سيادة العضو ان يدخل في الموضوع، فما زال حديثه خارج الموضوع (تصفيق).

– السيد العضو الدكتور عبد الغفار عزيز: هذا هو الموضوع، وهو داخل الموضوع وليس خارج الموضوع.

– رئيس المجلس: الموضوع يحكمه الدستور.

– السيد العضو الدكتور عبد الغفار عزيز: لكن هذه أمور دينية...

– رئيس المجلس: لقد اخذنا الرأي ودعك عن هذا، إنك تضيع فرصتك.

– السيد العضو الدكتور عبد الغفار عزيز: ان ظاهر النصوص ايها الاخوة تعطي انه لا خلاف اطلاقًا او ان ظواهر هذه النصوص لا تتعارض مع الشريعة الاسلامية، لكن قد تؤدي نتائج هذه النصوص الظاهرية الى مخالفة الشريعة (...). هذا أمر ديني ايها الاخوة. وارجوكم الا تتسرعوا او تتورطوا، فأنتم جميعا مسؤولون امام الله اولا، ولستم أهل اختصاص في هذا الموضوع، وهذا لا يعيبكم (ضجة). ولا عبرة بالاغلبية هنا الا بأغلبية العلماء فقط (...).

– السيد العضو الدكتور احمد هيكل: (...) أسفت اشد الاسف للطعن تحت هذه القبة على مجمع البحوث الاسلامية الذي اعتقد انه اكبر واعظم وادق سلطة دينية في العالم الاسلامي والعربي.

– رئيس المجلس: هيئة وليست سلطة، فلا يوجد في الاسلام سلطة دينية (تصفيق).

– السيد العضو الدكتور احمد هيكل: اعلى هيئة دينية لا في مصر وحدها وانما في العالم الاسلامي كله، وهي هيئة كبار العلماء قديما ومجمع البحوث الاسلامية حديثًا".

2. استنارة مجلس الشعب بالهيئات الدينية التي لا يُمكن اعتبارها سلطات: اثيرت في المناقشات مسألة دور كل من مجمع البحوث الاسلامية ومجلس الشعب في صناعة التشريع. يستعمل رئيس مجلس الشعب، الدكتور رفعت المحجوب، عبارة "استنارة" ويستعمل المقرر عبارة "نحتكم الى رأي مجمع البحوث الاسلامية" معتبرًا المشرع "ولي أمر" له الحق في الاستنساب والتقدير.

3. السلطة التشريعية هي صاحبة "الولاية الاصيلة" التي لا تعلو عليها اية سلطة او هيئة اخرى: هل يحق لمجلس الشعب التعديل في آراء واقتراحات مجلس البحوث الاسلامية؟ يجيب رئيس مجلس الشعب بوضوح على هذه النقطة رافضًا اية "وصاية" على المجلس الذي هو "وكيل الامة المنتخب":

- "رئيس المجلس: (...) في اطار شرع الله، للمجلس ان يستعين بمن يريد، وليست لأية هيئة مهما كانت وصاية على هذا المجلس، فهو وكيل الامة المنتخب منها، وهو ارادتها ولا ارادة فوق ارادة المجلس الا شرع الله وحده سبحانه وتعالى (تصفيق) وليستقر هذا المبدأ في ضمير المجلس، وفي ضمير الشعب، لا وصاية لاحد على مجلس الشعب (تصفيق).

4. ضرورة مراعاة الأصول منعًا لأي علاقة سائبة بين السلطات التنفيذية والهيئات الدينية: ان علاقة سائبة، أي تفتقر الى أصول وقنوات تتمتع بدرجة من التنظيم والشرعية، تفتح مجالا لاستغلال الدين في التنافس السياسي. تظهر مناقشات مجلس الشعب في الحالة المدروسة اهمية اتباع الاصول في العلاقة.

5. تقيد مجلس الشعب بقواعد الشريعة الصريحة "والوجه الحقيقي لشرع الله" حسب تعبير رئيس المجلس: تورد اللجنة المشتركة في تقريرها ان "الشريعة الاسلامية تعلو على كل تشريع بحكم انها شريعة منزلة (...) وهي المصدر الرئيسي لتشريعنا بصريح نص الدستور، تتميز بصلاحيتها لكل زمان ومكان وقد اناطت شريعة الاسلام بولي الامر واوجبت عليه ان يُشرع ما يحقق صالح المسلمين في كل زمان ومكان في نطاق الاصول والقواعد الشرعية العامة". وورد في تقرير المقرر: "استشير مجمع البحوث الاسلامية كهيئة دينية اناط بها القانون ان تبدي رأيها في هذه المسائل الخلافية، وجاءنا رأيها وأقرر اننا لم نخالفه نصا واحدا فيما جاؤوا به الينا".

ترسم الحالة النموذجية المصرية الآنفة الذكر بعض مجالات التمييز بين الاختصاصات الدينية والاختصاصات التشريعية. ان عدم رسم الحدود بين الاختصاصات هو مصدر عنف في المجتمعات العربية والاسلامية وهو مظهر من مظاهر الازمة في العلاقة بين الدين والسلطة. لم تثر الانتقادات، الصادرة بوضوح وجرأة عن النساء في مجلس الشعب المصري، نقاشًا جديًا ومعمقًا في مجلس اكثريته مؤلفة من الرجال. تطرح هذه الانتقادات اما مسألة "الوجه الحقيقي للشريعة"، حسب تعبير رئيس المجلس، واما مسألة ايجاد مجال محايد في المستقبل يتوافق مع مبادئ حقوق الانسان ولكنه متمايز عن التأويل السائد للشريعة الدينية.

يتمتع القضاء المدني المصري بتقاليد ليبرالية ترقى الى اكثر من قرن واتيحت له الفرصة مرارًا ليضع قواعده في الدفاع عن الحقوق والحريات الاساسية، خاصة في الحكم الصادر في 1994/1/27 في دعوى التفريق بين الاستاذ الجامعي نصر حامد ابو زيد وزوجته ابتهال يونس بداعي ارتداد ابو زيد عن الاسلام بسبب كتاباته الجامعية. يُستخلص من الحكم رؤية مُتكاملة نقدتها فيما بعد المحكمة الاستئنافية. اجابت حيثيات الحكم على ما ادلت به الجهة المدعية متذّرعة بنص المادة 2 من الدستور المصري من ان: "الاسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسي للاشتراع". يستند هذا الرأي الى اجتهاد المحكمة الدستورية العليا في مصر الذي استقر على ان الخطاب في هذا النص موجه الى المشترع، وليس مؤداه اعمال مبادئ الشريعة الاسلامية مباشرة وقبل صدور إشتراع بها. هذه حيثيات اوردتها المحكمة الدستورية العليا في مصر في قراريها الصادرين في 1985/5/4 و 1987/4/4.

واعمالاً لقانون المرافعات الصادر عام 1968 لم يعد من سبيل لصحة أي مسألة اجرائية الا ان يكون لها سند في القانون وتنص المادة 3 من قانون المرافعات على ان "لا يقبل أي طلب او دفع لا يكون لصاحبه فيه مصلحة قائمة يقرها القانون". والمصلحة القائمة التي يقرها القانون في هذا الصدد هي المصلحة في حماية حق من ابدى الطلب او الدفع او حماية مركزه القانوني الموضوعي، ويجب ان تكون هذه المصلحة مصلحة مباشرة. في الحكم البدائي في 1994/1/27 تفسير لمعنى المادة الثانية من الدستور المصري من ان الشريعة الاسلامية هي المصدر الرئيسي للاشتراع، **حاملا ذلك على انه خطاب توصية للمشترع وليس للقضاء.**

ويمكن ذكر حكم صدر في 1995/3/29 هو قرار محكمة استئناف القاهرة التي فسخت حكم قاضي الامور المستعجلة الذي كان قضى بمنع عرض فيلم **المهاجر** للمخرج يوسف شاهين ومُصادرة نسخه استنادا الى فتوى صادرة في العام 1983 تحرم تجسيد الانبياء. علّلت محكمة الاستئناف قرارها بان المدعي المستأنف عليه المحامي محمود ابو الفيض هو غير ذي صفة لتقديم الدعوى لعدم وجود مصلحة شخصية وقانونية مباشرة لديه لرفع الدعوى. وأشار القرار الى ان المشترع المصري لم يحدّد الحالات التي يمكن للافراد فيها اقامة دعوة حسبة امام القضاء. هذا القرار كان في السياق الطبيعي للاجتهاد المصري الذي يتماشى مع تقليد إسلامي عبّر عنه منذ مطلع القرن الامام محمد عبده، ويتماشى مع

الفكر الحر الذي كان من ابرز ممثليه لطفي السيد وطه حسين. ويترافق مع تيار سياسي مثله في مراحل عدة حزب الوفد المصري.

4
الاردن: علاقة وضوابط

تتميز العلاقة بين الدين والسياسة في الاردن بشمولية رقابة الدولة على المساجد في تشييدها وادارتها وتعيين خطبائها في وضع اقل صعوبة منه في مصر ولبنان لاسباب تتعلق باختلاف الوضع السكاني بين البلدين وبمسار نظاميهما. ان الاردن هو مثال لحالة حيث الدين له تأثير محدود او غير بارز في التنافس السياسي.

أبرز ما في علاقة الدين بالنظام السياسي الاردني هو مبدأ الشرعية والمكانة الدينية للقدس التي شكلت ضابطًا يحمل على الانفتاح والاعتدال من أجل استقطاب كل الاديان. يضاف الى ذلك ان الفلسطينيين، واكثرهم مرتبطون بالاردن، تجنبوا الايديولوجية الدينية في الدفاع عن قضيتهم التي أبرزوها كنقيض للصهيونية، باستثناء مرحلة زجهّم او انغماسهم في اللعبة الداخلية في لبنان.

لكنه في انتخابات 14 آذار 1981 ظهر، حسب بعض المحللين، ميل الى التعصب، تمظهر بعد فترة في المجزرة التي ارتكبتها عناصر من الاخوان المسلمين بحق المعلمين في احد الباصات في منطقة عجلون. وصل الدينيون الى نجاحات نسبية عام 1984 حيث نجح منهم ثلاثة نواب من مجموع ثمانية مقاعد للانتخابات التكميلية. وهناك بعض التنظيمات الشبابية المتطرفة شرق اردنيًا او يساريًا او دينيًا وهي تحمل أسماء مختلفة وبعضها يرتبط بجهات او حكومات خارج الحدود. ويعود نجاح بعض التيارات الدينية المتطرفة في الانتخابات الاردنية الى ضعف المشاركة في الانتخابات.

تضفي العلاقة التاريخية بين الهاشميين والدين شرعية دينية للنظام، بالإضافة الى مصادر الشرعية الاخرى. واكتسب الهاشميون شهرتهم بسبب حكمهم لمكة والاماكن المقدسة منذ القرن العاشر الميلادي. وللأردن ايضا مكانة دينية لوجود الاماكن الدينية فيها وهو يُشارك العراق والسعودية بهذه الصفة ووجود القدس جعل القضية الفلسطينية نفسها تتأثر بوجود القدس.

عرف الاردن موجة بناء مساجد في الثمانينيات لأسباب ايديولوجية وسياسية وبشكل يتعدى الحاجة السكانية، اذ ان الجوامع التي بُنيت حتى 1979 كانت كافية لسد النقص الحاصل خلال المرحلة السابقة بسبب تطوير المدينة السكاني. تبن المساجد الجديدة في الاحياء حيث العقارات أرخص سعرًا أي عمليًا في الاحياء الشعبية المكتظة بالسكان وبتمويل شعبي، بينما تكتفي وزارة الاوقاف بالموافقة على المكان المختار وعلى تصميم البناء وبمنح اعفاءات ضريبية على بعض المواد المستعملة. نظرًا لسعر العقارات المرتفع فان الدولة غير قادرة على تحديد الاماكن. تبني الجمعيات المساجد حيث يُقدم لها عقار، لكن الدولة تسعى بدورها لبناء عدد من المساجد. وتعود الدولة وتتدخل بعد بناء المسجد. تهتم وزارة الاوقاف وفقا لقانون 1966 بصيانة المسجد بعد بنائه وتعيين امامه او تستبدله لاحقًا بآخر مما يسمح باحتواء الحركة الدينية من خلال المساهمة فيها والحؤول دون تحولها الى معارضة سياسية.

يمكن تحديد الوسائل المعتمدة في المملكة الاردنية الهاشمية لتنظيم العلاقة بين الدين والسياسة بأربعة: الاشراف الكامل على كل المساجد، الاهتمام بنشر التثقيف الديني للحد من مجالات تسييس الدين، وتقيد وزارة الاوقاف في حدود اختصاصاتها، وتقنين المشاركة السياسية.

1. تُحدد وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية الاردنية لكل يوم جمعة اسماء أئمة وخطباء ومدرسي المساجد وتعمم اللائحة في وسائل الاعلام. لم يثر هذا التنظيم جدلاً كما في مصر، ولم تترك قضية خطبة الجمعة بدون ضوابط. تذود وزارة الاوقاف الوعاظ والخطباء والمدرسين بارشادات وتنظم لقاءات دورية مع الخطباء والوعاظ العاملين في المساجد، غالبا باشراف وزير الاوقاف نفسه.

2. يسمح الوضع السكاني في الاردن الذي يختلف عنه في مصر، لوزارة الاوقاف الاردنية بالاشراف الفعلي على كل المساجد. تقر وزارة الاوقاف بالعلاقة بين الدراسات السكانية والدعوة الاسلامية من اجل تدريب الدعاة، بالاضافة الى موضوع الانفجار السكاني وقضايا الانجاب. تقوم الوزارة بدراسة مسحية للمناطق التي تحتاج الى اقامة مسجد. ويتولى غالبا وزير الاوقاف نفسه افتتاح المساجد الجديدة. وتحولت الممارسة الاردنية الى تقليد يتمتع بدرجة عالية من الشرعية لدرجة ان المواطنين يطالبون الوزارة بالتدخل.

تتولى وزارة الاوقاف في إطار مهامها ضبط احتمالات استغلال الدين في التنافس السياسي. يُشدد مختلف وزراء الاوقاف بشكل ثابت على مبدأ الحرية الدينية في الاردن. وشدّد المؤتمر الثاني للمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية الذي عقد في بغداد في 10-1989/1/13 على "دور المؤسسات الاسلامية في صد التيارات المنحرفة" . ودعا العاهل الاردني اللجنة الاستشارية لبحوث الحضارة الاسلامية مؤسسة آل البيت الى مناقشة وبلورة النظريات الاسلامية لتلبي حاجات المجتمع وتسد فجوة بين الفكر والممارسة.

تستفيد الوزارة من بعض المناسبات كالأسراء والمعراج ومختلف الاعياد لتنظيم محاضرات وندوات والقاء دروس دينية في مختلف المساجد. وتنظم الوزارة برامج موسمية ثقافية خلال شهر رمضان بالتعاون مع الجامعات الاردنية في إطار توجهات الوزارة "في الانفتاح على المجتمع المحلي والمساهمة الفاعلة في توعية وتثقيف المواطنين وترسيخ معاني الانتماء والولاء للوطن... وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم وذلك من خلال إقامة الحوارات وتنظيم اللقاءات المتخصصة التي يشارك بها نخبة من العلماء والمفكرين". وتساند الوزارة العديد من المراكز الثقافية والجمعيات. يطغى تاليًا على الخطب والندوات التي ترعاها وزارة الاوقاف الاعتدال والتسامح.

3. تحصر وزارة الاوقاف الاردنية نشاطها في اختصاصات مُحددة تشمل استثمار اموال الاوقاف وادارة صندوق الزكاة والاشراف على المساجد وتنظيم الحج والاهتمام بالتوعية الدينية. وتسعى الوزارة الى تجنب التضارب في الصلاحيات مع وزارات اخرى بالتنسيق مع الوزراء المختصين لمناقشة اهمية التعاون خصوصًا في مجالات التربية والاعمال المتعلقة بالحج ومع قاضي القضاة.

في مجال استثمارها للأموال الوقفية تتعاطى الوزارة بأمور زراعية ضخمة وتسعى الوزارة خلال سنوات قليلة الى زراعة كافة الاراضي الوقفية استنادا الى تجربة مشروع سحم التجاري. وتتولى وزارة الاوقاف التنسيق مع وزارات الاوقاف في البلدان الاخرى وتبادل الخبرات معها.

4. يعتمد النظام الاردني وسيلة اخرى لضبط تسييس الدين في الصراع السياسي وهي المشاركة السياسية المضمونة لغير المسلمين في مختلف اجهزة الدولة. تحد المشاركة المضمونة بعدد من المقاعد، بشكل مكتوب او عرفي، من تسييس التباينات لان هذه المشاركة تحقّق الامان النفسي للمجموعات. لا يغلق النظام على الجماعات الدينية اية

مراكز سياسية او عسكرية، كما ان هذه الجماعات لا تعتبر نفسها امتدادا لمثيلاتها خارج الاردن. تتميز تاليًا الاردن باحترام التعددية الدينية والاتنية، مما حمل مختلف فئات الشعب، وعلى الاخص البدو والشركس والمسيحيين، على الولاء للملكية بشكل عام ومستمر، خصوصًا وان التضامن الداخلي ضروري تجاه المخاطر الخارجية.

اما التعددية الحزبية التي يمكن ان تؤول الى استغلال الدين، كما هي الحال باشكال مختلفة في مصر ولبنان، فقد عمد النظام الى نبذ الاحزاب المرتبطة بجهات خارج الاردن والى حمل الاحزاب الاخرى على التطبيع او التكيف مع وضع الاردن الذي يمر في ظرف اقليمي ودولي دقيق.

بجانب الحذر من الاحزاب ذات الارتباط الخارجي يظهر حرص من النظام الاردني على تأمين المشاركة السياسية بفضل قنوات غير حزبية. فبالنسبة الى العشائر، انشأت السلطة مجالس خاصة يُشرف عليها القصر مباشرة.

اما بالنسبة للأقليات فهناك الطوائف المسيحية والشركس والشيشان. لا توجد اختلافات في تطلعات المسيحيين في الاردن تختلف عن تطلعات المسلمين ولقد ضمن لهم القانون الحق في المشاركة في الحكم ويشغلون حوالي 15% من المقاعد النيابية وهم يمثلون قوة كبيرة في قطاعات التجارة والوظائف الحكومية. لم يطرح منتقدو قانون انتخاب 1986[32]بديلا غير النمط التنافسي المطلق الذي قد يؤدي الى عزل فئات عن المشاركة السياسية اذا افتقر الى ضوابط تحد من محاذيره.

وما يصح على المسيحيين يصح كذلك على الشركس والشيشان الذين ساهموا في الحياة السياسية. كما ان قانون الانتخاب يخصص مقاعد للشركس والشيشان ثلاثة اضعاف نسبتهم السكانية. كان للشركس في تاريخ الاردن دور في الادارة اذ ان نسبتهم كانت 3،7% من عدد الموظفين غير الانكليز في فترة الانتداب البريطاني. واعطتهم الحكومات ضمانات دستورية للمشاركة في الحكم. وفي المجال العملي لم تخل حكومة تقريبًا من وزير شركس.

تُشكل الحالة الاردنية مثالا لعلاقة تسودها ضوابط مقنّنة تتمتع بشرعية عالية في الادراك الجماعي وتدعمها السلطة المركزية. البلدان التي لا تعتمد على انماط مقننة او

[32]. الجريدة الرسمية للمملكة الاردنية الهاشمية، عدد 3398، 17 ايار 1986، ص 925-939

- Major Highlights of the 1986 electoral law, *Jordan Times*, March 29, 1986.

عرفية في المشاركة السياسية قد تتعرض لأحداث صعبة الاحتواء في حال توفر الظروف الداخلية والخارجية في التعبير السياسي عن القهر او الغبن او العزل[33].

[33]. Antoine Messarra, « La régulation étatique de la religion dans le monde arabe : la Jordanie », *Social Compass* (International Review of Sociology of Religion), 40 (4), December 1993, pp. 581-588.

5

وظائف الدولة والمجال المحايد

ان الدولة العصرية المتمايزة الوظائف، بما فيها الشؤون الدينية مهما كانت واسعة وشاملة، تفترض امرين تثبتهما التجربة المعاشة، هما:

1. **نمط ديمقراطي ليس على مستوى الدولة فقط بل في الحياة الاجتماعية:** يؤدي الاقرار بتمايز الاختصاصات الى تنظيم علاقة انسجام او علاقة مقنّنة بين الدين والسلطة. لكن تمايز الاختصاصات يناقض التوجه التسلطي من قبل بعض التنظيمات الدينية التسمية، او من قبل السلطة المركزية، اذا كانت سلطوية. لذا تفترض فاعلية التمايز في الاخصاصات، في اطار دولة تقر بشرعية الاديان بمختلف قيمها، مفهومًا معاصرًا للدولة وحدًا ادنى من الديمقراطية.

2. **ضرورة توفر مجال مُحايد دينيًا شرط عدم إخلاله بالنظام العام:** ليس الدين مسألة محض خاصة ولا هو مسألة ترتبط كلها بالشأن العام. يشتمل كل دين على مجال مُشترك بين العام والخاص هو موضوع نزاع او تقنين بالنسبة الى السلطة السياسية. ان نفي المجال الخاص في الدين، حيث يحق للفرد ان يكون ملحدًا، ان يصوم او لا يصوم، ان يصلي او لا يصلي... شرط عدم إخلاله بالنظام العام، هذا النفي هو تسلط وهيمنة. ونفي كل مجال عام في الدين هو تهميش له. ما هو تاليًا المجال الديني المحايد الذي تتركه الانظمة للأفراد وللجماعات والذي يتوجب على الدولة حمايته والدفاع عنه؟

ان الاقرار بمجال ديني مُتمايز عن الشؤون السياسية التنفيذية وحصر اختصاصات رجال الدين بشكل لا يؤدي الى نفي جدلية العام والخاص هي شروط تثبت التجربة الحاجة اليها. لكنها وقائع تُحتم ادراكًا للدولة لا كوسيلة لسيادة الجماعة الطاغية او الدين السائد بل كجسر يعبر منه الجميع بدون استثناء. يشكو البعض من الطابع المؤسسي الرسمي لوزارة الاوقاف ولجامعة الازهر، ولكن بدون البحث في ايجابيات المؤسسات الدينية الكبرى في توفير ضوابط تحول دون الاستغلال السياسي للدين. ان إنتقاد هذه المؤسسات باسم الحرية، والمطالبة بان يكون "دين الدولة الاسلام" في الوقت نفسه يحمل تناقضًا بارزًا.

لكن رفع شعاري حرية واستقلالية المؤسسات الدينية في إطار الدولة يُحتم توفير مجال ديني حر للجميع. تقول احدى الفتيات المنقبات: "معظمهم ان لم يكن كلهم من رجال الدين الرسميين الذين ينقلون رأي الدولة. لماذا لا يوجد الرأي والرأي الآخر. لماذا لا توجد حرية؟"[34]. ويتساءل أحد المعلقين: "هل السيطرة على المساجد بـ 20 مليون جنيه؟" ويكتب آخر عن بيان للأزهر: "انهم اصدروه بدون ان يسمعوا رأي الشباب او الناس وحكموا عليهم بدون ان يتركوا لهم فرصة الدفاع عن انفسهم"[35].

ان مطالبة المعارضين بالحرية هو بحد ذاته اثبات على ضرورة توفر مجال ديني محايد في هيكلية الدولة تحافظ عليه السلطة وتحميه بالنسبة الى كل الذين لا يؤمنون او يؤمنون على طريقتهم شرط عدم المساس بالنظام العام. ان التشريع الاسلامي هو اساسًا تشريع لا يمكن فرضه على الجميع بدون استثناء ويسمح تاليًا بتوفير هذا المجال المحايد.

تظهر الحالتان اللبنانية والمصرية اختلافًا في كيفية الاستغلال السياسي للدين تحت شعار الدفاع عن الطوائف وحقوقها، وبشكل انفلاش الشارع ومجالس الطوائف في الحالة اللبنانية، وتحت شعار الاصالة والشريعة في الحالة المصرية.

وتظهر الحالتان اختلافًا في منحى السلطة في تنظيم العلاقة مع الدين بواسطة القمم الروحية المشتركة التي لا تتمتع بطابع رسمي في الحالة اللبنانية، او بواسطة وزارة الاوقاف ومؤسسات اخرى في الحالة المصرية. لكن الحاجة هي نفسها في ايجاد واعتماد نموذج يحافظ على الدين ويحقق **فصلاً وظيفيًا للاختصاصات** من اجل المزيد من الاستقرار والفاعلية والديمقراطية.

ان التنظير حول الدين والسلطة بمعزل **عن التجربة التاريخية المعاشة وعن الفاعلية المقارنة لمختلف هذه التجارب**، بغية استخلاص نموذج قابل للتطبيق هو نهج لا يساعد على معالجة المشاكل التي تعانيها المجتمعات العربية. **تحمل التجربة العربية في غناها انماطًا فاعلة في تنظيم العلاقة بين الدين والسلطة قد تكون قابلة للتعميم، شرط دراستها بدون عقدة تخلف او اطر ذهنية مُسبقة حول العصرنة.**

ان الاقرار بمجال ديني مُتمايز عن الشؤون السياسية التنفيذية، مع حصر اختصاصات رجال الدين بشكل لا يؤدي الى نفي جدلية العام والخاص، هو شرط لتنظيم

[34]. **الاهالي**، 1989/2/8.
[35]. **الاهالي**، 1989/2/8.

المجال الديني. لكن الدراسات حول الدولة في المجتمعات العربية اغفلت مسألة تحديد وظائف الدولة ومدى تعبيرها عن التمييز في اختصاص السلطات. تشمل نظرية متجددة لمبدأ الفصل بين السلطات الثلاث، التشريعية والتنفيذية والقضائية، فئة رابعة هي الشؤون الدينية، التي يقتضي تقنينها واحتواؤها وتنظيم مجالها بالنسبة الى الدولة. **التاريخ العربي والاسلامي، في حال دراسته واقعيًا ومن خلال التجربة، غني في هذا المجال.** تُستخلص منه نماذج لاحتواء النزاعات المسيّسة دينيًّا ومن اجل عدم تحوّل الدين الى مجال سائب يخترقه سياسيون في تنافسهم السياسي ورجال دين طامعون في السلطة.

6

الاصلاح البروتستانتي في ماضيه والاصلاح الديني الشامل في عالم اليوم

الدين والسياسة اليوم: الخدعة الكبرى*

أنطوان نصري مسرّه

هدف الاصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر مقاومة المأسسة البروقراطية للكنيسة والاحتكار العقائدي وارساء نهضة روحية. أين اليوم موقع الاصلاح البروتستانتي في زمن حيث يتحدث البابا من الفاتيكان عن "الزهايمر روحي"؟ اقتحم ويقتحم اليوم تجار الهيكل كل الهياكل، في اليهودية القومية المتصهينة التي حوّلت وتحوّل الله الى مستثمر وملاك أراضي، وفي المسيحية المعلمنة شكلاً التي تخلق فراغًا روحيًا، وفي الاسلام الباحث عن بوصلته؟

الأديان، في غنى تراثها طيلة قرون هي اليوم، في بداية القرن الواحد والعشرين، في مواجهة فرّيسية وأهل ناموس ومخادعين في أديان تتحوّل لا الى مجرد مؤسسات "متحفية"[1]، كما يصف الحالة البابا فرنسيس، ولكن، ما هو أسوأ، الى ايديولوجيات في التعبئة السياسية في الصراع على السلطة في زمن تراجع أو زوال الايديولوجيات التقليدية. يُحذّر ريمون آرون Raymond Aron في نهاية الحرب العالمية الثانية في كتابه: **الانسان ضد**

---

* محاضرة في مؤتمر:

Université Saint-Joseph, Faculté des sciences religieuses, Embassy of the Federal Republic of Germany, Evangelische Gemeinde zu Beirut, National Evangelical Church of Beirut, Near East School of Theology-NEST, Akademisches Forum Beirut-Berlin, International conference: “The Protestant Reformation and the Middle East”,
March 18-22, 2015.

[1]. انطوان مسرّه، "مواعظ وخطب البابا فرنسيس"، **النهار** (الملحق)، 2015/1/3.

الطغاة، من المتلاعبين بالأديان: "الأساطير، الأديان سوف تتلاعب بها علميًا زعامات خبيثة"[2].

يُسائل اصلاح لوثر Luther في القرن السادس عشر اليوم اللاهوت، وكل تفكير ديني أصيل، بالمعنى الايماني الحي، وكل تفكير انساني، ويُسائل العاملين لصالح الادارة الديمقراطية للتعددية الدينية والثقافية والسلام بين الأديان وبواسطة الأديان.

لبنان ومجتمعات الشرق الأوسط عامة، كساحة صراعات، هي معنية بمقاربة مُتجددة للاصلاح وللايمان وللأديان التي قد تتحول الى مجرد مؤسسات أو، في اسوأ الحالات، الى وسائل تعبئة سلطوية.

ما العمل؟ الحاجة الى التمييز، والتمييز باستمرار وأكثر فأكثر، وفي كل الأديان بدون استثناء بين مجالات الديني المتميزة. تصب هذه المقاربة بالعمق ليس فقط في الايمان الحي بل في ثقافة التنوّع والاحترام المتبادل.

1
خدعة ونفاق

منذ تراجع الايديولوجيات الكبرى وأبرزها الماركسية والشيوعية السوفياتية والاشتراكية، ولا نذكر النازية والفاشية وهما أشد خطرًا...، وذلك لأسباب مُتعددة مُرتبطة بالخبرة التاريخية وبالعولمة، تتحوّل كل الأديان، أو يُخشى أن تتحول، الى ايديولوجيات. الايديولوجيا في جوهرها نقيض الدين. بصفتها منظومة مُتكاملة ومُغلقة وشمولية توعد الايديولوجيا الناس "بالغد المشرق"، بينما ترى الأديان بتواضع ان العالم البشري له مجرد قابلية الارتقاء. يُبيّن التاريخ ان كل الذين وعدوا البشر بالجنة على الأرض، من النازية الى الفاشية والى الشيوعية السوفياتية...، حوّلوا الأرض الى جهنم.

صراع الحضارات هو بالذات تحوّل الأديان الى ايديولوجيات مُستجدة تحت ستار المعتقدات والطقوس وفي أقصى الحالات تحوّلها الى ارهاب ونضال سلطوي بإسم الدين.

---

[2]. Raymond Aron, *L'homme contre les tyrans*, Paris, éd. de la Maison française, 1944, 402 p., p. 21 : « Les mythes, les religions seront désormais maniées scientifiquement par des élites cyniques. »

مَن المخدوع ومَن المُتواطئ بدون دراية؟ ضحية المخادعة هم مثقفون وأكاديميون وإعلاميون وعلمانيون مؤمنون وغير مؤمنين وكل الذين يدأبون على تصريف مُنمطات ذهنية متداولة حول الدين والسياسة والعلمانية والطائفية...

لبنان معنّي الى أقصى الحدود بمقاربة مُتجددة واستنتاجية وخارج مُنمطات مُتداولة تُغذّي الالتباس وأصبحت مُستعصية الهضم من أي دماغ لم يُصب بالتلوث السائد.

في البدء بين الدين والسلطة مُخادعة وتلاعب وتكاذب مُضمر وفاضح في آن. بشأن نص الإنجيل حول التمييز (ولا نقول الفصل) بين الديني والدنيوي ان الذين يذكرون قول المسيح: "اعطوا لقيصر ما لقيصر ولله ما لله" يغفلون مقدمة النص التي هي أساس المعضلة. جاء في المقدمة:

"ان الفريسيين أرسلوا اليه جواسيس يُراؤون أنهم صدّيقون لكي يأخذوه بكلمة فيُسلموه الى سلطة الوالي فسألوه قائلين: "يا معلم أيجوز لنا ان ندفع الجزية لقيصر أم لا؟ واذ أدرك مكرهم قال لهم: اروني دينارًا. لمن هذه الصورة؟ وهذه الكتابة؟ قالوا: لقيصر. قال لهم: ردّوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فلم يستطيعوا أن يأخذوا عليه شيئًا في هذا الكلام أمام الشعب، بل دُهشوا من جوابه ولزموا الصمت" (لوقا، 20، 20–26، متى 22، 15–22، مرقص 12، 13–17).[3]

لم يأتِ الفريسيّون للاستعلام حول مسألة وضعية في الفلسفة السياسية او الحق العام. هذا المنحى لا يهمّهم بتاتًا. جاؤوا من جهات استخباراتية لاستغلال المحمول النزاعي في السياسة لغاية مختلفة عن الخطاب المعلن. ليس في النص لا فصل ولا تمييز بالمعنى المتداول، بل استغلال الدين لأهداف سلطوية.

2
الفضاءات الثلاثة في الدين... والتشويه

اين المعضلة مع أكاديمية مُنتشرة وحوارات تجميلية بين الأديان ومُثقفين علماويين يُنتجون فكرًا غير ملتصق بالواقع؟ المعضلة؟ تبدأ العلمنة بالعمق في الذهنيات وفي مقاربة

[3]. A. Messarra, *Le modèle politique libanais et sa survie*, Beyrouth, Publications de l'Université Libanaise, 1983, 534 p., surtout pp. 114-132 : « Politique, politisation, politification. »

غير لاهوتية حصرًا بل واقعية وبراغماتية. تبدأ العلمنة اليوم من الأذهان تجاه أكاديمية مُنتشرة تخلط بين المستويات ولا تميّز، تميّز فعلاً، بين الفضاءات الدينية الثلاثة:

1. فضاء الإيمان: الإيمان في جوهره هو تساؤل حول الماورائي والحياة والألم والحب ومعنى الوجود. هذا التساؤل هو عالمي. المؤمنون في كل الأديان والأزمنة والأمكنة يلتقون في مجالات ومستويات وتعابير مُختلفة. يقول تيار دي شاردان Theillard de Chardin: " ما يرتقي يلتقي". ما هو الإيمان؟ لمعرفة جوهر الإيمان في أبعاده الكونية ربما من الأفضل الاستماع الى موسيقى جان سيبستيان باخ Jean-Sébastien Bach لأن الايمان مثل الإنتاج الموسيقي الراقي لغته عالمية. المقاربة الإيمانية روحانية ماورائية.

الحاجة الى التوضيح، بخاصة اليوم: الأديان، كل الأديان، ليست بالضرورة الايمان. يمكن لكل الأديان ان تبتعد عن الايمان وغالبًا، تاريخيًا، تبتعد عن الايمان. الأديان هي مؤسسات **بشرية**، ضرورية، ضرورية انسانيًا في سبيل نقل الايمان ونشر الرسالة وتوفير مجال الحياة الجماعية ولكن، لأنها انسانية ويديرها البشر فهي بحاجة دائمة الى روحنة، الى نقد ذاتي مستمر والى التجدد بالعودة الى الينبوع. ان حوار يسوع مع السامرية بالغ الوضوح في هذا السياق[4]

2. فضاء الدين في الحياة العامة: انه موضوع حقوقي يتعلّق بممارسة الشعائر وتعليم الدين وانشاء أماكن عبادة... تتوفر اجتهادات دستورية واضحة، أوروبية وأميركية وأفريقية وعربية...، سعيًا للتوفيق بين الممارسة الدينية في المجال العام ومقتضيات الحريات الدينية والنظام العام[5].

3. فضاء السياسة–السلطة: كل تعبئة وتنافس في الحياة السياسية من قبل رجال دين أو سياسيين وكل تبرير ديني لعمل سياسي هو مُفخّخ، ودائمًا مفخخ، منذ حملات ما سميّ "الصليبية" (ولم تكن صليبية) ولغاية اليوم. الرهان هنا هو السلطة مع احتمالية اللجوء الى القوة. هذا الموضوع سياسي وغير قابل للتحليل، اذا كنا واعين وغير مخدوعين، الا بمعايير السياسة. عندما تُدخل في السياسة الايمان **(موضوع روحي)** أو الدين كمكوّن في

---

[4]. Frédéric Lenoir, *Le Christ philosophe*, Paris, Plon, 2007, surtout pp. 269-300: "Jésus face à la femme samaritaine ».

- المطران جورج خضر، "نقد المؤسسة الدينية"، **النهار**، 2003/11/21.

[5]. انطوان مسرّه، "ادارة التعددية الدينية والثقافية في اجتهادات المحاكم والمجالس الدستورية-لبنان من منظور مقارن"، في كتاب: المجلس الدستوري، **الكتاب السنوي 2011**، 672 ص، ص 99-173.

الحياة العامة **(موضوع حقوقي)** نخضع لمكيدة المتلاعبين بالإيمان والخبراء في التلاعب بالدين والذين ينتشرون اليوم بكثافة.

لو ألقى يسوع خطابًا حول الديني والدنيوي لكان وقع في "المكيدة"، كما يقول القديس مرقص، لأن "الجواسيس" ينتظرون كلمة، أية كلمة، للتلاعب بالدين كوسيلة تبريرية ولشرعنة أهداف سلطوية. تنمو النزاعات وصراع الحضارات وتمتد كالسرطان في الخلط بين الفضاءات المتمايزة. ان علم سياسة الأديان politologie de la religion هو اختصاص يقتضي تنميته مع فصله جذريًا عن **الإيمان** وبإخضاع مظاهره في الحياة العامة الى معايير **حقوقية** في الحرية والنظام العام.

في القرآن ورد أكثر من عشرين مرة نقد المنافقين. لم يتعمق الفقه في المنافقين ولم يبحث في الاعيب المنافقين الذين يمتلكون اليوم أدوات مُتطورة علمية واعلامية. ليس المنافقون، حسب تأويل اختزالي "أهل المدينة الذين اعتنقوا الاسلام وحافظوا على علاقات مع غير المؤمنين" (ولما لا؟). وليس المنافقون مجرد المتديّنين ظاهرًا الذين لا اساءة لهم مباشرة في الحياة العامة. المنافقون هم جيش المتلاعبين والبرابرة العلماء في عالم اليوم. مرادف المنافقين في الانجيل هم غالبًا فريسيون وأهل ناموس والثعالب، حسب مفهوم الانجيل، في حلبة السلطة.

نعيش في حروب دينية بتسميات تجميلية حول الاسلام السياسي والتعصُّب... في حين نستمر، بخاصة في أوساط اكاديمية، باجترار مُصطلحات في العلمنة والفصل أو التمييز بين الديني والدنيوي... تتجاهل علمانية سطحية مسيحية في الغرب الواقع الديني فتخلق فراغًا روحيًا يملؤه مخادعون تجاه جيل شباب مُتعطش الى المعنى.

الانسانية، الأديان، السياسات هي اليوم معرضة لهجوم واختراق تحت تسميات تبدو بريئة، من قبل تداخل من المنافقين. الاصلاح اليوم؟ البحث والنضال، من خلال أبحاث وأعمال، على مستوى التحدي المعولم تجاه المنافقين.

3
ورشة ذهنية ضخمة

هل يعني ذلك أننا عالجنا المعضلة؟ كلا! يوجد اليوم ورشة ضخمة في سبيل إستعادة الاديان روحانيتها **(مسألة ايمانية)**، ولتنظيم الشعائر في المجال العام انسجامًا مع مقتضيات الحريات الدينية والنظام العام **(مسألة حقوقية)**، ولمقاربة السياسة كرهان سلطة وادارة للشأن العام **(مسألة سياسية)**.

تعيش المسيحية اليوم تراجعًا بدون بوصلة تحت ستار علمانية شكلية غالبًا وشعاراتية. اما الإسلام، ولأسباب تاريخية، فلم يتعمق في شؤون ممارسة الشعائر في مجال عام حقوقي مشترك. ولا نتكلم عن اليهودية الصهيونية التي حوّلت الله الى ملاّك اراضي ومضارب عقاري! ويستمر الابتزاز بعد أكثر من نصف قرن.

***

طالما ان الفضاءات الثلاثة: **الايمانية والحقوقية والسياسية**، هي غير متميّزة في البنيات الذهنية، وطالما هناك منحى أكاديمي يُعمّم الخلط والالتباس لدى مُلحدين ومؤمنين وغير مؤمنين وعلمانيين ومثقفين ومواطنين من كل صوب، سيكون صراع الحضارات خبزنا اليومي وعلى مفترق الأحياء والشوارع، مع استغلال موحش وبدون ضوابط للمقدّس. المقدس وارتباطه اساسًا بالعنف؟ لنوقف هذا السجال العقيم.

أمثولة يسوع في ما سُميّ "الفصل" بين الدين والسياسة، والذي هو بالأحرى فصل بين الدين والسلطة، هي التالية: لم يقع يسوع ضحية مخادعة المنافقين.

7

حماية تعددية النسيج العربي

تسمية الامور باسمائها *

انطوان نصري مسرّه

انتشرت عالميًا وعربيًا من خلال وسائل اعلام وجامعات مُثقفين ينجرفون في سجالات رائجة في سوق الفكر عبارات حول الاسلام "السياسي" والاسلاميين والاسلام المتطرف والتطرف الاسلامي والاسلاموفوبيا والتعصب...، بينما النسيج التعددي الديني والمذهبي في المجتمعات العربية مُهدد من خلال تنظيمات وايديولوجيات تناقض التراث العربي والاسلامي طيلة قرون.

هذه التنظيمات وما يرافقها من تنظيرات فقهية شكلاً هي الصهينة بالذات. ما هي الصهيونية؟ انها الترادف بين مساحة جغرافية ودين محدد. ادخلت الصهيونية الى المنطقة العربية عاملاً متفجرًا وهو هذا الترادف الذي لم تعرفه المجتمعات العربية في تاريخها.

فلسفة الشريعة الاسلامية بالذات، خلافًا للتراث الحقوقي الغربي القديم، أساسها الاقرار **بتعددية** المنظومة الحقوقية في المجتمع الواحد في بعض الشؤون الدينية والثقافية. سعت الحروب المتعددة الجنسيات في لبنان في السنوات 1975-1990 الى فرز مناطق وطوائف في لبنان بوسائل قصرية في مجتمع حيث المجموعات الدينية متوزعة مناطقيًا ومتوازنة عدديًا. تجاه استحالة هذا الفرز جزريًا تمتد المساعي في المجتمعات العربية الاخرى.

***

عندما يأتي طالب لإعداد رسالة او اطروحة ويقترح موضوع الاسلام "السياسي" والاسلاميين والتطرف الاسلامي... كنت دائمًا ارفض الولوج في هذه القضايا وادخال جماعات منحرفة الى كبرى جامعات العالم. من خلال اهتمام الجامعات والاعلام تدخل هذه

* للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، النجف، 2015/1/9. مهرجان ربيع الرسالة العالمي، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، الفعالية المركزية.

الجماعات في المجال العام وتتحول الى مرجعية في النقاش العام ويتوفر لها الانتشار والدعاية، في حين ان قوى اخرى فاعلة في المجتمع لا تستأثر بالاهتمام.

يبحث اعلاميون عن الاثارة ويعملون على أساس مفهوم آني قديم للحدث ولا يسعون الى استكشاف الحدث المؤسسي الذي يُغيّر في عمق المجتمع. تبعهم منذ سنوات باحثون تُهمهم المواضيع المثيرة اكثر مما يهمهم التغيير الاجتماعي.

لا يوجد اسلام "سياسي" (السياسة في الاسلام موضوع آخر) ولا يوجد تطرف "اسلامي" ولا إسلام "متطرف" ولا اسلام آخر "معتدل"! يوجد تعددية في الاسلام "المسلم". التعددية في الاسلام موضوع آخر جدير بالاهتمام.

يوجد اليوم مُتصهينون عربًا. الحاجة الى تسمية الظواهر بأسمائها ومواجهة صهينة المنطقة العربية من خلال تضافر جهود دينية وجامعية واعلامية وبحثية وعمل مشترك للقيادات العربية الدينية والمدنية.

تتصهين المنطقة العربية في زمن حيث تعاني الايديولوجية الصهيونية أعمق مأزق لها في اسرائيل بالذات وفي المساعي المضنية والاليمة للحلول السلمية الشاملة وفي اتفاقيات سلامها. هل بعض الفقهاء واعون لهذا المسار ام تروق لهم "قوة" القومية الصهيونية فيمتثلون بهذه القوة التي هي الفشل الذريع ونقد لأممية الايمان.

يقول محمد حسنين هيكل عن التحول في النسيج الاجتماعي العربي:

"لي ملاحظة تتعلق بمسيحيي الشرق. هناك ظاهرة هجرة بينهم، يصعب تحويل الانظار عنها او إغفال امرها او تجاهل اسبابها، حتى وان كانت الاسباب نفسية، تتصل بالمناخ السائد، أكثر مما تتصل بالحقائق الواقعة فيه. اشعر ان المشهد العربي كله سوف يختلف، انسانيًا وحضاريًا، وسوف يصبح، على وجه التأكيد، أكثر فقرًا واقل ثراء، لو ان ما يجري الآن من هجرة مسيحيي الشرق، ترك امره للتجاهل او التغافل، او للمخاوف، حتى وان لم يكن لها اساس. اي خسارة لو احس مسيحيو الشرق، بحق او بغير حق، انه لا مستقبل لهم او لأولادهم فيه، ثم بقي الاسلام وحيدًا في المشرق، لا يؤنس وحدته غير وجود اليهودية الصهيونية، بالتحديد، امامه في اسرائيل"[1].

[1]. محمد حسنين هيكل، **عام من الازمات**، 2000-2001،، القاهرة، 2002، ص 52.

1

دبلوماسية أديان مخيفة وأديان خائفة

ما هو منبع الخوف الذي إمتد عربيًا وعالميًا من أديان **مُخفية** (اسلاميين، تطرف اسلامي، اصولية...) وأديان أخرى أصبحت **خائفة** من اسلام واسلاميين ومُتطرفين...؟ منبع الخوف هذا هو أنظمة استبدادية عربية عممّت الوهم عالميًا انها هي الضامنة لعدم وصول مُتطرفين الى الحكم وان بديلها هو التطرف والارهاب!

إستوعب مسيحيون عربًا ايديولوجية الحماية من التطرف فأصبحوا خائفين من البديل وينظّرون خوفهم بتصريحات ومقولات وسلوكيات تتناقض مع التراث المسيحي العربي في نشر الديمقراطية والحريات وحقوق الانسان.

الأنظمة السلطوية التي تفتقر الى الشرعية، اي الى قبول الناس بسلطة الحاكم وليس اذعانهم، هي بحاجة الى **تخويف** الناس من مؤامرات خارجية ومن قوى داخلية تعتبرها مناهضة. تتطلب تاليًا علاقة الأنظمة السلطوية بالأديان كثيرًا من الدراية والوعي. مقولة المؤامرات وادعاءاتها معروفة. عمّمت أنظمة السلطوية في المنطقة العربية مقولة خدّرت بها شعوبها وشعوب العالم وغلّفتها بظواهر احترام التعددية الدينية! انها مقولة الخوف والتخويف من تيارات اسلامية واسلاميين...! استوعب مسيحيون لبنانيون وبشكل عام عربًا تمامًا هذه الايديولوجيا التخويفية وهضموها ونشروها في حياتهم اليومية فانتقلوا من مسيحية الأصالة والنهضة العربية الى مسيحية خائفة وذميّة وداعمة لأنظمة قمعية.

وظهر نتيجة ذلك سياسيون مخادعون ومُحترفون في التلاعب بالغرائز لاستغلال مسيحيين خائفين وربطهم في تحالفات داخلية واقليمية خارج المسار التاريخي الطبيعي للبنان ولكل المنطقة العربية. وصمت مسلمون مُستنيرون أو تواطئوا مع أنظمة قمعية تُهدد الناس بالخطر "الاسلامي" البديل!

لا نبحث هنا في السياسة حسب سجالات سائدة، بل في الايمان والاديان ورسالتها ودورها في إرساء السلام الاجتماعي والعلاقات بين الناس وفي ضرورة إحياء التراث العربي في ادارة التعددية الدينية والثقافية. أي انحطاط وصلت اليه ذهنيات عربية ومجتمعات غربية مُسماة راقية في تحويل الله والايمان والأديان الى منبع خوف وتخويف! أنظمة سلطوية مُتخصصة في مخادعة الناس وتدعي حماية الناس من بعض التوجهات الدينية المتواطئة أو الخائفة من الأديان هي التي استدرجت الناس الى ذلك لبنانيًا وعربيًا.

حين نبحث في العلاقات الاسلامية والمسيحية وفي الحوار العربي الاسلامي المسيحي هل نخرج من تعميمات ومجاملات لطرح السؤال الجوهري التالي: ما هذا الدين الذي يخيف الناس ويُستغل من سلطات قمعية لتخويف الناس وادعاء الحماية؟ ومن هم هؤلاء المسيحيون الخائفون من الاسلام؟ لم يخطئ كارل ماركس في قوله ان الدين افيون الشعوب الا في عدم تركيزه على من يُوزع هذا الأفيون لتخدير الناس وحملهم على الطاعة لطغاة يدّعون الحماية. من يحمينا من حماتنا؟

2
حماية تعددية النسيج الديني والثقافي العربي

كيف يُحافظ العرب على تعددية نسيجهم الديني والثقافي في عالم تجتاحه تيارات تعصب وانغلاق؟ حماية تعددية هذا النسيج هي لصالح الجميع مسلمين ومسيحيين فلا يصاب العرب بعدوى صهينة سعت وتسعى الى الترادف بين مساحة جغرافية وهوية دينية. لا يعني ذلك دور المسيحيين العرب فقط، بل كل المسلمين الذين قد يفتقرون الى غنى تراثهم في إدارة التعددية الدينية والثقافية.

1. **التركيز على الابعاد الثلاثة في صيانة العيش المشترك:** تتضمن صيانة العيش المشترك ثلاثة ابعاد: البعد الديني والثقافي، والبعد الحقوقي، والبعد السياسي، وذلك سعيًا الى الادارة الديمقراطية للتعددية في المجتمعات العربية، وتجنبًا لاختزال الاشكالية حصرًا في المعرفة المتبادلة وفي السياق المعرفي الصرف.

2. **التمكين:** التركيز في كل البرامج على رصد وتحليل واستكشاف وتنمية وتعميم النماذج الايجابية والمعيارية التي تُثير التماثل والاقتداء في الحياة اليومية وفي سبيل الادارة الديمقراطية للتعددية الدينية والثقافية.

3. **مرصد التعددية الدينية في المجتمعات العربية:** العمل على تعميم تجربة هذا النوع من الرصد في نماذجه الايجابية والمعيارية والتي هي غالبًا مُتوفرة في المجتمعات العربية ولا تنقلها وسائل الاعلام، وذلك سعيًا لاستخلاص نموذج عربي اصيل في الادارة الديمقراطية للتعددية الدينية وتوفيرًا لمادة أصيلة في التدريب والتثقيف والعمل التربوي والاعلام.

4. **دور المؤسسات الدينية في الدفاع عن الحريات وحقوق الانسان:** متابعة البرامج التي نُظمت سابقًا في سبيل التزام المؤسسات الدينية الدفاع عن حقوق الانسان ومساهمة في التحول الديمقراطي السلمي في المجتمعات العربية.

5. **التخصيب التربوي:** تتطلب حماية النسيج التعددي للمجتمعات العربية نقل الخبرات في العيش المشترك تربويًا وللجيل الجديد، بخاصة من خلال المؤسسات التربوية والجامعية والجمعيات الاهلية العاملة في سبيل التحول الديمقراطي والسلم الاهلي.

6. **الاعلام التمكيني وتجديد مفهوم الحدث:** العمل على مساهمة الاعلاميين في حماية تعددية النسيج التعددي العربي الذي تُهدده تيارات تعصب وهويات مغلقة، وذلك من خلال مراجعة مفهوم الحدث وتجنبًا لتوصيف كل الاحداث بدون دراية بالطائفية وتجنبًا للنشر الاطلاقي والحصري للمظاهر النزاعية مع تجاهل المقاومة المدنية لاعمال التعصب والتطرف والعنف.

7. **الفدرلة في العمل:** الحاجة الى تخطي التنافس بين المؤسسات والجمعيات والمؤسسات التعليمية والجامعية العاملة في سبيل صيانة العيش المشترك، وذلك من خلال فدرلة الجهود وإنشاء كتل فكرية وميدانية تحافظ كل منها على استقلاليتها وبرامجها وتلتقي في اهدافها العامة.

8. **اعادة قراءة الحضارة العربية:** حيث ان الحضارة العربية كما هي مُلقنة لا تنقل غالبًا ثقافة ديمقراطية، الحاجة الى إعادة قراءة التاريخ والفلسفة والادب في الحضارة العربية من منظور القيم الانسانية في سبيل نقل تراث عربي واسلامي ومسيحي اصيل في الحريات والتسامح والتواصل والتفاعل.

9. **فاعلية الحوار:** استعادة الحوار اصالته كمنهجية فكرية في استكشاف الحقيقة معًا والتمييز بين المستويات الثلاثة في الحوار الديني، والثقافي، وفي المجال العام، وذلك من خلال تحديد البوصلة والمرجعية والقيم التي ترعى كل نوع من الحوار والذي قد ينحرف عن هدفيته.

10. **المواطنية والعيش المشترك:** ليست المواطنية مجرد شعار يُطلق بشكل تقييمي والحاجة الى تحديد مضامينها الحقوقية في المساواة والمشاركة وحرية المعتقد والتعبير في إطار صيانة العيش معًا وفي كل مجالات الحياة العامة.

3

الدين والسياسة اليوم: الخدعة الكبرى

منذ تراجع الايديولوجيات الكبرى وأبرزها الماركسية والشيوعية السوفياتية والاشتراكية، ولا نذكر النازية والفاشية وهما أشد خطرًا...، وذلك لأسباب متعددة مُرتبطة بالخبرة التاريخية وبالعولمة، تتحوّل كل الأديان، أو يُخشى أن تتحول، الى ايديولوجيات. الايديولوجيا في جوهرها نقيض الدين. بصفتها منظومة متكاملة ومُغلقة وشمولية توعد الايديولوجيا الناس **بالغد المشرق**، بينما ترى الأديان بتواضع ان العالم البشري له مجرد قابلية الارتقاء. ويُبيّن التاريخ ان كل الذين وعدوا البشر بالجنة على الأرض، من النازية الى الفاشية والى الشيوعية السوفياتية...، حوّلوا الأرض الى جهنم.

صراع الحضارات هو بالذات تحوّل الأديان الى ايديولوجيات مُستجدة تحت ستار المعتقدات والطقوس وفي أقصى الحالات تحوّلها الى ارهاب ونضال سلطوي بإسم الدين. اقتحم التجار الهيكل ويقتحمون اليوم كل الهياكل.

مَن المخدوع ومَن المُتواطئ بدون دراية؟ ضحية المخادعة هم مثقفون وأكاديميون وإعلاميون وعلمانيون مؤمنون وغير مؤمنين وكل الذين يدأبون على تصريف مُنمطات ذهنية متداولة حول الدين والسياسة والعلمانية والطائفية...

لبنان معنّي الى أقصى الحدود بمقاربة مُتجددة واستنتاجية وخارج منمطات مُتداولة تُغذّي الالتباس وأصبحت مُستعصية الهضم من أي دماغ لم يُصب بالتلوث السائد.

في البدء بين الدين والسلطة مُخادعة وتلاعب وتكاذب مُضمر وفاضح في آن. بشأن نص الإنجيل حول التمييز (ولا نقول الفصل) بين الديني والدنيوي ان الذين يذكرون قول المسيح: "اعطوا لقيصر ما لقيصر ولله ما لله" يغفلون مقدمة النص التي هي أساس المعضلة. جاء في المقدمة:

"ان الفريسيين ارسلوا اليه جواسيس يُراؤون أنهم صدّيقون لكي يأخذوه بكلمة فيسلموه الى سلطة الوالي فسألوه قائلين: "يا معلم أيجوز لنا ان ندفع الجزية لقيصر أم لا؟ واذ أدرك مكرهم قال لهم: اروني دينارًا. لمن هذه الصورة؟ وهذه الكتابة؟ قالوا: لقيصر. قال لهم: ردّوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فلم يستطيعوا أن يأخذوا عليه شيئًا في هذا الكلام أمام الشعب، بل دُهشوا من جوابه ولزموا الصمت" (لوقا، 20، 20–26، متى 22، 15–22، مرقص 12، 13–17).

لم يأتِ الفريسيّون للاستعلام حول مسألة وضعية في الفلسفة السياسية او الحق العام. هذا المنحى لا يهمّهم بتاتًا. جاؤوا من جهات استخباراتية لاستغلال المحمول النزاعي في السياسة لغاية مختلفة عن الخطاب المعلن. ليس في النص لا فصل ولا تمييز بالمعنى المتداول، بل استغلال الدين لأهداف سلطوية.

الفضاءات الثلاثة في الدين... والتشويه

اين المعضلة مع أكاديمية منتشرة وحوارات تجميلية بين الأديان ومُثقفين علماويين يُنتجون فكرًا غير ملتصق بالواقع؟ المعضلة؟ تبدأ العلمنة بالعمق في الذهنيات وفي مقاربة غير لاهوتية حصرًا بل واقعية وبراغماتية. تبدأ العلمنة اليوم من الأذهان تجاه أكاديمية مُنتشرة تخلط بين المستويات ولا تميّز، تميّز فعلاً، بين الفضاءات الدينية الثلاثة:

1. فضاء الإيمان: الإيمان في جوهره هو تساؤل حول الماورائي والحياة والألم والحب ومعنى الوجود... هذا التساؤل عالمي. المؤمنون في كل الأديان والأزمنة والأمكنة يلتقون في مجالات ومستويات وتعابير مُختلفة. يقول تيار دي شاردان Theillard de Chardin: " ما يرتقي يلتقي". ما هو الإيمان؟ لمعرفة جوهر الإيمان في أبعاده الكونية ربما من الأفضل الاستماع الى موسيقى جان سيبستيان باخ Jean-Sébastien Bach لأن الايمان مثل الإنتاج الموسيقي الراقي لغته عالمية. المقاربة الإيمانية روحانية ماورائية.

2. فضاء الدين في الحياة العامة: انه موضوع **حقوقي** يتعلّق بممارسة الشعائر وتعليم الدين وانشاء أماكن عبادة... تتوفر اجتهادات دستورية واضحة، أوروبية وأميركية وأفريقية وعربية...، سعيًا للتوفيق بين الممارسة الدينية في المجال العام ومقتضيات الحريات الدينية والنظام العام[2].

3. فضاء السياسة–السلطة: كل تعبئة وتنافس في الحياة السياسية من قبل رجال دين أو سياسيين وكل تبرير ديني لعمل سياسي هو مُفخّخ، ودائمًا مفخخ، منذ حملات ما سميّ "الصليبية" (ولم تكن صليبية) ولغاية اليوم. الرهان هنا هو السلطة مع احتمالية اللجوء الى القوة. هذا الموضوع سياسي وغير قابل للتحليل، اذا كنا واعين وغير مخدوعين، الا بمعايير السياسة. عندما تُدخل في السياسة الايمان **(موضوع روحي)** أو الدين كمكوّن في الحياة العامة **(موضوع حقوقي)** نخضع لمكيدة المتلاعبين بالإيمان والخبراء في التلاعب بالدين والذين ينتشرون اليوم بكثافة.

لو ألقى يسوع خطابًا حول الديني والدنيوي لكان وقع في "المكيدة"، كما يقول القديس مرقص، لأن "الجواسيس" ينتظرون كلمة، أية كلمة، للتلاعب بالدين كوسيلة تبريرية ولشرعنة أهداف سلطوية. تنمو النزاعات وصراع الحضارات وتمتد كالسرطان في الخلط بين الفضاءات المتمايزة. ان علم سياسة الأديان politologie de la religion هو اختصاص يقتضي تنميته مع فصله جذريًا عن **الإيمان** وبإخضاع مظاهره في الحياة العامة الى معايير **حقوقية** في الحرية والنظام العام.

هل يعني ذلك أننا عالجنا المعضلة؟ كلا! يوجد اليوم ورشة ضخمة في سبيل إستعادة الاديان روحانيتها **(مسألة ايمانية)**، ولتنظيم الشعائر في المجال العام انسجامًا مع مقتضيات الحريات الدينية والنظام العام **(مسألة حقوقية)**، ولمقاربة السياسة كرهان سلطة وادارة للشأن العام **(مسألة سياسية)**.

تعيش المسيحية تراجعًا دون بوصلة تحت ستار علمانية شكلية غالبًا وشعاراتية. اما الإسلام، ولأسباب تاريخية، فلم يتعمق في شؤون ممارسة الشعائر في مجال عام حقوقي مُشترك. ولا نتكلم عن القومية اليهودية الصهيونية التي حوّلت الله الى ملاّك اراضي ومضارب عقاري! ويستمر الابتزاز بعد أكثر من نصف قرن.

طالما ان الفضاءات الثلاثة: الايمانية والحقوقية والسياسية، هي غير مُتميّزة في البنيات الذهنية، وطالما هناك منحى أكاديمي يُعمّم الخلط والالتباس لدى مُلحدين ومؤمنين وغير مؤمنين وعلمانيين ومُثقفين ومواطنين من كل صوب، سيكون صراع الحضارات الخبز اليومي وعلى مفترق الأحياء والشوارع، مع استغلال موحش وبدون ضوابط للمقدّس. وارتباطه بالعنف؟ لنوقف هذا السجال العقيم. أمثولة يسوع في ما سُميّ "الفصل" بين الدين والسياسة، والذي هو بالأحرى فصل بين الدين والسلطة pouvoir/power، هي التالية: لم يقع يسوع ضحية المخادعة.

4
نحو ربيع ديني

---

[2]. انطوان مسرّه، "ادارة التعددية الدينية والثقافية في اجتهادات المحاكم والمجالس الدستورية: لبنان من منظور مقارن"، في كتاب: المجلس الدستوري، **الكتاب السنوي 2011**، 672 ص، ص 99-173.

ما هو الاسلام المسلم؟ كيف نحمي النسيج التعددي العربي من الصهينة؟ ما هو مسار التحول الديمقراطي عربيًا؟

للتوصيف أهميته في سبيل استشراف المعالجات. تنبع الازمة من الادراك ان الماضي مضى وان الجديد لم يولد بعد. من أبرز الايجابيات في الربيع العربي، والتي يقتضي عدم تسخيفه من خلال تسميات اخرى متعددة، ان الحرية والكرامة تُلفظان اليوم بكلام عربي. يتحرر اليوم الانسان العربي من داخله ويُظهر انه لا يحتاج الى خبراء ليشرحوا له ما هي الحرية. كان الفلاح المصري خائفًا وصامتًا على حاجاته واصبح يوقّع على وثيقة تمرد. ومن الايجابيات دخول الناس في المجال السياسي في وقت قصير وممارستهم مواطنية متعثرة وبدون اوصياء. ويعني ذلك انهيار حاجز الخوف تجاه انظمة اعتبرت نفسها مؤبدة.

الاوضاع دقيقة مع توترات غير مسبوقة وخطر إنحلال الدولة وغياب قضية فلسطين، وبعض الأحيان في ساحات لبرابرة جُدد. وتظهر اليوم أشداق واسعة للنفخ في الفتنة في منطقة كانت تبدو مستعصية على الديمقراطية. وتظهر ايضًا تيارات ظلامية، ما يُفسر القلق العميق يستخلص تاليًا تعثر في التحول الديمقراطي وسعي لوضع اليد على الحراك الإجتماعي الداخلي وتدمير ممنهج وعدم تطوير البدائل. لم يحقق أي شعب ديمقراطيته إلا من خلال الصراع وتخطيه، مع التوضيح أنه في الحالة المصرية الكلفة هي أدنى مما هي عليه في مجتمعات عربية أخرى.

1. مظاهر مُستجدة: يمكن ايجاز أبرز المظاهر بخمسة:

آ. **اعتصامات واحتجاجات:** تحصل مئات الاعتصامات والمظاهرات لشعب أسقط فرعون بدون حجر على التعبير. لكنه يُخشى تنامي ذهنية النق والتشكي والتذمر في حين ان المواطنية هي فعل ومبادرة. قد ينبع من ذهنية نق جماعية ومُتمادية طغاة جُدد يستغلون حالة التذمر لنشر أوهام لغد مشرق.

ب. **سقوط السلطة الأبوية:** يظهر السقوط في السلطة السياسية كما في الدين وفي المحظورات (التابو) مما يسمح بنقاش أوسع. لا يحتاج الناس الى خبراء لإدراك الحرية، لكن الحياة العامة تتطلب التوفيق بين الحرية ومقتضيات النظام العام.

ج. **فقدان الرؤية:** يفتقر فاعلون جدد الى رؤية واضحة مع مثاليات مُتصاعدة باستمرار. يتوقع تاليًا الناس أكثر مما هو ممكن. ويطالبون من واقع غير قادر على تلبية المطالب. الحكم والمعارضة هما تاليًا في مأزق مشترك.

د. **سقوط الحماية الخارجية والدخول في الاتنوستراتيجية:** سقطت، لأسباب اقليمية ودولية، أوهام وانتظارات الحماية الخارجية، مما يحمل على مزيد من الاعتماد على القدرات الداخلية. اما شعار التآمر الخارجي فيظهر تعاميًا على التحولات، اذ انتفت اليوم الحروب بين الدول بعد بروز السلاح المتطور وتبرز حروب مُستدامة وبالوكالة ومن خلال استخدام التباينات الدينية والثقافية وذلك في دول ضعيفة أو مُستضعفة ولأهداف إقليمية ودولية.

هـ. **تحول بعض خريطة المؤسسات الى الدولة الحديثة:** من المظاهر الايجابية تحول مؤسسات، أبرزها الأزهر والكنيسة في مصر، الى مفهوم الدولة الحديثة. وما يحصل إيجابًا في مصر وغيرها هو أكثر اتساعًا مما يظهر على شاشات التلفزة. بعض المعارضات ضد التطرف هنَّ من المحجبات.

2. موقع الدين في التحولات العربية: عممّت أنظمة عربية مُستبدة مقولة الحماية من التعصب والارهاب وأوهمت الناس ان البديل عنها سيكون الإرهاب باسم الدين. تعمّم هذا الإدراك عالميًا، وكذلك الإبتزاز، ما جعل الغرب متواطئًا لعقود مع أنظمة مُستبدة تدَّعي الحماية من الارهاب "الاسلامي".

يعيش تاليًا عالم اليوم مع **أديان مخيفة** أو اسلاموفوبيا عمّمتها أنظمة توتاليتارية. ويعيش أيضًا مع **أديان خائفة**، غالبًا لدى مجموعات مسيحية، تدجّنت على غريزة الحماية في ظل أنظمة توتاليتارية. يعيش العالم تنظيرًا للخوف. ولماذا تحصل ثورات في زمن تاريخي محدد دون غيره؟ ترتبط زمنية التحولات بثلاثة عناصر في علم النفس التاريخي: لحظة إنهيار جدار الخوف، وضخامة تراكم الكبت، وحصول وعي جماعي شامل ينفجر من خلال حدث قد يكون بسيطًا في الظاهر.

عمّمت أنظمة إستبدادية المقولة: أنا أحميك من خطر الاسلاميين وتمنحني تأييدك. كلفة الحماية الاستعبادية هذه باهظة ولا تُشكل حماية، بل تأجيلاً لنزاعات عنفية أكبر وأشمل وأكثر ضررًا على المستعبدين. لا تلازم تاليًا بين الدين والارهاب الا من خلال توظيف الدين واستغلاله ومن خلال تسييس الدين.

الموضوع تاليًا هو أعقد من صراع ديني، بل هو صراع نفوذ مع السعي الى تطهير بعض المجتمعات من كل ما هو غير إسلامي فأصبح تاليًا التنوّع نقمة. ويلاحظ عدم مواجهة العمليات الارهابية الانتحارية بالإدانة من قبل مرجعيات دينية. من يصمت يُساهم في إلحاد المجتمع.

تحتاج بعض المواقف حول العلاقة بين الدين والسلطة الى مزيد من الدراية والتوضيح. ما هو موقف الكنيسة في مصر من الشريعة؟ وإذا أدخلت الشريعة في الدستور كمصدر للتشريع فهل يعني ذلك أنَّ كل المواطنين بدون استثناء هم شركاء في تفسيرها؟ هذه التساؤلات مشروعة ولكنها تتطلب درجة عالية من الوضوح والتمييز.

في التحولات الحاضرة ايجابيات أبرزها قرار الكنيسة في مصر ان لا تكون عنصرًا في المعادلة وان تترك للمدنيين بحسب انتمائهم السياسي اتخاذ المواقف سندًا الى التراث التاريخي المصري في عدم اختزال الأقباط في المؤسسة الدينية.

3. ما العمل؟

1. **نحو ربيع ديني:** يشمل هذا الربيع واستعدادًا له المسلمين والمسيحيين وكل الأديان والمذاهب. دخل ويدخل تجار الهيكل كل الهياكل مع قتل وخطف وابتزاز وسرقة. تجاه ما يحصل من تلوث وتخويف يطرح أيضًا السؤال: ما هو الاسلام؟ يوجد إسلام مُتعدد المذاهب والمدارس. لكن ما يسمى إسلاميين وإسلام متطرف وإرهاب "إسلامي"... يندرج في إطار تسميات اخرى وبدون اضفاء صفة دينية عليه.

الحاجة الى استعادة قيم الايمان وان يعمل المستنيرون على توضيح معنى "لا إكراه في الدين" وقواعد الممارسة الدينية في المجال العام والتمييز بين مصادر التشريع المتعددة والتشريع الوضعي وحدود فرض الشريعة على المسلمين وغير المسلمين وانطلاقًا من الاسلام بالذات.

ربما بعد انهيار أنظمة تسلط التي هي الشر المطلق انتهى التخويف من الاسلاميين. تطرح اليوم مشيَخة الازهر شؤونًا جديدة. يتوجب على المرجعيات الدينية، مسيحية واسلامية، ان تحسم موقفها بمنتهى الصراحة والوضوح ، مع تحديد الأطر الحقوقية للحريات الدينية. لا تؤمن نظرية النجف بنظرية ولاية الفقيه ولا ولاية اطلاقية لإنسان على أحد لان المرجعية تنطلق من الناس.

أنشأت في هذا الإطار عدة مؤسسات منها معهد الاديان في النجف والمجلس العراقي للحوار بين الأديان. يقتضي استخلاص القيم المفتاحية وتحديد تراتبية القيم وأولوياتها. والحاجة أيضًا الى لاهوت تحرر مسيحي عربي ومقاومة تفريغ المنطقة من تنوعها. ويتطلب الربيع الديني خطابًا بدون مواربة او التباس او ضبابية او نفاق اي خطاب واضح لا يخشى خسارة فئة.

2. **حماية النسيج التعددي العربي:** ما تقوم به جماعات ذات تسميات إسلامية مختلفة في الأوساط الجامعية ووسائل الإعلام لا علاقة له بإصالة الإسلام وتاريخيته في المنطقة العربية، بل هو صهينة متأسلمة.

من أسباب الإحتقان عدم المساواة وعدم المشاركة السياسية. هل أدى العدول عن بعض تنظيمات الماضي، بعد عهود ما سُمي التحرر، الى مزيد من الاندماج والوحدة وتخطي الظواهر الطائفية والمذهبية؟ يقتضي مقاربة اشكالية إدارة التعددية العربية بأدوات معرفية اصيلة وحديثة في آن والخروج عن منمطات تُسمي محاصصة الممارسة الفاسدة، إذ يخضع مفهوم التمييز الايجابي لقواعد حقوقية ناظمة. يتطلب كل ذلك إدارة حوارات حقيقية.

3. **بناء المجتمع:** في بعض البلدان العربية لم يكن يوجد لا جمعية ولا رابطة ولا تنظيم، اذ توغلت السلطة في كل مفاصل الحياة حتى في الحي والمدرسة وكل صف في مدرسة. الحاجة في حالات عديدة بعد الثورات الى بناء المجتمع، بخاصة من خلال تحرير إنشاء الجمعيات بموجب علم وخبر، وتوسيع القاعدة الاجتماعية المؤيدة للشرعية الجديدة. تبنى الأشياء من أسفل وليس من قواعد تسلطية. في حالات عديدة حيث تنمو الفتنة الحاجة الى تطوير التلاقي والتواصل فيكون المجتمع المشروع وقوته الدافعة.

4. **تخصيب ثقافي وتربوي:** يتطلب التحول الديمقراطي عربيًا تخصيبًا ثقافيًا وتربويًا وعملاً على النسق القيمي الذي تنقله مختلف وسائل التنشئة العربية. البنيات التحتية في المجتمع في العائلة والمدرسة والمحيط الاجتماعي عامة قائمة على علاقات نفوذ وليس على معايير. على سبيل المثال إذا طلبت من شاب عربي ان يذكر بعض الأبيات للمتنبي ستكون كلها ضربًا وبطشًا. الحاجة الى إعادة قراءة التراث العربي في الفلسفة والتاريخ والأدب لاستنباط القيم الانسانية.

كان يتعامل الانسان العربي مع البوليس كبوليس النظام، بينما تتطلب التحولات اليوم التعامل معه كبوليس لأمن المجتمع والناس. هل نُدرك ما يفترض ذلك من تغيير في انماط سلوكية متراكمة طيلة أكثر من ثلاثة أجيال؟ تُطرح مركزية مفهوم المواطنية ولكن غالبًا كشعار بدون تحديد عوائقه وحظوظه ومكوناته وتطبيقاته في الواقع العربي. تكتسب تاليًا الأعمال على الشق القيمي العربي مركزية قصوى في التغيير.

5. خطاب آخر: يساهم الخطاب السجالي، جوابًا على طروحات مُستهجنة وغريبة عن المنطق، في نشر طروحات الماضي وتعميم مرجعيتها. من له فكر مميّز لا يجيب على طروحات غيره، بل يطرح فكره هو. ينطبق ذلك أكثر على الشأن الديني نقضًا لمتطرفين وإرهابيين بدلاً من عرض أصالة الأديان وعمقها الايماني.

6. رصد النماذج الايجابية وشرعية الانجاز: يتطلب التحوّل الديمقراطي عربيًا رصد عناصر القوة في كل مجتمع عربي والعمل على تفعيل هذه العناصر كرافعة للمجتمع. يتمتع المجتمع المصري على سبيل المثال بتراث عريق في القضاء. والجيش المصري ليس جيش نظام كما في بلدان عربية أخرى. والمجتمع المدني المصري ظل لفترة طويلة ناشطًا ومبادرًا. الشباب يقوم بأشياء مبتكرة. يساعد هذا المسار على دعم شرعية الانجاز ومقاومة صراع المشروعيات، بخاصة ان الشعوب العربية الآن قد تقتنع بالقليل إذا قدم لها وتبلغ سن الرشد السياسي.

7. منهجية عمل: يتطلب المسار العربي ابتكار اساليب ورصد التحركات الإيجابية والتركيز على الإنجازات التي تبدو صغيرة ولكنها تغيّر في عمق المجتمع. تتطلب منهجية العمل

تفكيك القضايا وتطبيق مبدأ: فكِّر شموليًا واعمل محليًا. تسمح هذه المنهجية باختصار الوقت في التحوّل الديمقراطي.

ما حصل هو أفضل من السابق مع ولادات قيصرية، استنهاضًا لعروبة الحرية وليس عروبة السجون ولإمكانيات الأفراد في صنع مجتمع انتقالاً من حالة استيراد مشاريع خارجية.

في هذا السياق العديد من المنمطات بحاجة الى صياغة مُتجددة وبراغماتية، أبرزها فكرة الدولة التي لم تُوطنَّ عربيًا، وكذلك البحث في الادارة الديمقراطية للتعددية العربية. كل نظام عربي لديه مشكلة مع مجموعة دينية أو مذهبية أو عرقية له مشاكل مع أكثريته.

5
الادارة الذاتية الحصرية أو أنظمة الأحوال الشخصية وضوابطها الحقوقية

لطالما افتقرت أنظمة الاحوال الشخصية الى نظرية حقوقية عامة في سبيل تفسير مضامينها وتبايناتها واجراءاتها ومفاعيلها، وبخاصة مرجعياتها في البناء الحقوقي العام. أُدرجت غالبًا انظمة الاحوال الشخصية في لبنان والمجتمعات العربية بعامة في اطار القانون الخاص المتعلق بالعائلة وأهملت تاليًا في اقسام القانون العام. يتمظهر الافتقار الى نظرية عامة في مؤلفات لبنانية وعربية في القانون الدستوري حيث مُؤلفون، عندما يتطرّقون الى بعض المواد في الدستور اللبناني (9 و10 و19 و65 و95) وفي دساتير عربية عامة حول الاحوال الشخصية يُسارعون في ادراج الموضوع في اطار شعار "الطائفية" وايديولوجيات الرجعية والتقدمية حول أشكال ادارة التنوع الديني والثقافي.

الحاجة الى التأسيس لمرجعية لبنانية وعربية وعالمية في أنظمة الاحوال الشخصية التي هي اطار دستوري في ادارة التعددية الثقافية والدينية وهو إطار يندرج في منظومة الأنظمة الفدرالية الشخصية fédéralisme personnel ou de législation او الادارة الذاتية على أسس شخصية autonomie personnelle.

يُشكل "المؤتمر الرابع "لمنتدى الفدراليات" الذي عُقد في نيودلهي في 4–2007/11/8، بمشاركة اكثر من خمسماية من المهندسين السياسيين والباحثين في العلم الدستوري المقارن من كل القارات والذي اخَتَتمت اعماله رئيسة جمهورية الهند، تحولاً جوهريًا في البحوث حول فعالية مختلف الاشكال الدستورية في ادارة التنوع. عنوان المنتدى: "الوحدة في التنوع: التعلم من بعضنا البعض".

منذ المؤتمر الاول الذي عُقد في مورا Morat (سويسرا) بمناسبة افتتاح معهد الفدرالية في كانون الاول 1984، بالتعاون مع الجمعية الدولية للعلم الدستوري، حصل تطور بارز في توسيع مفهوم الفدرالية التي لا تقتصر على تقسيمات جغرافية، بل قد تكون الفدرالية على أُسس شخصية في الحالات حيث الاقليات الثقافية غير مُتمركزة في مناطق مُحددة، وذلك استنادًا الى التراث الدستوري العربي والعثماني. هذا التراث هو عربي، واسلامي ايضًا، وعلى أساسه تمكنت الامبراطورية العثمانية لاكثر من اربعة قرون من حكم مناطق شاسعة متعددة الاديان والمذاهب والاتنيات.

في ورشتي العمل في نيودلهي حول موضوع: "الادارة الذاتية والتنوع: كيف تُسهم التنظيمات المؤسساتية في إدارة التنوع في تطوير الفدراليات" وردت مُلاحظات من المُشاركين تُبيّن محدودية التقسيمات الجغرافية في الإدارة الديمقراطية للتنوع الثقافي. في حالة الهند استُحْدِثَتْ ثلاث مقاطعات سنة 1990: Chattisgarh, Jharkhand, Uttarakhand، حسب مداخلة Radha Kumar. وفي حالة نيجيريا أعتمدت تقسيمات جغرافية مُتعددة بدون معالجة إشكاليات التنوع الاتني. وكان تشجيع من قبل المشاركين في الورشة، بخاصة من قبل باحثين من سويسرا Ellinor Von Kauffunger، وبلجيكا Johanne Poirier، وايطاليا Tania Groppi، في توسيع مفهوم الادارة الذاتية[3].

اما الأنظمة العربية فقد ضَرَبت بدرجات متفاوتة، باستثناء لبنان، التقاليد الدستورية في الفدرالية الشخصية (أنظمة الملل، حرية التعليم للمؤسسات الدينية...) بحجة تحقيق الاندماج، او بالاحرى "الانصهار" أي بقوة الحديد والنار. وترافقت الايديولوجيات الإندماجية القسرية عربيًا مع ذهنية الاستيلاء على الارض بين مجموعات دينية وتقاسم السلطة جغرافيًا ومذهبيًا بشكل يتخطى مُجرد التنافس الانتخابي النيابي والبلدي. أدى ضرب التقاليد الدستورية العربية بعد عهود ما سُميّ التحرر الى تفكيك مساعي الوحدة والى تأزيم العلاقات بين الشعوب.

وليس في المنطقة العربية تقاليد في الفدرالية الجغرافية. في حالة البلقان بشكل خاص اقليات في كل بلد هي اصلاً، من منطلق عرقي واثني وديني، لبلد آخر مُجاور. لهذا

[3] . *Unity in Diversity* (Learning from Each Other), 4th International Conference on Federalism, Forum of Federations, 5-7 November 2007, New Delhi (India), 2007, 496 p.

السبب قد يُثير موضوع الفدرالية الجغرافية الرعب في المنطقة، وبخاصة في تركيا في ما يتعلق بالاكراد.

عُرضت حالة اهل كيبك Québec الناطقين باللغة الفرنسية، بخاصة في مجالات التعليم والمعاملات الادارية، والذين يَقطنون بسبب ظروف العمل في مناطق ناطقة بالانكليزية. وكذلك حالة بروكسل Bruxelles التي تُظهر الحظوظ الفاعلة في الدمج بين الجغرافي والشخصي من منظور الفدرالية. وعلى سبيل الفرضية "اذا انفصلت كيبيك Québec عن كندا فان المعضلة تبقى ذاتها حيث ان إحدى عشرة قومية هي متواجدة في جغرافية كيبيك"[4]

غالبًا ما يغرق الباحث في مُقاربات ايديولوجية حول إدارة التنوع، في حين ان كل منظومة تحتوي على ظواهر مرضية وظواهر مُنتظمة. أستهجَن باحثون بالمطلق، بسبب اغتراب ثقافي، بعض أشكال إدارة التنوع على اسس شخصية بدون دراسة آليات الضبط الحقوقية الضرورية لهذا النوع من المنظومات.

ان الادارة الذاتية الحصرية، في بعض الانظمة في العالم وحسب المادتين 9 و10 من الدستور اللبناني[5]، يجب ان تتضمن في سبيل انتظامها خمسة شروط على الاقل:

---

[4]. Alain – G. Gagnon, *La raison du plus fort* : *Plaidoyer pour le fédéralisme multinational*, Québec, 2008, p. 219.

نقلته الى العربية ريتا عيد لافورج مع تقديم لفادي فاضل، **دفاعًا عن الاتحادية**، الجامعة الانطونية، 2010، 250 ص.

[5]. حول نظام الاحوال الشخصية من منظور مقارن بعض مُساهماتنا في مؤتمرات دولية:

Antoine Messarra, “Principe de territorialité et principe de personnalité en fédéralisme comparé », *ap*. A. Messarra, *La gouvernance d’un système consensuel* (Le Liban après les amendements constitutionnels de 1990), Beyrouth, Librairie Orientale, 2003, 600 p., pp. 67-102.

__, « Principe de territorialité et principe de personnalité en fédéralisme comparé : le cas du Liban et perspectives actuelles pour la gestion du pluralisme », *ap*. Jean-François Gaudreaut-DesBiens et Fabien Gelinas (dir.), *Le fédéralisme dans tous ses Etats,* Bruylant et éd. Yvon Blais, Forum des fédérations, 2005, 474 p., pp. 227-260.

__, « Principe de personnalité et principe de territorialité en fédéralisme comparé. Expérience du Liban et perspectives pour demain au Proche-Orient », *ap*. Thomas Fleiner (ed.), *Federalism : A Tool for Conflict Management in Multicultural Societies with Regard to the Conflicts in the Near East*, Institute of Federalism, Fribourg-Switzerland, 2008, 282 p., pp. 39-58; et version modifiée *ap*. Thomas Fleiner (dir.), *Fédéralisme et décentralisation*, Editions universitaires Fribourg-Suisse, Institut du fédéralisme, 1987, 488 p., pp. 447-480.

– ان تكون **مُحددة** لبعض القضايا.

– ان تتولى **هيئات مركزية** ضبط المعايير بشأنها. يُذكر في حالة لبنان دور محكمة التمييز في قضايا الاحوال الشخصية والدور الناظم لوزارة التربية والتعليم العالي.

– ضرورة **توافر مخرج opting out** بحيث لا يجوز إرغام شخص على الانتماء الى مجموعة او طائفة.

– أطُر **لامركزية ادارية فاعلة** في سبيل تسريع عملية التقرير التي قد تتعطل بسبب تجميع القضايا داخل السلطة المركزية وادخالها في صراع على النفوذ.

– ثقافة **المجال العام** العابر للطوائف transcommunautaire للحؤول دون الانغلاق.

ماذا فعل العرب بعد العهود التي سُميت تحررًا بتراثهم الدستوري طيلة اكثر من اربعة قرون؟ تَخَلُّوا بالمطلق عن بعض تنظيمات الماضي بدون السعي الى عصرنة هذه التنظيمات. وإعتمدوا سياقات ايديولوجية في التحديث بدون استيعاب موجباته. انه مأزق بعض الفكر العربي وبعض الفكر التوحيدي العربي. ان الصهيونية في الموضوع الذي يُهمّنا هي التي أدخلت على المنطقة العربية والشرق الاوسط بعامة مفهومًا انفجاريًا في الترادف بين هوية دينية ومساحة جغرافية. يُناقض التراث الدستوري العربي هذا المنحى. وحالة العراق هي مختبر في البحث عن حظوظ الفدرالية في معالجة أزمة العراق.

مع انهيار الحدود، بفعل عولمة وسائل التواصل وحرية انتقال الاشخاص والسكّان، تُطرح بصورة مُتزايدة مُشكلة حماية الحقوق الثقافية على الصعيدين الجغرافي والشخصي. يقتضي، بالنسبة للمجتمعات المتنوعة البنية، البحث في كيفية توطيد فدرلة تنسجم مع المبادئ الانسانية وحقوق الانسان، ولا تكون حصيلة هندسة شعوب جراحية في تهجير أو ابادة أو تطهير اثني او اندماج قسري.

ان اشكالية ربط الهوية بالجغرافيا وإن تبدو طبيعية في ايديولوجية الدولة–الامة فانها قد تكون انتحارية ودموية، بخاصة في زمن التواصل ضمن مجالات مُتحركة مادية ورمزية وحيث الاقليات هي غالبًا غير متمركزة في مجال جغرافي مُحدد.

منذ الخمسينيات من القرن الماضي، ألغت سلطات عربية الحق الممنوح للطوائف في انشاء مدارسها الخاصة، اما عن طريق تأميم التعليم، وإما عن طريق مُراقبته بصورة مباشرة. لم يُؤد ذلك الى اندماج ثقافي اكبر. وكذلك ألغي تدريجيًا التمثيل النسبي المضمون في المجالس السياسية والادارات العامة. أما في ما يتعلق بنظام الأحوال الشخصية، فإنه لا يتمتع بالمساواة مع الشريعة الاسلامية، باستثناء حالة لبنان حيث لا تحظى أية طائفة بأي تفوق على طائفة أخرى في ما يختص بنظام الأحوال الشخصية الخاص بها في حال التنازع بين القوانين، الأمر الذي شجّع على تراجع التحايل على القانون.

أوجد النظام اللبناني، من حيث المبدأ، وسيلة عملية خلال الانتداب الفرنسي لتطبيق فدرالية شخصية منفتحة او غير مُغلقة عندما لحظ، بموجب القرار 60 ل.ر في 13 آذار 1936، انشاء طائفة الحق العام التي لا تعرف التشريعات العثمانية وجودها[6]. فالذين لا ينتمون الى طائفة، أو الذين يرغبون في التخلي عن انتمائهم الأصلي بالولادة، غالبًا بسبب زواج مختلط، يُمكنهم الانضمام الى مجموعة الحق العام التي هي طائفة غير مذهبية.

لكنه يقتضي العمل على عصرنة ودمقرطة أنظمة الاحوال الشخصية في لبنان والمنطقة العربية بعامة في اتجاهين: نحو جعل هذه الانظمة أكثر **مساواة** في الحالات حيث تفتقر هذه الانظمة الى المساواة، وجعلها **منفتحة** بشكل يحق فيه لكل شخص الانتماء الى نظام مدني إختياري في الاحوال شخصية.

الفكر الدستوري متأرجح غالبًا بين فدرلة جغرافية مُستحيلة وبين فدرلة شخصية لها شروط وقواعد على مستوى تشكيل الحكومات ونظرية فصل السلطات والطبيعة البرلمانية المركبة régime parlementaire pluraliste للنظام الدستوري اللبناني.

فتح المؤتمر الرابع "لمنتدى الفدراليات" في نيودلهي سنة 2007 المجال واسعًا لبحوث تطبيقية يفتقر اليها العلم الدستوري المقارن حول مختلف أشكال إدارة التنوع الثقافي والديني وضوابطها الحقوقية في إطار الدولة المركزية والنظام العام.

لطالما في لقاءات مع القاضي الكبير مُنَح متري شجَّعتُه مرارًا لنشر خُبرته في محكمة التمييز في شؤون الاحوال الشخصية. مُنَح متري هو من أبرز المنظّرين لمفهوم النظام العام من خلال اجتهادات رائدة، بخاصة في إطار دراسة رقابة الهيئة العامة لمحكمة التمييز في لبنان على الاحكام المذهبية والشرعية.

---

[6]. حول التشريعات العثمانية:

Georges Young, *Corps de droit ottoman*, Oxford, Clarendon Press, 1905, 7 vol., notamment vol. 2, p. 7-10, 67-109, 148-155.

- Benjamin Braude, Bernard Lewis (ed.), *Christians and Jews in the Ottoman Empire* (The Functioning of a Plural Society), Holmes and Meier Publ. Inc., 2 vol., 1982.
- Coll., *Minorités et nationalités dans l'Empire ottoman après 1516*, Beyrouth, Publications de l'Association des historiens libanais, Librairie Le Point, 2001 (en arabe, français et anglais), 708 p.
- G. Noradounghian, *Recueil d'actes internationaux de l'Empire ottoman*, Paris-Leipzig-Neuchatel, 1902, vol. III, pp. 280 sq. Cf. également Baron I. de Testa, *Recueil des traités de la Porte ottomane,* Paris, Muzard, vol. VI, 1884, pp. 338-345.

المنطلق العلمي والإستنتاجي في دراسة أنظمة الاحوال الشخصية هو دستوري وحقوقي وعائلي بعيدًا عن مقاربات ايديولوجية وعقائدية وسجالات تقليدية حول الطائفية والعلمانية... هذا المنطلق هو بطبيعته عابر للطوائف transcommunautaire لان مرجعيته مفهوم النظام العام في قضايا الاحوال الشخصية في الانظمة الفدرالية الشخصية[7]. تُستخلص من الإجتهادات الدستورية مجموعة مبادئ ناظمة للحريات في إطار موجبات الوحدة والنظام العام.

[7]. Marie-Claire Foblets et al., *Cultural Diversity and the Law* (State responses from Around the World), Bruylant et Editions Yvon Blais, 2010, 1008 p.

- Françoise Curtit et Francis Messner (éd.), *Droit des religions en France et en Europe* (Recueil de textes), Bruylant, Bruxelles, 2008, 1194 p.

- *Droit et religion*, Bruylant et Beyrouth, Cedroma, Université Saint-Joseph, 2003, 586 p.

انطوان مسرّه، ربيع قيس، طوني عطاالله (ادارة)، **مرصد التعددية الدينية في لبنان والمجتمعات العربية،** وقائع الندوة التي عقدت في اطار "الماستر في العلاقات الاسلامية والمسيحية" بالتعاون مع مؤسسة جورج افرام، كلية العلوم الدينية، جامعة القديس يوسف، 2010، 288 ص.

8

التعديلات الجديدة في الدساتير
العربية حول الحقوق الدينية والثقافية

تأثير هذه التعديلات على مسار العدالة الدستورية*

انطوان نصري مسرّه

1. تُظهر التعديلات الجديدة في أكثر الدول العربية ومنذ 2010 تجديدًا وتأصيلاً في ما يتعلق بضمان الحقوق الدينية والثقافية.

يحصل ذلك خلافًا لخطاب تُعممه أوساط جامعية وفكرية وإعلامية حول الدولة الدينية والشريعة والتشريع.

لا يعني ذلك ان الحقوق الدينية والثقافية مصونة واقعيًا في المجتمعات العربية، بل يبيّن ذلك المسعى في أعلى الهرمية الحقوقية العربية الى تحديث وتأصيل الإدارة الديمقراطية للتنوع الديني والثقافي.

يؤدي التحديث في المصطلحات والتعابير الى مزيد من التطور مُستقبلاً في مسارات العدالة الدستورية.

2. يتطلب ذلك من الجامعيين والباحثين والإعلاميين والملتزمين في المجتمع المساهمة في هذا المسار من خلال الخروج عن شعارات سائدة ومن الماضي والمساهمة في التحول في الذهنيات.

3. ان العبارات الواردة في التعديلات الدستورية في أكثر من 15 دولة عربية حول سيادة الشعب، وسيادة القانون، ومقاصد الشريعة، والمواطنية، والصفة الرسمية لدين الدولة، والتراث الثقافي العربي، ومنع إصدار قوانين تنافي جوهر الحريات الواردة في الدستور كما في المادة 128 من الدستور الأردني المعدّل... تحمل معان حديثة وتغييرية أساسية.

* موجز باللغة العربية للدراسة المنشورة في القسم الفرنسي من هذا الكتاب.

4. يتطلب تحويل هذا التحديث في النصوص الدستورية الجديدة الى ممارسة عمل ثقافي خارج شعارات يتداولها ويُعممها جامعيون واعلاميون بدلاً من المساهمة في التحديث والتأصيل.

9

شرعة الحريات الدينية في العالم العربي

قواعد حقوقية وخلقية سلوكية[*]

أنطوان نصري مسرّه

[*] شرعة مقترحة للمناقشة أعدت في إطار برنامج "منتدى التنمية والثقافة والحوار"، 2017.

مقدمة

1 ما يُبرر في عالم اليوم وفي المنطقة العربية بشكل خاص وضع شرعة عربية حول الحريات الدينية إمتداد ما يُمكن تسميته **بعلم سياسة الدين politologie de la religion**. تُستغل الأديان كايديولوجيات في التعبئة السياسية بعد تراجع ايديولوجيات الماضي في الرأسمالية والاشتراكية والقومية والشيوعية...، لماذا؟

آ. لأن الاديان تحمل **كثافة قيمية** بخاصة إذا إرتبطت بالهوية في حين أن الإيمان إنساني وعالمي.

ب. لأنها تطرح **عقائديًا** شؤونًا غير قابلة للتفاوض وتاليًا **نزاعية.**

ج. لأن العولمة قد تخلق فراغًا في **المعنى** فتستغل جماعات سياسية هذا الفراغ بخاصة لدى شباب مؤدلجين ومخدوعين.

د. لأن التعبير عن الأديان يتم اليوم، نتيجة إنتشار الحريات الفردية والدمقرطة، من خلال **هيئات مُتعددة** مما يُفقد المؤسسات الدينية بعضًا من شرعيتها الاجتماعية ويتم إقحام الأديان في التنافس السياسي.

هـ. نتيجة الحريات الفردية، تنتشر أديان ومعتقدات وشيع **حسب الطلب** religion à la carte وتاليًا أديان بلا حدود.

***

2 يظهر ذلك منذ القدم ولكن تتوفر له اليوم وسائل قصوى في الامتداد والمخادعة بواسطة الانحراف عن انسانية العلوم الإنسانية وانتشار وسائل التواصل وقد تتحول الأديان الى مجرد مؤسسات لا تعود باستمرار الى منابعها الايمانية. يقول ريمون آرون Raymond Aron في كتابه سنة 1944: **الانسان في مقاومة الطغاة** *L'homme contre les tyrans:* "سيتم بعد اليوم التلاعب علميًا بالأديان من قبل زعامات خبيثة"[1].

3 لكنه من الخطورة إعتبار الأديان مصدر نزاعات في حين أن التجربة التاريخية تُظهر ان **الايمان مصدر سلام** بين البشر وان التيارات السياسية الالحادية كانت مصدر قمع

[1]. « Les mythes, les religions seront désormais maniées scientifiquement par des élites cyniques » (Raymond Aron, *L'homme contre les tyrans*, Paris, éd. de la Maison française, 1944, 402 p., p. 21. « Myths and religions will be manipulated by cinical elites. »

وإبادة. عاشت البشرية – وتناست ربما – مأساة التيارات السياسية الالحادية التي قتلت الله فقتلت الإنسان[2].

4 كل الأديان بحاجة الى مؤسسات في سبيل نقل البشارة وإدارة الشؤون الدينية. هذه المؤسسات إيمانية في منابعها، ولكنها بشرية في إدارتها، وهي تاليًا ككل القضايا البشرية تحمل بذور فسادها في حال عدم اعتمادها المستمر على منابعها الروحانية التأسيسية.

يتطلب تاليًا تطور العلوم الانسانية والطبيعية وإمتداد الحريات الفردية والجماعية، بخاصة لدى الجيل الجديد، مزيدًا من الاصالة والتجدد والتعمُق في **الايمان** الذي لا دين له ولا زمان ولا مكان، أي انه التساؤل البشري العالمي حول معنى الوجود والكون والموت والحياة والألم والحب... الايمان لدى كل المؤمنين من كل الأديان، وحتى اللامؤمنين بصفتهم يحملون جوابًا أو شكوكًا حول هذا التساؤل، هو عنصر **حوار جامع وتلاقي**. يقول Theillard de Chardin: "كل ما يرتقي يلتقي"[3]. البعد الايماني في التساؤل والبحث عن معنى هو مُبرر وجود الأديان ومؤسساتها. الحاجة تاليًا أن يكون **الايمان** العنصر الأبرز في الثقافة الدينية والتربية الدينية والحوار بين الأديان والاعلام في الشؤون الدينية. الفريسيّون وأهل الناموس معروفون في الانجيل. وفي القرآن وردت عبارة "**المنافقون**" أكثر من عشرين مرة! من هم المنافقون؟ اقتحم ويقتحم اليوم تجار الهيكل كل الهياكل.

5 تفترض بعض مزالق العولمة مُراجعات جوهرية في الاعلام بخاصة في الشؤون الدينية. يوجد اسلام متعدد، إسلام مسلم. لكن ما معنى اسلام "معتدل" واسلام "متطرف" وارهاب "اسلامي"...؟ انها عبارات أنتجتها جامعات واكاديميون ووسائل إعلام وتعمّمت. يوجد اسلام متعدد ويوجد... "منافقون"! من هم المنافقون الذين يستغلون براءة أو سذاجة جماعات من الناس؟ ويوجد مُتصهينون يسعون على القضاء على ما هو خارج العقائدية المغلقة في الترادف بين مساحة جغرافية ودين مُحدد، وذلك في منطقة عربية

---

[2]. Henri de Lubac, *Le drame de l'humanisme athée*, Paris, Spes, 1944, rééd. Cerf, 1998.
[3]. « Tout ce qui s'élève converge. »

عاشت قرونًا في إطار نسيج عربي مُتعدد انسجامًا مع فلسفة الشريعة في الاسلام. هذه الفلسفة الإسلامية تقر اساسًا **بتعددية الأنظمة الحقوقية في المجتمع** في حالات مُحددة pluralisme juridique خلافًا لما كان سائدًا في الغرب.

لماذا يعتمد باحثون ومثقفون وإعلاميون الوصف "الإسلامي" الذي يُلبسه لنفسه الإرهابي؟ ولماذا يُعمم الباحث والإعلامي هذا التوصيف ويُكسب بالتالي الصدقية والبراءة والتبرير لهذا التوصيف؟ ان توصيف العمل الجرمي تُحدده قوانين العقوبات وليس المجرم وما يقوله عن نفسه! إذا أقدم أحدهم على نسف بناية في شارع مدعيًا ان مار الياس ظهر له في الحلم وطلب منه ذلك، قد ينقل الاعلام التوصيف، ربما مع التشكيك المرادف لهذا النقل، ولكن يُفترض ان لا يتكرر هذا التوصيف بأن المجرم مُلهم!

6 يتطلب انتشار وسائل التواصل وانتشار مفهوم التنمية البشرية المستدامة مراجعة بالعمق لمفهوم الحدث. هل تنقل الجامعات والمؤلفات ووسائل الاعلام فقط مجموعة مآسي البشرية وما يقترفه مُنحرفون ومجرمون وارهابيون؟ قد يكون التعصب هو في القسم الأكبر منه إنتاج جامعات واكاديميين وإعلاميين ينكبون على دراسة مُنظمات ويُعمّمون انتشار هذه المنظمات ويحولونها الى مرجعية في المجال العام، في حين تقوم هيئات عديدة **بأعمال نموذجية إيجابية وريادية** ولا تنكب على دراستها الجامعات وتُهمل التعريف بها وسائل الاعلام. تحول بن لادن سابقًا، عمليًا، الى أهم فقيه إسلامي في العالم من خلال الاعلام!

7 نعني بشرعة لا مجرد ميثاق يقتصر على مبادئ، بل قواعد سلوكية Code of conduct/ Code de conduite. يُراجع على سبيل المثال سبع شرعات: شرعة المواطن في العلاقة مع الادارة، شرعة المواطن التربوية، شرعة المواطن الصحية، شرعة المواطن في شأن البيئة، شرعة المواطن للسلامة العامة، شرعة المواطن للتراث، شرعة المواطن للمال العام، الصادرة عن مكتب وزير الدولة لشؤون التنمية الادارية الاستاذ فؤاد السعد، وتنسيق ليلى بركات وانطوان مسرّه، 2002–2004.

8 يتطلب كل ذلك **تأصيلاً وتجديدًا** في المقاربة بخاصة في ما يتعلق بالشؤون التالية:

نقل الرسالة او البشارة.

تجنب العقائدية المغلقة.

الاستفادة من مكتسبات الحوار بين الاديان والاعمال المسكونية.

التركيز على موقف الاديان من الحرية وعلى تراتبية القيم: الرحمة، التقوى، العدل، الحرية، لا اكراه في الدين...

الاعتماد على القيم الاساسية الثلاثة التالية في كل الأديان:

الانسان كائن حر

الانسان قيمة ذاتية مطلقة

الاخوة بين البشر.

9 كل خبر ديني يدخل في مجال التنافس على السلطة هو مُعرض للتلوث ويقتضي التشكيك فيه واستكشاف الظاهر والمكتوم فيه. يتوجب تاليًا التدقيق في صحة الخبر الديني وصدقيته واستكشاف مصادره... وبشكل أكثر أصالة **التشكيك بدون استثناء بكل ممارسة للعنف باسم الله او الدين.** كل ممارسة للعنف باسم الله او الدين يقتضي ان تُثير الادانة لان من يُمارس العنف باسم الله يخرج عن المحاسبة ويمارس الدينونة قبل الدينونة نيابة عن الله، وينتحل صفة الهية. لا تبرير للعنف الا دفاعًا عن النفس واستنادًا الى قواعد الدفاع عن النفس وتقرير المصير والشرعات الدولية لحقوق الانسان، ما يُساهم في تنقية الاديان من التلوث لصالح الجميع، مؤمنين وملحدين ومشككين... وانسجامًا مع الشرعات الدولية لحقوق الانسان.

ان بيان علماء المسلمين الذي ألقاه في 2 كانون الثاني (يناير) 1989 الشيخ احمد متولي الشعراوي في مصر يُشدّد على ثلاثة مفاهيم تُشكل اطارًا في بناء نظرية العلاقة بين الدين والسلطة وهي: اولياء الامور، وحدود الولاية، والضوابط. جاء في البيان:

"اتفق العلماء ان تغيير المنكر باليد واجب على **ولي الامر** وعلى كل انسان في **حدود ولايته** وان تغيير المنكر بغير **ضوابط** يؤدي الى شيوع الفوضى في المجتمع ويضر بمصلحة الدين والوطن. (...) الثابت في كل العصور ان الذي يقوم بتنفيذ الحدود وتغيير المنكر باليد هم **اولياء الامور** وحدهم".

ما هو **الظاهر والمكتوم** في الخبر الديني الذي يخترق المجال العام؟ الحاجة الى التدقيق والتأكد من المصادر والتشكيك في التصريحات ومواجهة البرمجة الطائفية حيث ان قضايا طائفية لا تعالج وقضايا عامة يتم تطييفها.

10 الحاجة الى عرض **المرجعية الحقوقية** في القضايا المطروحة في الاحداث الدينية، وإسناد الى الاخبار والتعليقات والتحقيقات الى مرجعية حقوقية في الحالات حيث تتوفر قواعد حقوقية وضعية بدلاً من اقتصار العرض، بخاصة في الشؤون الدينية، على خلافات بين سياسيين وتنافس بينهم ومواقفهم، فلا يغلب على السياسة طابع الحلبة وشريعة الغاب والتبعية الزبائنية والسجال حول مواقف وبدون مرجعية حقوقية.

يبرر ذلك تنمية ثقافة حقوقية للإعلاميين وثقافة حقوقية عامة في الشؤون الاساسية والانتهاكات الجوهرية لحقوق الانسان وتنظيم دورات تدريبية للاعلاميين الشباب حيث تُعرض حالات للدراسة في الاعلام حول احداث دينية يغلب فيها طابع السجال والتعبئة النزاعية والتنافس وتصادم المواقف، بينما تتوفر قاعدة حقوقية تسمح بالمعالجة بدون شخصنة الموضوع وبدون تحويله الى خلاف بين أشخاص ومواقع وحلبة مواقف.

11 ما هي سبل الانسجام بين **الاحترام وحرية النقد الديني**؟ تطرح المادة 9 من الدستور اللبناني **واجب احترام الاديان والمذاهب وكرامتها**. هذه المادة هي ثمرة تراث دستوري لبناني اصيل يعود الى مئات السنين.

المادة 9: حرية الاعتقاد مطلقة **والدولة** بتأديتها فروض الاجلال لله تعالى تحترم **جميع الاديان والمذاهب** وتكفل حرية اقامة الشعائر الدينية تحت **حمايتها** على ان لا يكون في ذلك إخلال في النظام العام، وهي تضمن ايضًا للاهلين على اختلاف مللهم احترام نظام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية.

12 ما هو واقع حرية المعتقد؟ قلما ينطلق باحثون من مبدأ حرية المعتقد ووصفها "بمطلقة"، كما في المادة 9 من الدستور اللبناني. اي نوع في الثقافة الدينية نحتاج اليه في مجتمع متنوع الاديان والمذاهب؟ ما هي القيم الدينية ذات الاهمية الاولوية؟ ما العمل لنقل المواطن من الذهنية الطائفية الى البعد الايماني الكوني؟ كيف نعالج تحول الدين الى مجرد

انتماء اجتماعي؟ تتطلب الاجابة تخطي المقاربة التقليدية، وكذلك المقاربة الالحادية والمقاربة التي تحصر الدين في المجال الخاص.

13 الاديان المؤدلجة هي عنصر نزاعات وحروب، ولكنها اساسًا في منابعها الإيمانية **عامل سلام وتغيير**. يمكن ايجاز مبادئ اعلام انساني منفتح، بأربع نقاط:

الناحية **الانسانية** التي تعني قبول التباين.

المساواة التي تعني ان يتنازل كل مؤمن عن الشعور بالتفوق.

الكونية التي تقضي بالاعتراف بقيمة الثقافات والاديان الاخرى.

الانفتاح الذي يعني الذهاب الى الغير والتعامل معه في إطار ديمقراطي.

14 لا يتم التعريف بالأديان وبالأحداث الدينية بدون منطلقات فكرية وثقافية، نذكر ثلاثة من اهمها:

– **احترام خصوصية الحدث الديني:** تخوفًا من المس بالمعتقدات، يختزل الواقع الديني بعض الاحيان بأشكاله السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويُفرّغ من مضامينه الدينية. في المجتمعات المتعددة الأديان والمذاهب الحاجة الى التمييز بين المستوى الايماني ومستوى الانتماء الطائفي/ الاجتماعي.

– **المقاربة العلمية ضد التطييف:** اي موقف تجاه الاديان يقوم على ايديولوجية أقل وعلم اكثر، يُساهم في تنقية الاذهان. يؤدي تجاهل الظواهر الدينية الى إستمرار المنمطات السلبية والى التعبئة الفئوية.

– **عرض الواقع الديني بتنوعه بدون التخوف من تصادم المعتقدات الدينية او الفلسفية:** القبول بالاختلاف بدون تعال هو قاعدة للمساكنة والعيش معًا في عالم كلما ضاق كلما زادت إحتمالات التنافر بين ساكنيه، على عكس الفرضية التقليدية في العصرنة.

15 يُفترض الاخذ بالاولويات الثلاث التالية:

– احترام كل الرموز والقيم الدينية الاساسية كمفهوم **القريب** في المسيحية، ومفهوم **الرحمة** في الاسلام.

– عرض الاديان على حقيقتها وكما يعيشها المؤمنون بها. يكون التفسير صادقًا في التربية اذا عبّر عن وجهة نظر المنتمين الى الاديان.

– ان الدولة التي لا تعاقب **المخالفات الحقوقية** البارزة تقع في الفوضى السياسية – الدينية وتجد نفسها لاحقًا مُرغمة على قمع المخالفات بطريقة قاسية.

ما هو الحد الفاصل بين حرية المعتقد وابداء الرأي، وواجب "احترام الاديان وكرامتها"؟ في هذا المجال لا بد من رصد إجتهادات المحاكم من أجل التطبيق الصحيح والكامل للنصوص الدستورية، مع التعمق في المعاني، الخلقية والدستورية في آن، لكلمتي "احترام" و"كرامة"[4]. ما هو مضمون "اثارة الفتنة الطائفية" واستغلاله غالبًا من قبل السلطة؟ ما هو السلوك الاعلامي في ذلك؟

16 في سبيل التمكين empowerment الحاجة الى ابراز **المظاهر الايجابية** في دفاع رجال دين وسياسيين ومؤمنين عن المظلومين وحقوق الانسان وخروجهم عن التواطئ مع السلطة وعن اعتماد الصمت. الحاجة الى الاستناد الى القول التالي: "ليس أشد إيلامًا من ظلم الظالمين الا صمت الطيبين".

17 الحاجة الى تجنب الغموض في الشؤون المتعلقة بالحريات الدينية وممارستها فلا تعالج "أوضاعًا سيئة مع وثائق تُجمّلها"[5].

---

[4]. Catherine Audard (dir.), *Le respect : De l'estime à la déférence. Une question de limite,* Paris, Autrement, « Morales », no, 10, 1993, 226 p.

يراجع قرار محكمة استئناف جزاء بيروت في 1970/7/7 بشأن صادق جلال العظم، **النشرة القضائية اللبنانية**، ص 977-979، وقرار محكمة استئناف جزاء بيروت في 1961/3/14 بشأن جريدة **صوت العروبة**، **النشرة القضائية**، ص 196-200.

ميشال ابو نجم (اعداد)، "التعاطي الاعلامي مع احداث نهر البارد: هل من صورة مفتقدة للجيش؟"، **النهار**، 2007/7/9.

[5]. من محاضرة عباس الحلبي في ورشة عمل "الحوار المدني-الديني حول الحرية الدينية"، معهد أديان بالتعاون مع Fonds canadien d'initiatives locales، بيروت، فندق بريستول، 2016/2/6.

مراجع مختارة

الكنيسة الكاثوليكية – المجمع الفاتيكاني الثاني، بيان في "الحرية الدينية" Dignitatis Humanae: "حق الفرد والجماعات الدينية في الحرية الدينية الاجتماعية والمدنية في ما يتعلق بالشؤون الدينية"، 1965/12/7.

مكتب شيخ الأزهر، بيان الأزهر والمثقفين عن منظومة الحريات الأساسية، 2012/5/8.

الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي، **وثيقة الاحترام المتبادل بين أهل الأديان،** بيروت، طبعة ثالثة، 2011، وترجمة الى الإنكليزية: Document on Mutual Respect Among Religions, 16 p.

مكتب وزير الدولية لشؤون التنمية الادارية، بالتعاون مع OMSAR وبرنامج الامم المتحدة الانمائي UNDP، **شرعات المواطن: تربية، صحة، تراث، سلامة عامة، مال عام، بيئة،** مكتب وزير الدولة لشؤون التنمية الإدارية فؤاد السعد، إدارة ليلى بركات وتنسيق عام انطوان مسرّه، 6 أجزاء، 2007، وطبعات بالانكليزية والفرنسية.

جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، **إعلان بيروت للحريات الدينية،** المؤتمر المقاصدي الأول للإصلاح والنهوض، 2015/6/20، 4 ص.

اعلان مراكش الذي تلاه أحمد التوفيق، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، في 2016/1/27.

محمد بشاري، الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية: أبعادها وضوابطها، منظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة التاسعة عشرة، امارة الشارقة، 18 ص.

رضوى صلاح محمد امام، "شرعة العلاقات الإسلامية المسيحية"، جامعة القديس يوسف، معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، الماستر في العلاقات الإسلامية المسيحية، يناير 2014، 4 ص. غسان بو دياب، "مقترح شرعة الحريات الدينية"، 2016/1/9، 6 ص.

Antoine Messarra, « Les composantes de la liberté religieuse : Grille de recherche », *ap.* A. Messarra, *La gouvernance d’un système*

consensuel (Le Liban après les amendements constitutionnels de 1990), Beyrouth, Librairie Orientale, 2003, 600 p., pp. 281-285.

Antoine Messarra, « Les garanties constitutionnelles des Libertés religieuses au Liban », « Constitutional Guarantees of Religious Freedoms in Lebanon. Current Situation Jurisprudence and Prospective », Beyrouth, *Annuaire du Conseil constitutionnel*, 2015, pp. 61-116.

مكتب وزير الدولة لشؤون التنمية الادارية، **شرعة المواطن، نحو علاقة جديدة بين المواطن والادارة العامة** (أقرها مجلس الوزراء في 2001/11/15)، تقديم فؤاد السعد، اعداد وتصميم ليلى بركات وتنسيق انطوان مسرّه، 2001، 56 ص.

مكتب وزير الدولة لشؤون التنمية الادارية، **الاعلام الاداري في لبنان اليوم: اشكالية مضمون ونماذج وتدريب**، تقديم فؤاد السعد، اشراف ليلى بركات، 2002 وتنسيق انطوان مسرّه، 480 ص + 16 فيلم وثائقي قصير.

الحق في الاطلاع: الواقع العربي في ضوء التجارب العالمية، الجمعية اللبنانية لتعزيز الشفافية – لا فساد، بيروت، 2004، 408 ص.

Gender perspectives, in *New Routes* (A Journal of Peace Research and Action), *Life and Peace Institute*, vol. 1, no 4 / 2006

Resolution 1325 on Women, Peace and Security, 13 October 2000,

اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوّع الثقافي، 2001.

UN Security Council - http: //
www.womenwarpeace.org/toolbox/WPS_Facts.pdf

بيان علماء المسلمين الذي ألقاه في 2 كانون الثاني (يناير) 1989 الشيخ احمد متولي الشعراوي في مصر:

"اتفق العلماء ان تغيير المنكر باليد واجب على ولي الأمر وعلى كل انسان في حدود ولايته وان تغيير المنكر بغير ضوابط يؤدي الى شيوع الفوضى في المجتمع ويضر بمصلحة الدين والوطن. (...) الثابت في كل العصور ان الذي يقوم بتنفيذ الحدود وتغيير المنكر باليد هم اولياء الأمور وحدهم".

تقرير المجلس الوطني للاعلام المرئي والمسموع، توقيع رئيسه عبد الهادي محفوظ، 2005/6/21، 16 ص.

انطوان مسرّه، **الاعلام في لبنان: قانون وخلقية** (دراسات ومقالات ومداخلات في مؤتمرات 1964-2006)، بيروت، المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم، سلسلة "وثائق" رقم 12، 2007، 756 ص.

الاعلام العربي وحقوق الانسان، منشورات المعهد العربي لحقوق الانسان، تونس، 2000، 564 ص.

Franck Mermier (dir.), *Mondialisation et nouveaux médias dans l'espace arabe*, Paris, Maisonneuve et Larose, 2003, 440 p.

وقائع المؤتمرين الاقليميين العربيين حول: "حق المواطنين في الاعلام: صدقية الخبر وخلقية الاعلام استنادًا الى الشرعات الدولية وفي الممارسة المهنية اليومية للاعلاميين من الجيل الجديد"، مؤسسة جوزف ولور مغيزل بالتعاون مع الاتحاد الاوروبي في اطار برنامج: "مرصد الديمقراطية في لبنان"، تنسيق انطوان مسرّه، 16-2001/11/17 و17-2003/1/18.

رنا موسوي، "الأبحاث الميدانية في رسائل قسم الدراسات العليا في الصحافة حول حق المواطنين في الاعلام (1995-2003)"، المؤتمر الاقليمي العربي الثاني، المرجع السابق، 17-2003/1/18، 14 ص.

Liste des sujets de mémoires soutenus par les étudiants du Master francophone de journalisme, UL/Liban et CFPJ – IFP / Paris, Université Libanaise, Faculté d'information et de documentation, DES francophone de journalisme, Tayouné, Beyrouth, 1996-2006.

Micheline Abou Khater Karam, *Le principe de légalité dans l'information quotidienne aujourd'hui au Liban* (Problématique et étude de cas), Master francophone de journalisme, UL/Liban et CFPJ-IFP/ Paris, dir. A. Messarra, sept. 2005, 66 p.

Michelle Doumit, *Le principe de légalité dans l'information quotidienne aujourd'hui au Liban* (Etude de cas), Master

francophone de journalisme, UL/ Liban et CFPJ – IFP / Paris, dir. A. Messarra, oct. 2005, 58 p.

Nadine Issa, *La programmation confessionnelle des mentalités à travers les médias* (Problématique et étude de cas), Master francophone de journalisme, UL/ Liban et CFPJ – IFP / Paris, dir. A. Messarra, 2006, 90 p. et synthèse in *an-Nahar*, 13/10/2006.

بول مرقص، "حرية التعبير والرأي والاعلام"، ورقة عمل لمجلس النواب وبرنامج الامم المتحدة الانمائي، 2006/7/10، 40 ص.

مشروع شرعة للاعلام المسيحي / شرعة البرامج في تلي لوميار، 2006/5/30.

ميثاق المجموعة اللبنانية للاعلام (قناة المنار)، القيم والمبادئ المهنية، **النهار**، 2006/7/12.

ورشة العمل الاقليمية حول تطوير القدرات المهنية للعاملين في مجال الاعلام والاتصال الخاص بالتنمية، التقرير الختامي، مكتب اليونسكو الاقليمي، بيروت، 2005، 72 ص.

جوائز "الاعلام في خدمة المجتمع"، المقسم 9 في **النهار**، و"نحن معك" في **السفير**، و"الخط الساخن" في تلفزيون لبنان، **النهار**، 2006/2/23.

ورشة عمل إقليمية في موضوع "الاعلام والشباب"، اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو ومكتب اليونسكو الاقليمي في بيروت، 12-2006/5/13.

طوني خضرا، **وسائل الاعلام والتربية** (القيم التربوية في الرسائل الحبرية التي صدرت بمناسبة اليوم العالمي لوسائل الاعلام: 1967-2006)، رسالة دراسات عليا مُعمقة، اشراف انطوان مسرّه، جامعة الروح القدس الكسليك، 2007.

Ziad Makhoul, “La proposition Tarek Mitri: abolir la censure et créer une haute autorité pour la sauvegarde des libertés, de l’ordre et de la morale », *L’Orient-Le Jour*, 29/6/2006.

محمد عبدالله، "خيط رفيع يفصل الموضوعية عن التحريض والتعبئة و"البروباغندا"، **النهار**، 2007/2/21.

اصوات مخنوقة (دراسة في التشريعات الاعلامية العربية: المغرب، الجزائر، تونس، لبنان، البحرين)، الاردن، مركز حماية وحرية الصحفيين Center for Defending Freedom of Journalists – Internews، 2005، 288 ص

info@cdfj.org/www.cdfj.org

المنظمة العربية لحرية الصحافة: www.apfw.org

مراسلون بلا حدود: www.rsf.org

منظمة مراقبة حقوق الانسان: Human Rights Watch/ www.hrw.org

حول الاعلام الانتخابي:

زياد بارود، "الرقابة المستقلة على الانتخابات"، في كتاب: **الانتخابات النيابية في لبنان 2005 في خضم التحولات المحلية والاقليمية**، المركز اللبناني للدراسات ومؤسسة كونراد اديناور، 2007، 430 ص، ص 331-343.

تقرير الجمعية اللبنانية من أجل ديمقراطية الانتخابات: www.ladeleb.org

تقرير ومشروع "الهيئة الوطنية لقانون الانتخابات النيابية" برئاسة الوزير السابق فؤاد بطرس: www.elections-lebanon.org. تضمّن مشروع القانون احكامًا خاصة بالحملة الانتخابية وبتمويلها وتحديد سقف للنفقات الانتخابية وتنظيم الاعلام الانتخابي.

تقرير البعثة الاوروبية حول الانتخابات اللبنانية:

http: //europa.eu.int/comm/external_relations/human_rights/eu_election_ass_observ/lebanon/final_report.pdf

"المعايير الاوروبية لمراقبة الانتخابات"، أعمال ندوة الجمعية اللبنانية من أجل ديمقراطية الانتخابات مع مفوضية الاتحاد الاوروبي، بيروت، 2005/3/18، **السفير**، 2005/3/19.

ملاحظات المركز اللبناني للدراسات والجمعية اللبنانية لتعزيز الشفافية (لا فساد) والتحالف اللبناني لمراقبة الانتخابات : www.ladeleb.org

***

قواعد حقوقية وخلقية سلوكية

شرعة الحريات الدينية في العالم العربي

أولاً – الايمان وحرية الضمير والمعتقد

1. ان الإيمان خيار ذاتي وثمرة قناعة ذاتية وضميرية وقرار حر لكل انسان وهو، بما يترتب عليه من حريات في العبادة والتعليم والتربية والحقوق عامة، حق من حقوق المواطن ولا يجوز الحكم بإطلاقية على ايمان الناس ولا الاكراه أو التمييز على أساس الدين والمعتقد، حيث ان الحقيقة لا تفرض الا بقوتها الذاتية التي تنساب الى العقل بقوة ووداعة متعادلتين.

ولا يجوز لأحد في أمور الدين أن يكره على عمل يخالف ضميره ولا أن يُمنع من العمل في اطار النظام الحقوقي للمجتمع، وفقًا لضميره سواء كان عمله في السر أو في العلانية وسواء كان فرديًا أو جماعيًا[6].

2. تشمل الحريات الدينية حرية الفرد في إختيار دين أو عدم الاختيار أو تغيير الدين وحرية النقد في الدين وفي المؤسسات الدينية في إطار القواعد الحقوقية التي ترعى التعبير عن الرأي والكتابة والنشر. يتم ضمان هذه الممارسات على المستويات الفردية والجماعية في إطار منظومة من الحقوق في المساواة والمشاركة وعدم التمييز، استنادًا الى الإعلان العالمي لحقوق الانسان عام 1948:

"لكل انسان حق في حرية الفكر والوجدان والدين ويشمل ذلك حريته في أن يدين بدين ما، وحريته في اعتناق أي دين أو معتقد يختاره"،

---

[6]. يراجع: الكنيسة الكاثوليكية – المجمع الفاتيكاني الثاني، بيان في "الحرية الدينية" Dignitatis Humanae: "حق الفرد والجماعات الدينية في الحرية الدينية الاجتماعية والمدنية في ما يتعلق بالشؤون الدينية"، 1965/12/7.

واستنادًا الى البنود الأربع في المادة 18 من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية:

" أولاً: لكل إنسان حق في حرية الفكر والوجدان والدين. ويشمل ذلك حريته في أن يدين بدين ما، وحريته في إعتناق أي دين أو معتقد يختاره، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حدة.

"ثانيًا: لا يجوز تعريض أحد لإكراه من شأنه أن يُخل بحريته في أن يدين بدين ما، أو بحريته في إعتناق أي دين أو معتقد يختاره.

"ثالثًا: لا يجوز إخضاع حرية الإنسان في إظهار دينه أو معتقده، إلا للقيود التي يفرضها القانون والتي تكون ضرورية لحماية السلامة العامة أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة أو حقوق الآخرين وحرياتهم الأساسية.

"رابعًا: تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد باحترام حرية الآباء، أو الأوصياء عند وجودهم، في تأمين تربية أولادهم دينيًا وخلقيًا وفقًا لقناعاتهم الخاصة."

3. النظام العام هو النظام الضامن للحقوق الأساسية استنادًا الى الشرعات الدولية لحقوق الانسان وليس نظام الأغلبية أو الدين السائد في المجتمع.

4. ان لتعبير الكفر، أي الخروج عن الدين أو عن المعتقدات السائدة في الأوساط الفقهية أو اللاهوتية، مدلول تاريخي وهو من الماضي وأظهرت الخبرات التاريخية مخاطره وانحرافاته ولا ينسجم اليوم مع موجبات الحريات الدينية ولا يحق مواجهته الا بالحجة والمنطق وضمن إطار المفهوم الحقوقي للنظام العام. ولا يتناسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بواسطة الاكراه والعنف مع التطور الحضاري والاجتماعي والحقوقي.

5. الحاجة الى توسيع مفهوم حرية التعبير ليشمل النقد المقترن بالدليل في الأوساط العلمية والثقافية والمتخصصة وبروح من التسامح والاحترام تجنبًا للفتن الطائفية والنعرات المذهبية وبدون إثارة واستنادًا الى أخلاقيات العلم وثوابته ومناهجه[7]. وبالتالي الشتيمة والقدح والذم والتحقير والإساءة والفتنة والإفتراء والازدراء تُعاقب عليها قوانين العقوبات ولا تندرج في اطار مفهوم النقد.

---

[7]. مكتب شيخ الأزهر، بيان الأزهر والمثقفين عن منظومة الحريات الأساسية، 2012/5/8.

6. حرية النقد في الشؤون الدينية وفي المؤسسات الدينية، استنادًا الى مفهوم النقد السائد في الأوساط العلمية والجامعية والثقافية، لا يُشكل إساءة وتحقيرًا[8].

7. ايمان أهل كل دين أو مذهب بصحة عقيدتهم وحقيقتها يجب أن لا يُورث شعورًا بالتفوّق أو الأفضلية أو التميز أو الاستعلاء وشرط ألا يؤثر سلبًا على العلاقات الإنسانية بين الناس وألا تحوّل الإدراك بالتفوّق الى تعصُّب يتنافى مع جوهر الإيمان القائم على البحث عن الحقيقة والتقوى في الممارسة.

ثانيًا – الإدارة الديمقراطية للتعددية الدينية

8. ليس للدولة الديمقراطية صفة دينية انطلاقًا من روح التشريع الدستوري الحديث[9] والدولة الديمقراطية هي مدنية في طبيعتها حيث انها مؤسسة رمزية يعبّر منها الجميع تفاوضًا وتقريرًا، والدين هو مصدر قيمي من مصادر تشريعها وليس مصدرًا اجرائيًا.

9. النظام الدستوري يُنشئه المواطنون أنفسهم وإعتبار هذا النظام السياسي أو ذاك مقدسًا أو معصومًا أو ركنًا من أركان الدين، فيه سوء فهم للدين وتشويه وفرض على الناس بدون وجه حق حيث ان المواطنين جميعًا هم في عقد وذمة الدولة التي يقيمونها معًا ويخضعون لدستورها وقوانينها التي تساوي بينهم في الحقوق والواجبات[10].

---

[8]. المطران جورج خضر، "القانون"، **النهار**، 2011/8/20.
___، "نقد المؤسسة الدينية"، **النهار**، 2003/11/21.

[9]. مكتب شيخ الأزهر، المذكور سابقًا.

[10]. نقلاً عن : "اعلان بيروت للحريات الدينية"، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، المؤتمر المقاصدي الأول للإصلاح والنهوض، 2015/6/20: "ان الإسلام (...) لا يعرف الدولة الدينية الكهنوتية. فالنظام السياسي هو نظام للحكم المدني".
كلمة المطران بولس مطر في ندوة الحكمة والمقاصد حول "اعلان بيروت للحريات الدينية"، **الرعية**، شباط 2016، ص 48-50.
ويراجع قضية مسعى منع بيع الكحول في كفرمان (النبطية-لبنان):
La tentative d’interdiction de la vente d’alcool à Kfarremane s’envenime”, *L’Orient-Le Jour*, 16/1/2016.

10. ان التراث الدستوري العربي طيلة قرون بما يتضمنه في إدارة التنوّع الديني والمذهبي والثقافي من خلال الإدارة الذاتية في بعض الشؤون هو قابل للتطبيق والتطوير استنادًا الى العلوم الدستورية المقارنة حماية لتعددية النسيج الاجتماعي العربي. هدف هذا التراث الدستوري العربي، بالإضافة الى حماية الحريات الدينية، ضمان المشاركة في الحياة العامة وتجنب العزل الدائم ولا يجوز، علميًا وبالمطلق، وصفه سلبيًا "بالطائفية".

ثالثًا – الممارسات الإيجابية لمواجهة التعصُّب

11. تكمن فعالية مقاومة التعصُّب ليس من خلال نمط سائد، غالبًا بهدف الإثارة، في أوساط أكاديمية وثقافية وإعلامية، تُركز على التعصُّب ومنظماته وأربابه، بل في العمل التربوي في المؤسسات التعليمية وفي الاستقصاء عن نماذج إيجابية ومعيارية في العيش المشترك والتضامن والتفاهم والتسامح وصيانة السلم الأهلي وممارسة الحريات والدفاع عنها تثير التماثل والاقتداء والتمكين، وأيضًا من خلال إنشاء مراصد لهذه النماذج الإيجابية والمعيارية[11] في الإدارة الديمقراطية للتنوّع الديني والثقافي.

12. ان المواعظ الدينية والمنابر الدينية والثقافية هي من الوسائل الفاعلة في نشر الإيمان وثقافة الرحمة والمحبة والسلام من خلال احترامها، في مضمون المواعظ والأسلوب، على حرية الفرد والجماعات بدون لهجات التهديد والصراخ والتوبيخ المسيء لكرامة الإنسان وحريته.

---

[11]. على سبيل المثال: الجندي خالد كحول في مقاومته الخطف على الهوية (1975/12/9) في بداية الحروب في لبنان والشيخ أحمد كنعان في مقاومته المشاغبين خلال تظاهرة في 2006/2/5 ضد رسوم صدرت في الدانمارك. يراجع:

___ طوني عطاالله، **نزاعات الداخل وحروب الخارج** (بناء ثقافة المناعة في المجتمع اللبناني، 1975-2007)، بيروت، المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، المكتبة الشرقية، 2007، 600 ص، ص 465-479.

دانيل عبد الخالق، **وظائف رجال الدين في المجتمع** (تجاوز للدور الروحي أم استجابة لحاجات المجتمع اللبناني؟)، جامعة القديس يوسف، رسالة ماستر في العلاقات الإسلامية والمسيحية، اشراف د. طوني عطاالله، 2015، 90 ص.

أنطوان سلامه، **نار المقدس والمحرّم** (الكاريكاتور الدانماركي من كوبنهاغن الى الأشرفية)، بيروت، مختارات، 2008، 148 ص.

13. لا يقتصر الحوار بين الأديان ومضمون التعليم الديني والفقه واللاهوت على العقائد وعقائدية تغلق أفق البحث عن الحقيقة، بل يشمل أخوة الإيمان والمحبة الإنسانية على أساس ان "كل ما يرتقي يلتقي".

14. العمل على تنمية ثقافة الحياة ومقاومة ذهنية الموت وتبريراته أيًا كانت القضايا حيث ان الحياة هي القيمة المطلقة التي تُحدد شروط العمل المدني والمعارضة والمقاومة والصمود والشهادة.

15. تعميم النشاطات المشتركة على غرار تجربة الخامس والعشرين من آذار في لبنان: "معًا حول سيدتنا مريم"، انطلاقًا من المشتركات الايمانية من التراث الابراهيمي.

16. العمل على تحديد وفضح من هم اليوم الفريسيّون وأهل الناموس، و"المنافقون" الذين اقتحموا ويقتحمون كل المعابد في التعبئة النزاعية ولأغراض سلطوية ويستغلون براءة وسذاجة المؤمنين أو المتعطشين الى المعنى في عالم تضطرب فيه وتتلوث القيم الناظمة للحياة العامة.

رابعًا – الاعلام عن الشؤون الدينية
والتي يجري ربطها بالاديان والمذاهب

17. حيث ان كل خبر ديني يدخل في المجال العام هو مُعرض للتلوث او الاستغلال، على الاعلامي ممارسة الشك المنهجي وإستكشاف الظاهر والمكتوم في الخبر والتدقيق في صحته وصدقيته ومصادره.

18. الحاجة الى التشكيك بدون استثناء بكل ممارسة للعنف باسم الله أو الدين. كل ممارسة للعنف باسم الله او الدين يقتضي ان تثير الرفض والادانة، حيث ان من يُمارس العنف باسم الله يخرج عن المحاسبة ويُمارس الدينونة نيابة عن الله وينتحل صفة آلهية. اصول اللجوء الى العنف تُحددها القواعد الحقوقية في الدفاع عن النفس وتقرير المصير والقانون الدولي الإنساني والشرعات الدولية لحقوق الانسان.

19. واجب الاعلامي أيًا كانت توجهاته ومعتقداته المساهمة في تنقية الاديان من التلوث في التنافس السياسي، وذلك للصالح العام وانسجامًا مع مبادئ الشرعات الدولية لحقوق الانسان حول الحريات الدينية.

20. إسناد الأخبار والتعليقات والتحقيقات الى مرجعية حقوقية rule of law/ règle de droit حيث انه في كل الحالات تتوفر قواعد حقوقية وضعية، بدلاً من اقتصار العرض، بخاصة في الشؤون الدينية، على خلافات بين سياسيين وتنافس بينهم ومواقفهم، فيغلب عندئذ على السياسة طابع الحلبة وشريعة الغاب والتبعية الزبائنية والسجال حول مواقف.

21. التقيّد بموجب "احترام الاديان والمذاهب وكرامتها"[12] الذي ينسجم مع حرية المعتقد وينسجم مع حرية النقد والتعبير، حيث ان الإحترام هو إعتبار الآخر يحمل قيمة ذاتية وهو جدير بالتقدير والكرامة تنبع من كفاءة وقيمة معترف بها.

22. يفترض الاحترام إعتماد السلوكيات التالية:

أ. احترام الرموز والقيم الدينية الاساسية كمفهوم القريب في المسيحية، وأولوية الرحمة في الاسلام.

ب. نشر ومساندة الأحكام القضائية والاجراءات والمواقف التي تُعاقب أو تنبذ المخالفات الحقوقية في شؤون الحريات الدينية، وبخاصة رصد إجتهادات المحاكم المنسجمة مع النصوص الدستورية، مع التعمق في المعاني الخلقية والدستورية في آن لكلمتي "احترام" و"كرامة"[13].

---

[12]. المادة 9 من الدستور اللبناني.

[13] . Catherine Audard (dir.), *Le respect: De l'estime à la déférence. Une question de limite*, Paris, Autrement, « Morales », no, 10, 1993, 226 p.

ورد في اعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوّع الثقافي، 2001: "ان الدفاع عن التنوّع الثقافي واجب أخلاقي لا ينفصل عن احترام كرامة الانسان".

23. عدم المساهمة إعلاميًا في "إثارة الفتنة الطائفية" وفضح الجهات التي تُثير الفتنة ومقاطعتها اعلاميًا.

24. المساهمة في إبراز المظاهر الايجابية في دفاع رجال دين وسياسيين ومؤمنين وغير مؤمنين عن المظلومين وحقوق الانسان.

يراجع قرار محكمة استئناف جزاء بيروت في 1970/7/7 بشأن صادق جلال العظم، **النشرة القضائية اللبنانية**، ص 977-979، وقرار محكمة استئناف جزاء بيروت في 1961/3/14 بشأن جريدة **صوت العروبة**، **النشرة القضائية**، ص 196-200.

الباب الثالث

الوحدة في التنوع:
التربية والذاكرة الجماعية المشتركة

1

أربعة عناصر للسلم الاهلي الدائم في لبنان

انطوان نصري مسرّه

عناصر السلم الاهلي الدائم في لبنان اربعة:

1. **مرجعية القانون والمؤسسات الدستورية:** المؤسسات هي المكان الدائم للحوار والضامن لمعالجة النزاعات سلميًا. كل تقاعس من مسؤولين برلمانيين او حكوميين لممارسة مسؤولياتهم داخل المؤسسات والتصويت والتقرير داخل المؤسسات يُهدد السلم الاهلي، بخاصة ان الحوار الوطني الكياني انتهى في لبنان بموجب وثيقة الوفاق الوطني–الطائف.

الدولة هي الحامية والضامنة للسلم الاهلي وحقوق المواطنين. والدولة وحدها تحتكر القوة المنظمة. كل تسلح سلطة خارج الدولة يُهدد العلاقات بين اللبنانيين والاستقلال والسيادة ودور لبنان ورسالته.

ليس المجلس النيابي وليست السلطة الاجرائية وليست الهيئات الرسمية مكان تسجيل ومصادقة لمحاصصات ووفاقات مصلحية خارج المؤسسات.

يعني ذلك احترام الدستور والمواثيق والتعهدات الوطنية.

لا ينتظم اي تعديل دستوري ولا أي سلم أهلي ثابت ولا أي نظام برلماني أو رئاسي او فدرالي او لا مركزي... في حال عدم توفر قاعدتين أساسيتين للدولة:

حصرية العلاقات الخارجية بالدولة

واحتكار الدولة وحدها للقوة المنظمة من جيش وامن وطني.

2. **الذاكرة الجماعية المشتركة:** انها الرادع تجاه آلية التكرار. الانقسام بين اللبنانيين، قياديين ومواطنين، هو بين من تعلّم من الحروب في لبنان ومن لم يتعلّم.

3. **التنمية الاجتماعية والاقتصادية المتوازنة:** لبنان وحدة اجتماعية اقتصادية صلبة. تخمة المتاريس والمعابر طيلة 15 سنة من حروب 1975–1990 لم تتمكن من تفكيك الوحدة الاجتماعية الاقتصادية في لبنان التي هي صلبة. السياسات الاجتماعية

الاقتصادية والادراك العملي واليومي للحقوق الاجتماعية والاقتصادية هما عنصر توحيد بالعمق لان هذه الحقوق هي عابرة للانتماءات الأولية transcommunautaire.

4. **ثقافة الحذر في العلاقات الخارجية وكل العلاقات الخارجية:** لبنان كبير في دوره ورسالته ولكنه صغير في لعبة الامم. الحاجة الى العدول عن الاستقواء الداخلي والتحول من الساحة الى الوطن.

***

تساهم البرامج التربوية والثقافية والحوارية في ترسيخ السلم الأهلي وثباته اذا كانت تنطلق وتصب في هذه العناصر الاربعة.

2

اشكالية التاريخ وبناء الذاكرة في المجتمعات المتعددة: الخبرة اللبنانية

انطوان نصري مسرّه

جوهر الموضوع تجنب تكرار الماضي. يقول مثل عربي ان التاريخ يعيد نفسه. لكن التاريخ لا يعيد نفسه سوى لدى الشعوب المتخلفة التي لا تتعلّم **من** التاريخ بل دائمًا **في** التاريخ، وفي هذا لجانب نحن متخلّفون في تكرار الماضي.

هذا الموضوع هو الاهم لمستقبل لبنان وبخاصة لجيل الشباب الذي لم يعش فترات الحروب كما لمستقبل الاجيال القادمة.

1
ثلاثة اسئلة منهجية

هناك ثلاثة أسئلة منهجية كنت اطرحها حين كنت في اللجنة التي تشكلت بين 1997-2001 في وزارة التربية الوطنية عبر المركز التربوي للبحوث والانماء بإدارة البروفسور منير ابو عسلي لوضع برامج التاريخ:

1. هل التاريخ هو من العلوم الانسانية؟ طبعًا هو منها كتصنيف جامعي، ولكن عمليًا حصل تطور كبير في الغرب، في حين ان التاريخ في الدول العربية ليس من العلوم... الانسانية فعلاً، انه يتعاطى أكثر بالحكام وبالاسباب الدبلوماسية وبالذوات، ولا يسرد تاريخ الناس. اليوم وبعد تغيّر انماط الحروب بات جميع المؤرخين مُلزمين بتحويل التاريخ الى علم... انساني بشكل جوهري.

في الحرب العالمية الاولى كانت نسبة الضحايا من المدنيين 10% الى 20%. في الحرب العالمية الثانية كان هناك حوالي 50% من الضحايا من المدنيين. في حرب

فيتنام كان هناك حوالي 80% من الضحايا من المدنيين، فيما بلغت نسبة الضحايا المدنيين في حروب لبنان حوالي 90%. هل نعتبر هؤلاء المدنيين اليوم، ضمن أنماط الحروب المتجدّدة، من التاريخ وفي التاريخ فنكتب تواريخهم؟ يقال ان الرئيس تقي الدين صلح خلال اجتماع "حوار وطني" حضر للمشاركة وطُرح عليه السؤال: انت من تُمثل؟ أجاب: "انا امثل المقتولين"! الباقون يمثل بعضهم القتلة. ان كان التاريخ من العلوم الانسانية فهو يهتم بالضحايا كجزء **من** التاريخ **وفي** التاريخ.

2. يسعى مؤرخون لان يكونوا قضاة. لكن المؤرخ ليس قاضيًا. القاضي يُحدد مسؤوليات ويصدر احكامًا. خلال مناقشة اطروحة دكتوراه في التاريخ لاحد المؤرخين، ورد في الاطروحة عدة مرات عبارة: "مما لا شك فيه"! قلت له ان المؤرخ لا يستعمل هذه العبارة مطلقًا. قد تظهر بعد عشرين سنة مثلاً وثائق أخرى تدحض "مما لا شك فيه". يستجمع المؤرخون أحداث الماضي من خلال شواهد وشهود.

3. يسعى البعض الى توجيه التاريخ وتوجيه تعليم التاريخ لتحقيق "الانصهار" الوطني او الاندماج الوطني. التاريخ علم قائم بذاته وله منهجياته. كل مسعى لتوجيه تعليم التاريخ يتنافى مع المنهجية العلمية. ليس المطلوب توجيه التاريخ، بل التقيد بكل جوانبه العلمية، و**التوسع في مفهوم التاريخ**.

2
ماذا فعلنا لغاية اليوم؟

لا ننطلق من الصفر. نسي الناس ما حصل بين 1997 و2001 من عمل ريادي لا مثيل له في القطاع التربوي في لبنان، من خلال خطة النهوض التربوي التي شملت كل المواد، ومن ضمنها مادتي "التربية المدنية" و"التاريخ". كانت خطة النهوض التربوي بقيادة البروفسور منير ابو عسلي. ذُكرت ضمن إتفاقية الطائف، وهي من أهم انجازات الرئيس الياس الهراوي. صدرت برامج التربية المدنية مع ثلاثين دليل وأجريت دورات تدريبية. ثم اجهضت جزئيًا بعزل البروفسور منير ابو عسلي وعدم إستشارة الاعضاء بعد ذلك، كما لو ان التربية المدنية هي عملية إدارية بيروقراطية روتينية لا تتطلب متابعة من نفس الاشخاص الذين وضعوها.

اما برامج التاريخ فصدرت سنة 2000 في **الجريدة الرسمية** في حزيران وفي تسعين صفحة[1]. انها ثمرة جهود ثلاث سنوات مع موافقة بالاجماع من الهيئة الاستشارية في المركز التربوي للبحوث والانماء ومرسوم صادر بالاجماع عن مجلس الوزراء، وتأييد وحماس من كافة الهيئات التربوية. هذا العمل لم يتم بالفرض او من خلال لجنة فقط، بل تم بالمشورة. كانت الثقة كاملة باعضاء اللجنة التي وضعت البرامج وبالاسس التي اعتمدتها، وعددها حوالي خمسة اسس جديدة لا تتنافى مع المنهجية التاريخية، بل تُوسعها وتُعطيها أبعادها الانسانية، بخاصة في المجتمعات المتعددة البنية، وهي التالية:

1. **تعليم تاريخ كل لبنان:** كُتب على كافة كتب التاريخ المدرسية او الكتب المُتخصصة في التاريخ: "تاريخ لبنان"، في حين انه لا يروي تاريخ لبنان بل تاريخ جزء من جبل لبنان. كان جبل لبنان المحور، ولكن دول العالم اليوم تتناول الجغرافية الراهنة وتُعلم تاريخها. في ما عدا ذلك لكانت اميركا علّمت تاريخ ثلاثة عشر مقاطعة! وسويسرا علمت تاريخ ثلاثة كانتونات! وفرنسا تاريخ بعض المقاطعات...!

صدر كم كبير من المؤلفات تتناول التواريخ المحلية خلال العشرين سنة الاخيرة. صدرت دراسات رائدة وغنية في التواريخ المحلية اللبنانية ولكنها لم تترجم في الكتب المدرسية. وعندما يقرأ تلميذ في الهرمل او البقاع او بيروت... تاريخ لبنان لا يجد نفسه معنيًا به. ويُطلب منه بالمقابل ان يكون ولاؤه للوطن!

يفتقر اللبناني للادراك الشامل لكل مساحة لبنان. عندما كنت تسأل ابن الاشرفية عن الحالة الامنية يقول انها جيدة، لأنها كذلك في الاشرفية، فيما تحصل اشتباكات في الحمراء مثلاً او في الجنوب او في طرابلس... سعينا في البرامج الجديدة لخلق إدراك شامل لكل تاريخ جغرافية لبنان. مما ورد في البرنامج: تعليم الاحداث المهمة في تفاعلاتها على كافة المناطق! في القراءة عن أحداث 1860 يبدو وكأنها حصلت فقط في دير القمر، علمًا انه كان لها تأثيرات عديدة على بقية المناطق (تهجير، غلاء اسعار...). في كتب تاريخ سويسرا توصف الاحداث وتفاعلاتها على كافة المناطق: التأخر الكبير في وصول البريد، ارتفاع سعر المواد الغذائية....

---

[1]. المرسوم رقم 3175 تاريخ 2000/6/8: "تحديد أهداف ومناهج مادة التاريخ في مراحل التعليم العام ما قبل الجامعي"، **الجريدة الرسمية**، عدد 27، تاريخ 2000/6/22، ص 2114-2195.

2. **كتابة تاريخ اللبنانيين:** الناس في كتب التاريخ غير موجودين! تطور تعليم التاريخ الثقافي والتربوي والاقتصادي والاجتماعي والفني والادبي في لبنان ولم يأت كتاب التاريخ على ذكر ذلك، بل إقتصر الكلام على الزعماء والقتلة والذوات. هذا الموضوع مهم في مجتمع متعدد كلبنان. لبنان وحدة اقتصادية تجارية متينة الى اقصى الحدود، والمتاريس لم تتمكن من تجزئة هذه الوحدة. يجب ان تنتقل هذه الوحدة لتشمل البعد السياسي. اكثر ما كانت تتجلى هذه الوحدة عند المعابر كمعبر المتحف البربير. عندما كان القناص يتوقف عن القنص يتحول هذا المعبر الى وسط تجاري جديد، حيث يأخذ اللبنانيون في مختلف الطوائف بالانتقال لتأمين مصالحهم او زيارة اقاربهم... هذا يؤكد على ان التاريخ الاجتماعي – الاقتصادي – الثقافي يُشكل عنصر توحيد بعيدًا عن الايديولوجيا.

3. **تاريخ الحريات في لبنان:** لبنان غني في تاريخ الحريات. اللبناني مُتعلق بالحريات وهو أمر ايجابي. واللبناني الاكثر تطرفًا يشعر عندما يسافر الى بلد عربي اخر انه ينقصه شيء ما، الا وهو جو الحرية. ليس في ذلك توجيه للتاريخ، بل الدخول في جدلية التاريخ. التاريخ جدلية علاقة ما بين المجتمع والسلطة. قد تكون السلطة متسلطة وقد يكون المجتمع صامتًا، ثم يتطور ذلك بأشكال متنوعة. تعلمت في كتب تاريخ فرنسا واوروبا: مونتسكيو، فولتير، روسو... بينما في كتب تاريخ لبنان وتاريخ العرب بشكل عام يبدو الكل مُطيعًا وما من ذكر للكتاب المعارضين. وفي كل مرة تحصل انتفاضة او ثورة يقول المؤرخ: "طمع في السلطة"! كما لو ان للسلطة اخصائييها ولا يحق للغير التفكير بها او الاعتراض. او القول عن الحاكم: "قمع الثورة او الانتفاضة"، أي ان القمع يدخل ضمن انجازات الحكم، ولا يذكر المؤرخ ان كان الحاكم قد إستمع للناس او غيّر في النظام بما يتلاءم مع حاجات الناس. خلال فترة تم إلغاء عيد الشهداء يوم 6 ايار، مع انهم يُشكلون أهم رمز في الدفاع عن الحريات والتضامن الوطني، والتضامن بين المسلمين والمسيحيين. كتب يوسف ابراهيم يزبك نقلاً عن وثائق نصًا مؤثرًا في مجلة **اوراق لبنانية**. صدر بعد ذلك في كتاب دار النهار حول **ساحة البرج**. نفتقر للشعور باحترام شهدائنا.

4. **مؤرخون محاسبون:** في كتب تاريخ سويسرا تُروى النزاعات بشكل واقعي مع التركيز على الكلفة والمنافع. لا نحتاج الى مؤرخين قضاة، بل الى مؤرخين محاسبين historiens comptables لكي يدرسوا كلفة كل نزاع ومنافعه. كانت كلفة النزاعات في لبنان باهظة ونتائجها غير مضمونة، او ان منافعها زهيدة. عرض فيلم معبّر سنة 2004

لمخرج سويسري وعنوانه الدهاليز Labyrinthe وهو يتناول مراحل من الحروب في لبنان ويعرض من خلالها كيف ان جميع المشاركين في هذه الحروب، من الداخل او الخارج، سقطوا ضحية هذه الحروب وتحولوا الى أدوات في هذه الحروب فاغتيلوا او تم نفيهم... وفي المضمون ان استاذًا جامعيًا أراد دراسة الواقع اللبناني خلال الحرب ميدانيًا، وحين كان يحاضر في الموضوع تناول منفضة عن طاولته وقال: "البعض يقول ان هذه المنفضة مؤامرة صهيونية، والبعض يقول انها مؤامرة اميركية..." وصمت! سأله احد الحاضرين: "وانت ماذا تقول؟" اجاب: "اقول انها منفضة"! وحررها من يده فارتطمت بالأرض وتحطمت. اراد من خلال ذلك القول ان الجميع في خطر ولا جدوى من السجالات. اثر حوادث 1860 حضرت لجنة رسمية الى لبنان لدراسة كلفة الحرب. وعقب حروب 1975–1990 صدرت مؤلفات تضم ارقامًا واحصاءات. نحتاج الى مؤرخين محاسبين.

5. **المواثيق في تاريخ لبنان:** واجهت صعوبة كبرى في اقناع زملائي المؤرخين بإدخال **المواثيق** كنمط في البناء القومي في التاريخ. درست علم الاجتماع والقانون وعلمت التاريخ في مدرسة سيدة الجمهور على مدى ثماني سنوات. ميثاق 1943، الوثيقة الدستورية، ميثاق الطائف، العاميات، تنظيمات شكيب افندي... هي نمط في بناء الامم. اكتسبنا ثقافة Nation building تقليدية. تنشأ الامم انطلاقًا من مركز يمتد بالقوة الى الاطراف كافة او من خلال سياسة تسوية او مواثيق.

عقد سنة 1971 مؤتمر في الاونسكو تناول "انماط البناء القومي"، أي كيف تنشأ الامم. تضمن مداخلة فيها ان هناك امم تنشأ بالقوة انطلاقًا من مركز يمتد الى الاطراف، وأمم أخرى تنشأ بفضل سياسات تسوية مثل بلجيكا، النمسا، البلاد المنخفضة، لبنان...[2] لكن كتب التاريخ المدرسية في لبنان تتناول ميثاق 1943 في سطرين! اية ثقافة نبني؟ حتى انه

---

[2]. Hans Daalder, "On building Consociational Nations: The Cas of the Netherlands and Switzerland", *International Social Science Journal*, vol. 23, no 3, 1971, pp. 355-370

- "La formation des nations par consociation: Le cas des Pays-Bas et de la Suisse », in *L'édification nationale dans diverses régions*, no spécial de la *Revue internationale des sciences sociales*, Unesco, XXIII (3), 1971.

وتعريب افلين أبو متري مسرّه في كتاب: **البناء القومي بالمواثيق والأنظمة البرلمانية التعددية**، بيروت، المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، سلسلة "وثائق" رقم 62، بيروت، المكتبة الشرقية، 2016.

يقال في بعض الكتب: "انتصر انتصارًا ساحقًا" او "كسر شوكة اعدائه"... صدرت البرامج الجديدة في تسعين صفحة ونشرت في **الجريدة الرسمية** وما زالت نافذة. لكن عندما بدأ السعي لتطبيقها اوقفها وزير تربية سابق نظرًا لدور هذه البرامج في تنشئة جيل جديد من اللبنانيين خلال خمس سنوات، جيل يُدرك معنى الاستقلال والتضامن بين اللبنانيين وبخاصة الجيل الشاب.

3
ما العمل؟

لا بد من احياء برامج التاريخ الجديدة بشكل سريع وعلى يد الفريق الذي أعد هذه المنهجية في كتابة التاريخ بالتعاون مع عشرين او ثلاثين مؤرخًا. اختبرنا روحية وتجربة مشتركة في وضع هذه البرامج. كما اختبرنا ذلك في مرصد السلم الاهلي والذاكرة في "المؤسسة اللبنانية للسلم الاهلي الدائم"، وهي تصدر تقريرًا سنويًا يعرض لحالة السلم الاهلي والذاكرة، ووضعت حوالي مائة مؤشر لدراسة تطور او تراجع او استقرار بناء الذاكرة[3].

يحتاج لبنان لبناء الذاكرة، ليس فقط الى كتاب تاريخ، بل ايضًا الى افلام وثائقية وطقوس ذاكرة ومتاحف بلدية. نعمل على تشجيع انشاء متاحف بلدية. لكل بلدية ذاكرة ولا يجدر الانطلاق من فكرة ان الناس لا تريد الاستماع الى تاريخ الحرب. ما يزيد على 80% من تاريخ الحروب في لبنان يقوم على تضامن الناس ومقاومتهم للحرب ودفاعهم عن الحريات. هذه ظاهرة عمومية. كتب روبير يونغ Robert Yung في الستينيات كتابًا عن هيروشيما بعد تفجير القنبلة النووية فيها *Vivre à Hiroshima*، حيث يروي كيف ظهر عقب المأساة اشخاص عاديون، معلمات مدارس، بائع، ممرضة كان همهم مساعدة زملائهم وتحولوا الى أبطال. انها ظاهرة انسانية عامة بعد كل كارثة من منطلق دفاعي وتضامني. شاهدنا ذلك ايضًا سنة 2005 في النورماندي، كما في لبنان مرارًا. تسهم هذه الظاهرة في رفع المعنويات، ولكن عامة ما يُركز الاعلام على العنف وعلى ما هو نزاعي فيما للكوارث

---

[3]. أنطوان مسرّه، "مؤشرات ميثاق العيش المشترك"، في كتاب: **مرصد السلم الأهلي والذاكرة في لبنان، 1999-2003**، المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، جزء 20، بيروت، المكتبة الشرقية، 2004، ص 21-31.

والحروب عبر التاريخ جانب آخر هو جانب انساني يحث الناس العاديين على المبادرة فيتحولون الى أبطال يجاهدون في سبيل تقديم المساعدة والعون والدفاع عن الحريات ودعم الصمود.

3

اشكالية ومكونات الثقافة الدينية تربويًا

شرح التنوع الديني... في ابعد من التنوع*

أنطوان نصري مسرّه

هل يُمكن مقاربة التربية على التنوع الديني دون التوضيح المسبق لمفهومين: مفهوم **الشأن الديني** ومفهوم **التنوع؟**

1

مفهومان للتوضيح: الشأن الديني والتنوع

المفهوم الاول هو الشأن الديني: حرصًا على الخلقية الفكرية ولتجنب التباس ومُنزلقات في التطبيق، يوجد احتمالان في تاريخ الفكر:

الاحتمال الاول مناقض للدين او لاديني ويعتبر ان الشأن الديني هو ظاهرة مُصطنعة épiphénomène، وتوجّه يرتبط بعلم النفس التحليلي، او هو مُخدر لتخفيف الآم البشر.

الاحتمال الثاني يرى في الشأن الديني موقفًا تجاه الماورائي transcendance، وتاليًا شأنًا فعليًا، مع تنوعات في المقاربة تحتاج الى منهجيات تختلف عن علوم الطبيعة والعلوم الطبيّة–النفسية.

يؤدي كل من هذين الاحتمالين الى نتائج مُتباينة في المضمون والاستنتاجية في التربية على التنوع الديني.

* مداخلة خلال مؤتمر:
Adyan Foundation, Cross-Culural Studies Department and Notre Dame University, Faculty of Humanities, International Conference on Cross Cultural Education, Anna Lindh Foundation/United Nations, Alliance of Civilization/Konrad Adenauer Stiftung.

بعض المؤلفين الذي يصدرون موادًا ووسائل تربوية حول التنوع الديني هم متأرجحون بين الاحتمالية الاولى والاحتمالية الثانية. يؤدي التأرجح الى نتائج مجرد معرفية cognitives. يقتضي بالنسبة اليهم شرح تنوع الاديان بصدقية في سبيل تصحيح صوّر ذهنية مُنمطة او ملوثة.

يفترض الشأن الديني علاقة بالماورائي transcendence، وتاليًا البحث عن **معنى**. قد يؤمن او لا يؤمن الانسان بالماورائي. هذا الموقف هو بذاته موقف نحو الماورائي! لا يمكن إهمال هذا الجانب في شرح الدين وفي عرض الاديان ودين الآخر.

يدرس علم اجتماع الاديان الظواهر الدينية، ولكنه لا يدرس الايمان. لا يعني الاقرار بخصوصية الايمان إيمان الباحث، ولكنه يتطلب منه درجة عالية من الاستقامة الفكرية. وعندما يقرّ أي انسان بخصوصية ايمانية، او يباشر بالاعتراف بها، فهو في مسار آخر...! واتساءل اذا كان بإمكان علماء اجتماع الاديان ان يحققوا علم اجتماع ديني بمستوى عال دون الادراك المسبق **لحدود** علم الاجتماع الديني في مقاربة اشكالية ماورائية الدين.

المفهوم الثاني هو التنوع: اصل الى المفهوم الثاني وهو التنوع. ما هو متنوع، مختلف *diversus*، له ظواهر عديدة مختلطة، مبعثرة، وحتى غير متناسقة ومتعارضة...

متى يصبح التنوع غنى وانسجامًا **وتناغمًا**؟ عندما نكتشف من خلال التنوع التناغم والتكامل والتلاؤم ووحدة ارقى واعمق من الظواهر، مثل الاوركسترا المتنوعة الآلات والانغام واللاعبين.

اذا تمت مقاربة الاختلاف او التنوع الديني فقط في سبيل التعريف بالاختلاف، بدون لحظ ما يجمع ويوّحد من خلال الاختلاف، فإننا قد نفهم طبعًا ظواهر دينية، ولكننا لا نقرّب بين البشر! في البحث عن التنوع وتبيان أي تنوع واي وحدة، يجب ان نستلهم قول الكاتب تيرانس Terence (قرطاجة، 190-159 قبل المسيح):

"انا انسان ولست غريبًا عن كل ما هو انساني".

« *Homo sum : humani nil a me alienum puto*. »

« Je suis homme, et rien d'humain ne m'est étranger. »

المستشرق روجيه ارنالديز Roger Arnaldez في كتابه في الستينات: **ثلاثة رسل لاله واحد** يبّين في الباب الاول من كتابه التباين **العقائدي** بين الاديان الثلاثة، اليهودية

والمسيحية والاسلام. اما في الباب الثاني، المخصص **للمتصوفين** في الاديان الثلاثة، فنكتشف وحدة المؤمنين حيث عبارات تبدو لدى متصوفين يهود ومسيحيين ومسلمين وكأنها منقولة عن بعضهم البعض، مخترقين المسافات والازمنة.

2

لماذا يتطلب التنوع الديني اليوم ادارة ثقافية وتربوية؟

ثلاثة أسباب تبرر تنمية ثقافة دينية تربويًا، مُرتكزة على الاحترام والقبول المشترك وتقبّل التنوع الديني:

أ. تراجع **الايديولوجيات**، مع بروز الاديان او عودتها كبدائل، في حملات التعبئة السياسية، عن ايديولوجيات كلية ماضوية.

ب. تعدد **الجماعات** التي، بفضل انتشار الدمقرطة، تتكلم باسم الدين. بين هذه الجماعات تنظيمات مُتعصبة وارهابية باحثة عن شرعية ذات مصدر مُقدس غير قابلة للنقاش والمحاسبة.

ج. **تسييس** الاديان politification، أي استغلال الدين في التنافس السياسي، حيث ان الاديان تحمل كثقافة قيمية، وقدرة على التعبئة، مع طرح اشكالات غير قابلة للتفاوض كالشؤون البشرية الاخرى.

3

ما يقتضي تجنبه في تربية تعددية على التنوع الديني

أ. ما يقتضي تجنبه اختزال التربية على التنوع الديني في اطار مجرد **معرفي** cognitif، حيث ان المعرفة لا تؤدي بالضرورة الى سلوك مُنسجم. الثقافة هي اساسًا معرفة ممتزجة بخبرة وسلوك.

ب. تضخيم الجانب الديني في مجال معالجة النزاعات، بدون التركيز على **ثقافة القاعدة الحقوقية** Culture of legality / culture de légalité التي تضمن المعالجة السلمية للنزاعات.

ج. تضخيم الجانب **العقائدي** والطقوسي، على حساب الروحانية التي تعلو وتجمع في اخوة أوسع وعالمية.

هـ. **تبرئة** المؤمنين والمنتسبين الى الديانات حول الصّور المشوهة والملوثة، مع الاعتبار ان هذه الصور تعود بمجملها الى سوء معرفة او الى ادراك سلبي. كل انسان هو ايضًا مسؤول عن صورته. يوجد ممارسات لدى المنتسبين الى الاديان تُفسّر منابع العديد من الصور الذهنية التي ليست – كلها – مُشوهة، بل نابعة من واقع سلبي! ليس الموضوع، حصرًا، صورًا نمطية وجهلاً... يقول نيتشه Nietzsche بشأن المسيحيين: "لكي اؤمن بمخلصهم يجب ان يبدو عليهم الخلاص".

4

مكونات ثقافة وتربية متعددة الثقافات interculturelle حول التنوع الديني

يتوجب التمييز بين:

أ. **التربية الدينية**، مع عقائد، ولكن بدون عقائدية dogmatisme... الحاجة الى استعادة دائمة للاديان الى روحانيتها التأسيسية.

ب. **الثقافة الدينية:** هي ضرورة لفهم أحداث تاريخية ومعمارية وفنية وادبية وموسيقية... مع التركيز على السلوكيات، وشهادات من مختلف الازمنة، وصلاة من مختلف الازمنة والاديان.

ج. إعادة الاعتبار الى الانسانيات في التعليم Humanités: ما يعلو على التباينات ويجمع هو ايضًا الادب والفنون والموسيقى...

***

ان عمل مؤسسة انا ليند في مجال التربية على التنوع، بخاصة في شأن الاديان، هو ريادي، مجدد وضروري. يقتضي توسيع **المسار والتطبيق**[1].

---

[1]. حول بعض التطبيقات:

Antoine Nasri Messarra, *La religion dans une pédagogie interculturelle*, Francfort, Deutsches Institut fûr Internationale Padagogische Forschung, Materialien Zu Geselschaft und Bildung in multikulturellen Gesellchaften, Band I, 1988, 136 p.

مؤسسة انا ليند الاورو-متوسطية للحوار بين الثقافات، **كيف تواكب التنوّع داخل المدارس: طرق تدريس وتعلّم التنوّع الديني**، 2008، 330 ص.

مكتب اليونسكو الاقليمي في بيروت، **المظاهر الثقافية في الديانتين المسيحية والاسلامية**، بيروت، 2008، 200 ص.

L'éducation religieuse au Liban et dans les sociétés arabes, documents classés et colligés par A. Messarra, Master en relations islamo-chrétiennes, Université Saint-Joseph, janv. 2010, 268 p.

Agree to Differ, Unesco Publishing, 2015, 174 p.

4

جبل لبنان او المصالحة مع التاريخ والجغرافيا

الذاكرة الجماعية المشتركة للمستقبل: معاناة وانجازات*

تشمل الدراسة التفاعل بين الدين والمشهد الذي هو أكثر من مجرد مناظر. تصف اليونسكو المنظر paysage بأنه اول أرث للبشرية لأنه يبيّن كيف تفاعل الناس مع الموقع. ما نراه هو عمل على المشهد وثمرته الحضارة.

كيف أبحث في الموضوع؟ لبنان غني بالأديان والمذاهب. لكن لا يُحكى ذلك بشكل معاش. نضع قفازات للكلام في الموضوع. لبنان غني. هذا التنوع الحضاري هو مُنطلق لإعادة بناء لبنان.

1
لماذا أخترت الشوف؟

ما أثر الطوائف في الشوف حيث المسيحية والدرزية؟ لماذا أخترت الشوف؟ جاء الناس الى لبنان ليلجؤوا فيه حيث أكثر من 70% من مناطقه جبال. أحبوا العيش في لبنان لأنهم اضطهدوا. لدينا شيء مُشترك، هربنا من مكان ما ووجدنا حرية في هذه الجبال. خلق تفاعلنا مع هذه الجبال هذه المشاهد المعروفة في لبنان. انها مشاهد طبيعية ومُعبّرة في آن عن تدّخل الانسان.

* النص هو موجز باللغة العربية، واعداد كرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار، لأطروحة الدكتوراه:

Salma Samaha, *L'empreinte des communautés religieuses sur le paysage de la Montagne druzo-chrétienne du Chouf au Liban*, thèse, Università Degli Studi Di Roma « Tor Vergata », Departimento di storia Faculta Di lettere e Filosofia, dottorato Di Ricerca in Cultura e Territorio, Dir. Prof. Barbara Fiore, Coord. Prof. Francesco Salvatori, 2009-2010, 182 p.

وألقت الباحثة محاضرة في إطار الماستر في العلاقات الإسلامية المسيحية في جامعة القديس يوسف في 2014/3/17.

في لبنان أديان ومذاهب. لا أحد يمكن ان يكون في لبنان بلا دين رسميًا. يُمكن الانطلاق من ذلك ايجابيًا. هذه كانت فكرتي. اخترت الشوف لأنه قد يكون منطلقًا للبنان الأكبر في التفاعل بين الأديان والحوار. كل الاديان تعيش بحرية ومنهم الدروز والموارنة. أردت ان أرى أثر ذلك.

هل يتوفر للمستقبل مسار ايجابي بالرغم مما حصل من عنف؟ حملتني هذه الأمور على اختيار هذه المنطقة. اختارت السلطة الرسمية في لبنان ان تتناسى ما حصل. في البلدان التي حدث فيها عنف صارت الناس تتكلم مع بعضها كمنطلق لمسار مستقبلي. المعضلة اننا نُعيد التاريخ نفسه. هل نبحث عن وسيلة نلتقي فيها؟ في المنطقة اليوم جمود اقتصادي. حوالي النصف من الناس كانوا مسيحيين في هذه النواة التاريخية. عاشوا من الزراعة. نصف أبناء المنطقة ليسوا فيها.

2
نقرأ أولاً المشهد

كيف كانت منهجية الأطروحة؟ اعتمدت منهجية المهندسين. نكتشف من المشهد امورًا لم نكن نعرفها. يقول أجانب: الشوف أحلى منطقة في لبنان! أصبحت اليوم شبه فارغة ولكنها ظلت خضراء. في بعض المناطق أتى مشهد إضافي وهو غابات باطون! لكن المناظر مُحافظ عليها بموازاة تاريخ خلافي. ربما حقق التاريخ الخلافي بالذات حماية للمشهد الذي هو اول أرث حضاري كالاجلال من الحجارة... المطلوب أن نقرأ المشهد. كل واحد يأخذ مُكوّنات المنظر ويفهمها.

وصلنا الى الشوف. ما هذه المساحات الخضراء، في دير القمر وبيت الدين وارز الشوف ونبع الصفا...! تدل هذه المشاهد على التفاعلات في مجتمعات تُميزها المعتقدات الدينية. هل تكون أمكنة للسياحة ولسياحة الذاكرة انطلاقًا الى شيء إيجابي؟ لم يكن كل شيء سلبيًا في هذه المنطقة. أكثر الأمور إيجابية.

ذهبت ايضًا الى مناطق درزية في سوريا. شاهدت كيف النساء من المسيحيين والدروز تدفن الأموات بذات الطريقة. بدأت الاستقصاء في كتب وخرائط قديمة. ذهبت الى 54 قرية لالتقاط الاحاسيس. لكل دين نظرة. كل دين له نظرة في التعاطي مع الموت.

ما هي معتقدات الدروز بالنسبة الى المسيحيين؟ وجدت ذات الطريقة التي جسدّت الموت في المنظر بالرغم من تباين المتعقدات. الفرق ان المسيحيين يضعون الصليب والدروز يكتبون أو يضعون النجمة الدرزية. لم أكتشف أي كتاب عن هذه الظاهرة. وجدت عبارة: "الله حق"، وبجانبها: الصليب. في ذات القرى مدافن مُشتركة. في بعض البلدات لا يوجد ذلك. في بعاصير الشوف فقط المدخل مختلف. في أحد المدافن قسم فيه مسيحيون وقسم آخر فيه دروز ويلتقون في الموت. الدروز يعتقدون بالتقمص. يضعون الزهور في المدافن. ذهبت الى سوريا الى بعض المناطق الدرزية. فهمت عندما وصلنا الى المدفن. لماذا نتكلم فقط عن الامراء ونحصر كلامنا في ارز الشوف؟ تدرك هناك كم ان الموت مقدّس. المظهر هو درزي او مسيحي من خلال الصليب.

3
تسمية 54 بلدة

الامر اكثر دقة في الشوف. من اتى اولاً الى هذا الجبل؟ يريد كل واحد ان يكون قبل الثاني! انها مسألة خلافية في حين انه من المفترض قراءة التاريخ في الماضي. ما هي الأحداث في هذه المنطقة؟

بحثت في تسيمة 54 بلدة. ما هو أصل التسمية؟ وضعت جدولاً بالاسماء وأصلها. التسمية مهمة. على مرّ العصور عندما يُسيطر أحد على منطقة يغيّر اسمها. يسعى الى ضرب الذاكرة. لكن شيئًا فشيئًا يستقر الاسم الجديد. تكتشف من خلال اللغة جوابًا على سؤال كبير. لاحظت في الهندسة المعمارية امورًا مشتركة. الاثنان هربوا واتوا الى الجبال. من يأتي هاربًا لا يسعى الى التواصل. كل واحد يريد الاختباء.

يهوى المهندس الخرائط والجداول. وضعتها للمقارنة في الشوف الدرزي–المسيحي. هناك تقارب. وضعت رموزًا مُلونة وخريطة للتضاريس. في قرية يبيعون "المتة"... عندما تُفتح طرقات جديدة يترك ذلك أثرًا في المشهد. اشاهد ثم أفسّر. كيف تفاعلوا مع بعضهم؟

4
المشهد: عودة أم لا عودة؟

تسمعون عن العودة. المشهد بالذات يتحدث عن العودة او اللاعودة. المنطقة تُفرغ من الشباب الدروز. ما المعالجة؟ كيف يعودون؟ أحد السبل هو سياحة الذاكرة انطلاقًا من سلبية في سبيل انعاش المنطقة. يترك المنتصر في الحروب اثرًا يرمز الى الانتصار. حين تحصل مصالحة يُترك رمز جغرافي للمصالحة. على الطرقات الواسعة في الشوف كثير من النصب. انها عناصر تقرأها في المشهد. أكتشفت وجودها.

وُضعت هذه الرموز بعد السلم والعودة. انها موجودة على الطرقات والتقاطعات في أماكن حدثت فيها مشاكل. بعضها رموز تشير: انا المنتصر! لم يوضع في اي بلدة شيء يرمز الى شهداء كل الضيعة! لا واحدة! وُضعت رموز كي يراها الآخر المختلف! لدى المسيحيين مزارات في منطقة فيها سبع قرى مسيحية عادوا اليها. كل بيت تقريبًا له مزار! هذا تضخم! في بيت الدين حائط تمت تغطيته بدعاية وفيه حفرة ضمن الحجر! ما هذه الحفرة؟ قيل لي: هنا مزار لمار الياس. لكن أين رمز مار الياس؟ لا أحد منع من وضعه. في المختارة مزار للعذراء. لم يُظهروا في منطقة غالبيتها من الدروز انتماءهم الديني في المشهد. في قرية مختلطة هذا ايجابي. اخذوا من بعضهم وهذا يتمظهر في المشهد. يشيّد المسيحيون والدروز اكبر شيء لهم حتى في بلدة صغيرة كي يُجسّدوا انتماءهم. نحن نشاهد ثم نفهم. او يغيب شيء عن المشهد فنتساءل: لماذا هنا تخمة وهنا نقص؟

يساعد فهم ما يحدث على تحسين المجتمع. نحن مهندسو مناظر. ليس هذا مجرد شكل، بل هو يحسّن طبيعة حياة الناس ويُحقق، او لا يُحقق، ترابط اجتماعي. حوالي 75% من اللبنانيين لديهم اختبار لما حدث امنيًا وعنفيًا، حسبما يظهر من تحقيق للصليب الاحمر. ويظهر انه في اكثر من 30% سبب عدم عودة المهجرين هو نفسي.

5
ذاكرة نتعلم من خلالها

المعضلة الاساسية في سكوت الضحايا. لماذا ماتت؟ لا أحد يتكلم عنهم وبشكل ايجابي. في افريقيا الجنوبية متحف للعنصرية حيث عمدًا باب للبيض وباب للسود! الهدف ان يستوعب الناس ما حصل ويتعظوا! انت ابيض، اذًا تدخل من هنا! انت اسود تدخل من هناك! يجب ان نرى كي نتعلّم.

حين تصمت الضحايا ينغلق الناس على بعضهم ويظهرون انفتاحًا على بعضهم مجاملة. الحدود غير مُعبّر عنها ولكنها موجودة. نجدها في المشهد وعناصره. الحدود موجودة. انها صامتة، لكنها ستكبر! يمكن الانطلاق من هذا الواقع لتخطيّه من خلال سياحة الذاكرة. غير صحيح ان المعطيات كلها عنف وسلبية. التعاطي احيانًا ايجابي. في ايطاليا درست بعض المناطق وادركت التفاعل من خلال المشهد. العالم يُركز غالبًا على العنف بدون التركيز على ما هو ايجابي. السلبيات هي التي اوصلت الى العنف.

لنبني ذاكرة نتعلم من خلالها ونُنعش المنطقة ويعود الجبل الدرزي المسيحي في ذاكرة مشتركة لكل لبنان. ننطلق من شيء ايجابي مستقبلي يكبر ويتعمق. الحدود التي لا نعترف بها نراها نحن في المشهد ويزداد ذلك مع الزمن. كلما تأخرنا في العمل كلما أصبح الموضوع أكثر صعوبة. على كل جمعية ان تُحقق شيئًا ايجابيًا. أعرض المسار لابحاث تطبيقية في سبيل الذاكرة المشتركة وسياحة الذاكرة والسياحة الدينية الثقافية والتفاعل الثقافي.

5

التربية على السلام لبنانيًا

ما العمل؟[*]

التهديدات والعوائق تجاه السلام في لبنان خمسة:

1. **الجيوستراتيجية:** وضع لبنان الاستراتيجي.
2. **الحروب بالوكالة:** الاتنوستراتيجيا اليوم بعد تراجع الحروب بين الدول

وامتداد حروب بالوكالة ومن خلال تنظيمات عابرة للدول تستغل دول صغيرة ضعيفة أو مستضعفة.

توصيف ما جرى في لبنان في 1975–1990 وقبله في التاريخ هو الذي يُحدّد القواعد الثقافية والتربوية ومنهجية العمل. كيف تنشأ الحروب الأهلية أو الداخلية؟

"قلت لأصدقائي في مجلس الحكم، وللعراقيين الذين التقيتهم، انني منهمك قليلاً في لبنان واذا كان في هذا الجزء من العالم بلد لا يتخيّل أحد أن يكون مسرحًا لحرب أهلية، فهو لبنان."

الأخضر الابراهيمي، خلال زيارته العراق أول مرة وكرئيس بعثة الأمم المتحدة الى هناك، نقلاً عن **النهار**، وكالة رويترز

---

[*] موجز محاضرة في:
Rotary Club of Beirut Cadmos, Université Saint-Joseph, Faculté des sciences humaines, Campus des sciences humaines, Salle polyvalente, 19/2/2015.
– بحضور عميدة كلية العلوم الإنسانية كريستين بابكيان ورئيس نادي روتاري كلوب – قدموس فادي خوري وماري تريز أشقر.

ووكالة الصحافة الفرنسية، 14 شباط 2004

3. **الأديان الايديولوجيات:** تحول الأديان الى ايديولوجيات في التعبئة السياسية:

“Les mythes, les religions seront désormais maniées scientifiquement par des élites cyniques » (Raymond Aron, *L'homme contre les tyrans*, Paris, éd., de la Maison française, 1944, 402 p., p. 21).

4. **البنيات الذهنية وضرورة التوبة القومية والذاكرة الجماعية المشتركة:**

الخطر بالنسبة الى الجيل الثالث وما بعده...، انتقامًا للأجداد! وسياسيون يستغلون البنيات الذهنية في التعبئة النزاعية.

عقدة الباب العالي

ادراك الدولة كمؤسسة... خارجية!

الاستقواء والذهنية الانتصارية

علم النفس التاريخي لدى مختلف الطوائف... ونموذج الذاكرة الأرمنية

مدى جدّية ادراك لبنان الكبير

تراجع الفكر اللبناني اليوم. ما يقوله شارل مالك:

« L'important est que le Liban tienne du dedans. Nous faisons tous, ici, le travail que nous avons à faire (...) Que ceux qui tiennent la maison s'occupent donc de la bien tenir. Ce n'est pas tant le désordre administratif qui m'inquiète, ni la faiblesse de l'État, que l'affaiblissement, chez beaucoup, de l'esprit libanais, le recul moral d'une certaine élite, la perte de confiance dans notre vocation et notre destinée. »

Charles Malek, cité par Georges Naccache, *L'Orient,* 17/10/1948, reproduit dans *L'Orient-Le Jour*, 17/10/2014.

5. **تغليب ادراك الصراع العربي الاسرائيلي في جانبه العسكري:** الجانب الثقافي هو أكثر أهمية بالنسبة الى اللبنانيين وبخاصة اليوم:

"سلام لبنان هو أفضل وجوه الحرب مع اسرائيل (...) حيث ان تعثر السلام في لبنان انتصار مستمر لاسرائيل..."

الامام موسى الصدر
مسيرة الامام موسى الصدر، دار بلال، 2000، 12 جزء، جزء 7، ص 98.

لبنان أكثر من دولة، إنه بلد أعظم تنوع ثقافي، وكان يُمكن أن يكون أكثر غنى، وبما لا يقاس، لو أنه عرف نفسه. كان بوسعه حقًّا أن يعطي العالم أمثولة، وأن يكون وطن التوفيق بين الثقافات، ورمزًا ضروريًا أكثر من مفيد، لأنه إنساني حقًّا، ولكنّا أعطينا معنى جديدًا للمساكنة الإنسانية، وقدمنا للمجتمع الحديث مثلاً عن جماعة مختلفة، ليست مجرد حشد من الأفراد على الطريقة الغربية، بل تجمعًا من الثقافات، أو قل "عصبة أمم" صغيرة.

كمال جنبلاط

من أجل لبنان، الدار التقدمية، الطبعة الثانية، 2008، ص 130.

ويقول غسان تويني:

« Le Liban perdra sa raison d'être s'il ne devenait l'apôtre de son propre message »

Ghassan Tuéni, « Anatomie d'une politique étrangère otage », Revue ENA, juin 2001, tiré à part, éd. Dar an-Nahar, 16 p., p. 16

ثانيًا: ما العمل؟ أربعة توجهات

1. التعلم من التاريخ وليس دائمًا في التاريخ:هل نتعلم **من** التاريخ أم دائمًا **في** التاريخ ونستمر في آلية التكرار؟ التاريخ يعيد نفسه لدى الشعوب المتخلفة التي لا تتعلم **من** التاريخ بل دائمًا **في** التاريخ.

“Par votre science et votre regard, vous pouvez être des acteurs qui pensent notre monde, notre temps, leurs problèmes. En lui apportant des valeurs humanistes et citoyennes, vous pouvez orienter le cours de l’histoire et non pas le subir avec des larmes et ses destructions ! »

Salim Daccache, s.j.,
Recteur de l’Université Saint-Joseph
aux 429 nouveaux diplômés des Sciences humaines
L’Orient-le Jour, 5/8/2014

2. خطة النهوض التربوي: برامج التربية المدنية والتاريخ. ثقافة الشأن العام والشؤون العابرة للطوائف.

3. أماكن الذاكرة ومتاحف بلدية حول تاريخ... اللبنانيين.

4. أربعة عناصر للسلم الأهلي الثابت في لبنان:

5

نقل ذاكرة حروب 1975–1990 الى الجيل الجديد:
خبرة تربوية

لميا حتي*

كيف تولّدت لدي فكرة إعداد وثائق تربوية لنقلها الى تلامذتي في الصف الأول ثانوي في مدرسة راهبات الناصرة في بيروت ودمج ذلك في سياق رسالة الماستر التي كنت اعدها والتي نوقشت في جامعة القديس يوسف؟ تولدت لدي الفكرة سنة 2007 من خلال حادثتين.

الحادثة الأولى عندما شاهدت على التلفزيون طلابًا في جامعة في بيروت يلجئون الى العنف وبقوة السلاح. تساءلت: ماذا فعلنا تربويًا لتحصين الجيل الجديد؟ درست التاريخ وعلّمته ولكن ماذا فعلت؟ ماذا فعلنا؟

الحادثة الثانية عندما سألتني ابنة اخي، وكان عمرها 12 سنة، حين سمعت اناسًا يتكلمون عن حرب أهلية: ما معنى حرب أهلية؟

---

* النص هو موجز محاضرة شفوية ونقلاً عن آلة تسجيل في اطار "المحاضرات المهنية" في برنامج "الماستر في العلاقات الإسلامية المسيحية في جامعة القديس يوسف، 2016/2/29.

لميا حتي، اخصائية في التاريخ، أستاذة التاريخ في مدرسة راهبات الناصرة ثم في ليسه عبد القادر. ناقشت رسالة ماستر في التربية:

Lamia Hitti, *Enseigner l'histoire de la guerre du Liban 1975-1990* (Enjeux mémoriels, enjeux pédagogiques), mémoire de Master en sciences de l'éducation, dir. Carla Eddé, USJ, 2015, 196.

وتعليق حول الرسالة:

A. Messarra, "Comment immuniser les jeunes libanais ou la pédagogie de la mémoire », *L'Orient-Le Jour*, 17 et 18/9/2015.

وصدرت الرسالة في كتاب:

Lamia Maurice Hitti, *La pédagogie de la mémoire au Liban* (Guerres des années 1975-1990, problématiques mémorielle et expérience éducative), Préface par A. Messarra, Fondation libanaise pour la paix civile permanente, vol. 41, Beyrouth, Librairie Orientale, 2017, 226 p.

تنبع البحوث الريادية والمجدّدة والاصيلة من التساؤل الداخلي والا تكون البحوث بلا طعم. ادركت أهمية الموضوع. لكني بداية انشغلت بأمور أخرى، منها مرض والدتي وكثافة عملي المهني. إستشرت الأساتذة كارلا اده وندى مغيزل نصر وانطوان مسرّه حول اشكال نقل خبرة حروب 1975-1990 الى جيل الشباب. يقول البعض انه من الصعوبة تعلم التاريخ الحديث. لم يقنعني ذلك.

يرتبط الموضوع بالذاكرة ما التمييز بين التاريخ والذاكرة؟ التاريخ معطيات وضعية ووقائع. اما الذاكرة فهي الادراك النفسي والعاطفي لهذه المعطيات وكيفية التفاعل معها وتأثيرها على السلوك.

في ذاكرتي Hحداث راسخة عن بداية الحروب سنة 1975. كنت طفلة في طرابلس. قالت لنا والدتي: **ضبوا الشنط!** مجتمعات أخرى عرفت خبرات تاريخية اليمة وسعت الى بناء السلام.

مشواري في الغوص في الذاكرة دام سنوات. انكبيت على الاطلاع على مراجع عديدة حول الحروب في لبنان في السنوات 1975-1990. صرت اقرأ كثيرًا. كان لبعض الكتّاب تأثير على مجرى تفكيري، منهم Paul Ricoeur. اذا عشنا حدثًا مزعجًا ندرك الحاجة الى تخطي الحدث نحو الغفران والمصالحة. صرت اقرأ بعض الأحيان بطريقة عشوائية. عندما أرى كتابًا عن الحرب اطلّع عليه. اطلعت على كتاب Denis Langlois بعنوان: Le déplacé. انها قصة شخص من معاصر الشوف وانتقل الى كسروان ويعود من فترة الى أخرى الى معاصر الشوف. تعرف في نهاية القصة ان بطل القصة يعيش عقدة ذنب لانه حين ترك المنزل هجم مُسلحون على والديه وقتلوهما. وقرأت ايضًا لـ Marc Ferreau حول مفعول الاحتقان ressentiment في اللاوعي. من الضروري تاليًا ان نتصالح مع ذاكرتنا. وتأثرت بكتابات انطوان مسرّه حيث يذكر ان التاريخ لا يقتصر على الدبلوماسية والحكام، بل يشمل الناس في حياتهم اليومية وعيشهم.

تم تنظيم مؤتمر بإدارة أمل مكارم حول ذاكرة الحرب. اليوم بالذات في المكتبة حصلت على كتاب حول كيفية تعليم التلامذة الالمان مرحلة النازية وهتلر!

وقف الحرب لا يبني بالضرورة السلام. تنظم ندى صحناوي معرضًا حول ذاكرة الحرب.

***

تلامذتي أعرفهم. اطلعت مديرة المدرسة على فكرتي بإعداد 12 حلقة تربوية واختبارها مع تلامذة الصف الأول ثانوي. حصرت عملي لـ 15 سنة حروب بـ 12 حلقة في اطار الإمكانات المدرسية: يوم 13 نيسان، الجيش السوري، الاجتياح الإسرائيلي، المدرسة في الحرب، الأثر النفسي والاقتصادي... سعيت الى تحقيق اهداف تربوية. هل نسعى الى المحاكمة والمقاضاة؟ هذا معه حق وهذا لا؟ الذين حملوا السلام هل نحاكمهم؟

شاركت في حلقة دراسية حول المنهجية المتعددة الابعاد multiperspectivité، أي مقاربة الحدث في أبعاد متعددة. اخترت خمس نصوص: لميا زياده في كتابها Balylone، وكمال جنبلاط، وانطوان بصبوص وآني لوران، ورينه شاموسي، وجورج قرم...

قرأ الطلاب النصوص كي يكونوا هم مؤرخون ليوم 13 نيسان. قال لي تلميذ من عين الرمانة: "لا هكذا صار!" سألته: من أخبرك؟ أجاب: "اهلي"! شخص غير مؤرخ يمكن تاليًا ان يستنبط تاريخًا من بيئته ومجتمعه ورفاق عمره. قد تكون الذاكرة مجتزأة. تلامذتي كونوا فكرتهم هم عن 13 نيسان.

ثم اطلعت على منهجيات حول تعليم أشياء حية في المجتمع questions socialement vives. انها أشياء تُحرك تساؤلات وبالتالي تفترض اعتماد النقاش وديناميكية لتكوين الفكرة contructivisme.

لا تتوفر لدينا مواد تربوية وسمعية بصرية كافية لنقل الذاكرة. عرضت قناة الجزيرة وثائقيًا عن الحرب. نحتاج الى ورشة في هذا السياق والعمل على المعلمين بالذات.

أتت الحرب حين كنت في المدرسة. كنت تلميذة. أُصبت بغصة، اعود واعيش الحرب. يجب ان ندّرب الأساتذة اولاً وننقي الذاكرة. إذا لم نعمل على ذاكرتنا لا نستطيع تعليم الحرب. عشت ذلك في المرحلة الأخيرة من خبرتي. معلموا مختلف المواد معنيون بالموضوع وليس فقط أساتذة التاريخ.

المشرفون على الرسالة قالوا لي: وماذا بعد؟ بدأت أفكر للوصول الى نتائج والى هدف تربوي لبناء المستقبل. مجتمعنا بحاجة ان يتحضّر لذلك وانشاء وزارة سلام. شعرت بفرح كبير لأني ساهمت بذلك. بدأت أشعر أنى لست وحدي. زميل فرنسي من أصل مغربي يقوم بتجربة مع تلامذة. ونعيش في المدرسة يومًا تذكاريًا لـ 13 نيسان مع ثلاثة محاضرين. عشت خبرة في مدرسة واحدة وتلامذة من ذات المنطقة ومع علاقة ثقة معهم.

***

تركزت المناقشات بعد المحاضرة على القضايا التالية:

1. **توصيف ما جرى في لبنان:** ان توصيف ما جرى في لبنان في السنوات 1975–1990 بالحروب هو المدخل المنهجي والتربوي للعمل على الذاكرة. جزء من هذه الحروب هو اهلي ولبناني وكل الباقي يشمل حوالي 30–35 حربًا بين فرقاء متعددين في لبنان الساحة.

2. **الشهداء:** كل الذين ماتوا في هذه الحروب بسبب القتال او بسبب الاغتيالات والاعمال الإرهابية هم شهداء لبنان، شهداء الساحة، حتى الذين قد يعتبرهم البعض خونة او عملاء او انتهازيين او فاسدين. الساحة تحصد الجميع وكلنا ضحية الساحة.

3. **يقظة وطنية عارمة:** ما حصل في 14 شباط 2005 على إثر العملية الحربية الإرهابية ضد الرئيس رفيق الحريري ورفاقه يُشكل يقظة وطنية عارمة حيث أدرك اللبنانيون، من كل الاعمار والمناطق والمذاهب والانتماءات، واللاانتماءات اننا كلنا في خطر وان لبنان صغير في لعبة الأمم وكبير في دوره ورسالته.

4. **المؤرخون المحاسبون:** تجنبت الباحثة في رسالتها مزالق مقاربة الحروب في لبنان من منحى قانوني ومن منحى المحاسبة: من هو على حق ومن هو على خطأ؟ من المسؤول؟ ولماذا العفو؟ نحتاج في لبنان الى مؤرخين محاسبين historiens comptables يطرحون الوقائع من منطلق الكلفة والمنافع.

5. **الذاكرة والمصالحة مع الذات:** تعاني كل الشعوب العربية من انفصام في الشخصية في ذاكرتها لأنها تنفي مراحل من تاريخها او تختزل مراحل. لكل انسان في حياته الخاصة مراحل مؤلمة. يصبح ناضجًا عندما يتصالح مع كل تاريخه ويقبل به ويتخطاه ولا ينكر اقسامًا منه تطفو على سطح الادراك خلال الازمات وتنفجر في ما يُسمى في علم النفس العيادي psychanalyse: عودة المكبوت retour du refoulé.

6. **ننسى ولكن نتذكر:** النسيان ضرورة ولكن التذكر ضرورة ايضًا لتكون رادعًا تجاه آلية التكرار. من يكرر؟ الجيل الذي عاش الحرب واولاد هذا الجيل لن يكرّرون التجربة. من يكرر التجربة هم الاحفاد للانتقام للأجداد في حال عدم العمل على بناء ذاكرة جماعية مشتركة.

في الذاكرة الجماعية والذاكرات الفئوية في لبنان إشكالات عديدة مُتعلقة بعلم النفس التاريخي psychologie historique وتحتاج الى معالجة. من أبرز الأمور المؤثرة في السلوك ادراك لبنان الكبير واحداث 1840–1860.

انطوان مسرّه

6

تراتبية القيم في الإسلام *

رباب الخطيب

يقول أرسطو: " الحكمة هي التجربة مضافًا إليها التأمل". تمثّل هذه المقولة الشهيرة حالي عندما بدأت أسأل نفسي عن تراتبية القيم في الإسلام. لا أدعي الحكمة التي ما زال عليّ المضي كثيرًا لأصل إليها ولكنني إنطلقت من تجربتي الخاصة كإنسانة، وابنة، وعاملة وزوجة وأم...

نظرت إلى حياتي اليومية، ونظرت بالمقابل إلى قراءات تقليدية لنصوص دينية اسلامية فوجدت شيئًا من التناقض. نظرت إلى صورة الله المرسومة من قبل البعض، ونظرت إلى صورة الله المطبوعة في ذهني من خلال الأديان وهنا أيضًا وجدت تناقضًا بين الله القوة، وبين الله الرحمن، الرحيم، الرؤوف والمعطي.

هكذا بدأت قصة بحثي الذي أردته علميًا قدر الإمكان وأنا التي لم تدرس يومًا علم الفقه. قررت أن أمسك بكتاب الله، وأن أقرأه وكأنه صادر أمس، كتاب يحاكي كل زمان ومكان، كل مؤمن به عالمًا بفقهه أم لم يكن. حاولت أن أركز قدر الإمكان على مفاهيم **الرحمة، والعدل، والتقوى، والحرية، والتسامح** في القرآن الكريم وذلك لأنني أعيش كل يوم صراع تراتبية القيم.

***

أنا امرأة مسلمة، وزوجة عاملة، وأم لطفل لم يتجاوز الثلاث سنوات، أسعى لأن أكون باحثة علمية وان أتمم واجباتي في كل ناحية من نواحي هذه الأدوار على أتم وجه. فهل ذلك ممكن؟

جاء جوابي على ما سبق بالنفي. من المستحيل أن أقدر على ذلك بدون أي تقصير فأنا بالنهاية إنسانة محدودة، أجد نفسي في الكثير من الأحيان، أقصّر في واجباتي

---

* النص موجز رسالة ماستر في العلاقات الإسلامية المسيحية، معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، جامعة القديس يوسف، **تراتبية القيم في الإسلام**، اشراف أنطوان مسرّه، 2016.

على حساب أمومتي، أو أبدي عملي في بعض الأحيان على واجباتي الزوجية، وأتناسى في الكثير من الأحيان واجباتي تجاه أخوتي في الإنسانية من فقراء ومحتاجين ومُسنين... فكيف لله أن يتعامل معي وأن ينظر إليّ وأنا التي لم تستطع إتمام واجباتها على أكمل وجه؟

لو أراد الله أن يكون عادلاً معي، فلا بد له من أن يختار العقاب لي مصيرًا! لكن هل سيطغى عدل الله على رحمته؟ كيف لهاتين القيمتين أن تجتمعان بدون تناقض؟

رحت أقرأ القرآن وأول ما فعلته كان دراسة مبسّطة للأعداد. لاحظت بأن **الرحمة** هي الأكثر تكرارًا (116 مرّة)، بينما يأتي الله على لفظة العدل 28 مرّة، ويذكر التقوى 109 مرّات. لا يكتفي القرآن بذكر لفظة واشتقاقاتها 116 مرّة، بل يبدأ كل سورة ويفتتحها بذكر لفظتي الرحمن والرحيم –أي اشتقاق الرحمة أيضًا. فإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ على جوهر الدين وأساسه. الأمر واضح وضوح الشمس. لا يريدنا الله أن نكون عادلين وصادقين وأن نتبع العفّة فقط، بل إنه يحثّنا على أن نكون رحومين وعلى أن تطغى رحمتنا على أي موقف نعيشه في حياتنا.

يربط الله عدله برحمته، فإن أراد هو أن يكون عادلا فقط لكان مصير البشر جميعًا العقاب، ولكنه رحما ورحيم ويشدد على ذلك في العديد من آياته، منها: وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ"(الأعراف 156).

عندما ننطلق من مسلمة أن الله رحمة، وبأن كل القيم الأخرى هي مرتبطة بهذه الرحمة وتُشكل إحدى مفاعيلها، يسهل علينا عندها فهم المعنى الحقيقي للتقوى وللحرية والقيم الأخرى.

***

قيمة **التقوى** التي تختزل في تعريفها الكثير من القيم الأخرى كالعمل الصالح والإيمان بوحدانية الله ورسالته، إنما هي مُلتصقة بالرحمة، فالعمل الصالح وتعامل الإنسان مع أخيه الإنسان والتعاضد الاجتماعي كلها مفاعيل للرحمة يزرعها الله فيها من خلال رسالته ويحثنا على تطبيقها.

***

أما عن **الحرية** الدينية فأقول بأن الأمر قد يبدو فلسفيًا للبعض، إلا أن بعض الآيات في القرآن استوقفتني بشكل لافت، وزادتني إيمانًا بأن فحوى رسالة الإسلام هي الرحمة، فيقول الله

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...(الكهف 28)
إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (القصص، 56)
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (البقرة،256)

اختلاف الأديان والمعتقدات والشعوب إنما هو رحمة من الله. تعالوا نتخايل حياتنا لو أن جميعنا كنّا من لون واحد أو فكر احادي. كيف كانت حياتنا عندها؟ أي تطور فكري واجتماعي كنّا سنتوصل إليه؟ كما أن الله شدّد على أنه لو أراد أن يخلقنا جميعًا من لون واحد وفكر احادي لفعل، وبأنه خلقنا مختلفين لنتعارف ونعيش سويًا ونغنى تجارب بعضنا بعضًا وأقرن ذلك بالتقوى، فإنه أيضًا شدّد على مبدأ الحرية الدينية أو حرية المعتقد بهدف الحفاظ على هذا الغنى والتنوع في المجتمعات، إذا كلها مفاعيل رحمة بالعالمين.

***

قد لا يختصر النص السابق تراتبية القيم في الإسلام كما عرفتها من خلال بحثي. ولكن من خلال ما سبق حاولت تسليط الضوء على الجزء الأبرز من بحثي والذي جعلني أخرج بنتيجة أن الله في الإسلام، كما في المسيحية، هو رحمة، وتتجلى رحمته من خلال مئات الأشكال من محبة ورأفة وتقوى وحرية معطاة من الله للإنسان.

***

العدل بلا رحمة فيه شيء من الظلم.
والحرية قد تنحرف عن هدفيتها فتلتمس الرحمة.
والتقوى عطش الى الرحمة.
والتسامح بلا رحمة هو مجرد مجاملة اجتماعية.
والرحمة هي الوجه الآخر للمحبة وهي بالذات المحبة.

***

ما الفائدة العملية في البحث في مجموعة القيم المشتركة في الإسلام وفي المسيحية في سبيل التربية على العيش معًا؟ اذا كان بيننا عشرات القيم المشتركة... وافتقر البعض الى الرحمة والمحبة، تتعطل عندئذ القيم الأخرى في تراكمها.

أؤمن كذلك بأن فعل الخلق نفسه هو رحمة : " الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ" (الملك، 2)، رحمة تتجلى من خلال غفران الله للإنسان ومن خلال عمل ابن آدم الصالح الذي يحاول أن يكون على صورة الله ومثاله.

الباب الرابع

المواطنية والعيش معًا في العالم العربي

مؤتمر جامعة الأزهر، القاهرة، 2/28 – 2017/3/1

مؤتمر جامعة سيدة اللويزه، 2017/7/1

مؤتمر الجامعة الأميركية في القاهرة ومركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، 23–2017/4/24

مؤتمر باكو–ازربادجيان،

1

مؤتمر الازهر الدولي:

"المواطنية والعيش معًا في العالم العربي"

إعلان الازهر: ما العمل؟

أنطوان نصري مسرّه

يُوفر مؤتمر الازهر في 28/2–1/3/2017 في القاهرة بمشاركة مجلس الحكماء المسلمين وأكثر من مئتي شخصية من حوالي 60 دولة، دعمًا لعالم عربي تتقاذفه العواصف من كل صوب. وتؤكد مشاركة أكثر من خمسين من اللبنانيين، ممثلين عن مؤسسات دينية وشخصيات من أعلى القمة، دور لبنان ورسالته كحالة معيارية في جوار عدائي او في تحوّل ديمقراطي.

تُحدد المسار المحاضرات الافتتاحية، بالإضافة الى "بيانات السابقة للأزهر. أين المعضلة؟ الحاجة الى "استعادة رسالة الإسلام" (*امام الازهر احمد الطيب*)، و"إطلاق عمل مشترك على مستوى المؤسسات الدينية والمدنية وخرق ستار المخادعة" (*البطريرك بشاره الراعي*)، و"تحرير الدين من النزاعات السياسية" (*الشيخ عبد اللطيف دريان*)، و"العودة الى مرجعية الازهر العليا لكل المسلمين في مجتمعاتنا المعرضّة للخطر كما كان الوضع وما يزال في فلسطين" (*الشيخ احمد قبلان*)، و"نشر خطاب عصري مستنير" (*البابا تادرس الثاني*)، و"العمل بمبدأ سيادة القانون" (*احمد أبو غيث*، *الجامعة العربية*)...، كل ذلك في مطلع القرن الواحد والعشرين حيث "التعددية الدينية عالمية" (*المطران سيبوس سركيسيان*). تعالت في المؤتمر صرخات مشاركين عراقيين وإمتزجت بألآم وآمال المداخلات كافة. ويُشكل البيان الختامي "حدثًا اصيلاً يتوجب الانكباب عليه وقراءته بإمعان في كل أبعاده على المستويات كافة" (*أنطوان قربان*).

1

علم سياسة الدين

هل يعني ذلك إرادة الازهر استعادة دور سياسي، بالمعنى التقليدي؟ التوضيح بالغ الدقة: "لا دور سياسي بمعنى السلطة من قبل الازهر الذي يُمارس رمزية معنوية في سبيل المواطنية والسلم الأهلي والعيش معًا". ما يحصل من قتل في الحياة العامة تم وصفه "بالجرائم" (*البطريرك غريغورس لحام*) وليس تطرفًا اسلاميًا، او سياسة إسلامية او دولة إسلامية. لا يتحدث الازهر ابدًا عن دولة دينية بل عن المجال العام والسياسة الدينية في المجال العام (*رضوان السيد*). اما المفاهيم الملوثة حول "اهل الكتاب" و"الذمة" (*محمد المساك*) والتمييز بين الشريعة كمصدر قيمي للتشريع والقانون كمصدر اجرائي للتشريع فهي تتطلب في المستقبل مزيدًا من التعمّق.

ما السبيل للتوفيق بين الشريعة والمواطنية؟ (*البطريرك غريغوريوس لحام*). يقتضي التمييز بين مستويين في المواطنية: المستوى **الحقوقي** في ما يتعلق بالمساواة في الحقوق والحريات والمشاركة، ومستوى **الثقافة المواطنية** أي السلوكيات المدنية وتنشئة الأجيال الجديدة. تم التشديد على ان "المواطنية ترتكز على التربية" (*خالد زياده*). يقتضي بالتالي "مراجعة برامج التعليم كافة" (*مار لويس روفايل ساكو*). تم تأليف لجان لهذا الغرض منذ 2013 في سبيل مراجعة البرامج بما فيها برامج الازهر. لا يُساهم تعليم عقائدي مغلق وبدون روحانية في تنشئة الشباب.

من المهم إنشاء شبكات تواصل وشراكة تُحقق تغييرًا واقعيًا "لأننا شركاء في مستقبل مشترك" (*المطران بولس مطر*) وأيضًا "مد جسور بين الازهر والكنيسة والمؤسسات المسيحية" (*القس حبيب بدر*). وتم التأكيد على ما يلي: "نحن مسؤولون، ولكن الادعاء أننا لا نعمل غير صحيح" (*رضوان السيد*).

في هذه الرؤية المستقبلية، تتمتع مصر بموقع ريادي وكذلك لبنان "ملتقى لبنانيين مختلفين ومتكاملين، مما سمح للبنان بالخلاص من المصائب" (*حارث شهاب*). وأكد مشارك أردني: "عندما وصُف موارنة في لبنان بالانعزالية انتابني الخوف من المستقبل" (*صالح كلاب*). والحاجة الى مواجهة عقدة نقص مُثقفين وأكاديميين ينشرون أيديولوجية بناء قومي تؤدي الى اغتراب وجمود وتلاعب بالتعددية لضربها تحت ستار المشاركة والوفاق والحوار.

تبرز تاليًا الحاجة الى "مشروع نهضوي على مستوى تحديات اليوم وتجسيد المبادئ والعيش في زمن تحول" (*Vittorio Lanari*). طرح ممثل مؤسسة سانت ابجيديو إشكالية مأساة الفلسفة الإنسانية بعد تراجع ايديولوجيات الماضي وتساءل: "هل يمكن في بداية القرن الواحد والعشرين تأسيس فلسفة إنسانية بمعزل عن الايمان؟"

2
الشريعة والمواطنية او التراث العربي في التعددية الحقوقية

ان المنطقة العربية "التي ضمت طيلة قرون شعوبًا متعددة"، حسب مداخلة طارق متري، والتي "اعترفت بأهل الكتاب"، حسب قول محمد السماك، يجب ان تحملنا اليوم على الإجابة على السؤال الذي طرحه بطريرك الروم الملكيين الكاثوليك غريغوريوس لحام وهو سؤال غالبًا ما نتهرّب منه: "كيف التوفيق بين الشريعة والمواطنية؟"

يتوجب هنا العودة الى تعبير القرآن حول "التفكّر"، أي ممارسة التفكير و"استعادة التفكير" حسب قول الكاتب الفرنسي Paul Valéry. كيف تدير الدولة الديمقراطية التعددية الدينية والثقافية؟ واي مواطنية في مجتمع متنوع في إطار الوحدة في التنوع؟

يتوجب العودة الى التراث الدستوري الإسلامي والعربي في إدارة التعدد الديني والثقافي. القانون في الإسلام شخصي الطابع، أي يجوز توفر عدة أنظمة حقوقية في المجتمع pluralisme juridique في بعض القضايا. تمكّن العثمانيون في الاستمرار في أمبراطورية شاسعة متعددة الأديان والثقافات طيلة أكثر من أربعة قرون ليس بفضل آلية سيطرة ومنظومة عالمية، بل ايضًا بفضل ادارة التعددية من خلال أنظمة الملل او الإدارة الذاتية في بعض الشؤون autonomie personnelle ومن خلال التمييز الإيجابي discrimination positive.

ان النظام الخاص لأهل الكتاب والذي يُسمى سلبيًا بالذمة كان يُشكل في زمانه تقدمًا. من الخطأ توصيف هذه الأنظمة بالعثمانية حيث انها اساسًا إسلامية وعربية ومُستلهمة من فلسفة الإسلام. كان التراث الغربي رافضًا لذلك على أساس وحدة المنظومة الحقوقية في المجتمع unicité du droit. المثال الأبرز ما حصل خلال مجزرة

Saint– Barthélemy في فرنسا والنزاع الكاثوليكي–البروتستانتي (23–1572/8/24) حيث طُرح الشعار: "ايمان واحد، قانون واحد، ملك واحد!" وطُرد البروتستانت في فرنسا!

هل أنظمة التعددية الحقوقية في شؤون دينية وثقافية هي رجعية؟ بالتأكيد في حال مقاربتها من منطلق معايير حديثة. يُمكن إعطاء مثال آلة المكواة التي كانت ماضيًا تُزود بالفحم وأصبحت اليوم كهربائية مع احتفاظها بكامل وظيفتها وهدفيتها.

عدّلت أنظمة عربية، ربما باستثناء لبنان والأردن، عن أنظمة الملل بسبب اغتراب ثقافي وانطلاقًا من أيديولوجية بناء قومي انصهارية أي بالحديد والنار وبدون الاعتراف القانوني بالولاءات الأولية. تبرز اليوم بعنف الولاءات المكبوتة. الأيديولوجية الصهيونية هي التي أدخلت الى المنطقة العربية عنصرًا متفجرًا وهو الترادف بين هوية دينية ومساحة جغرافية. يقول الفيلسوف اليهودي Martin Buber: "كانت أيديولوجية البناء القومي هدّية مسمومة من الغرب الى اليهود".

يتطلب كل ذلك استعادة التفكير، بدون عقدة نقص وبدون اغتراب ثقافي واستنادًا الى النظرية المعترف بها اليوم عالميًا حول التعددية الحقوقية pluralisme juridique وانسجامًا ايضًا مع الخبرات العالمية المقارنة والمبادئ العالمية للديمقراطية وشرعات حقوق الانسان. هذه هي إشكالية الدولة في مجتمع الوحدة في التنوع. وهناك إشكالية أخرى تجنبًا لتحول مفهوم المواطنية الى مجرد شعار: اية مواطنية في مجتمع متعدد الأديان والمذاهب؟

3
ستة توجهات رئيسة

ما هي أبرز مفاصل اعلان الازهر بعنوان: "المواطنية والعيش معًا في العالم العربي؟" تجاه المخاطر التي تُهدد التعددية الدينية يعرض الإعلان ستة توجهات رئيسة:

1. **المواطنية** "**مصطلح اصيل في الإسلام**". ورد في الإعلان: "المواطنية ليست حلاً مستوردًا وانما استدعاء لأول ممارسة إسلامية لنظام الحكم في اول مجتمع إسلامي (...) قائمًا على التعددية الدينية والعرقية والاجتماعية (...) تمثلت بالنص في **دستور المدينة** على ان الفئات الاجتماعية المختلفة دينًا وعرقًا هم "امة واحدة من دون الناس".

وبالتالي: "المسلمون ومسيحييو الشرق يلتقون اليوم من جديد على الايمان بالمساواة بين المسلمين والمسيحيين في الأوطان".

2. **لا أقليات في النسيج التعددي العربي:** "يتمنى الإعلان على المثقفين والمفكرين ان ينتبهوا لخطورة المضي في استخدام مصطلح الأقليات الذي يحمل في طياته معاني التمييز والانفصال".

3. **سلوك إسلامي أم إجرام؟** "يرى المجتمعون أن محاكمة الإسلام بسبب التصرفات الإجرامية لبعض المنتسبين إليه يفتح الباب على مصراعيه لوصف الأديان كلها بصفة الإرهاب".

4. **الدولة حامية للحريات:** "ان حماية المواطنين وحرياتهم وممتلكاتهم وسائر حقوق مواطنيتهم وكرامتهم وانسانيتهم صارت الواجب الأول للدول الوطنية (...). المطالب مشتركة والمصالح مشتركة وهي تقضي عملاً مشتركًا".

5. **تجدد ثقافي ومؤسسي:** "نحن مسلمون ومسيحيون محتاجون للمزيد من المراجعات من أجل التجديد والتطوير في ثقافتنا وممارسات مؤسساتنا (...) في مجالات الإرشاد والتربية الدينية والأخلاقية (...) ترسيخًا للحوار الإسلامي المسيحي وحوار الحضارات".

6. **إرساء شراكة متجددة:** "ان طموح الأزهر ومجلس حكماء المسلمين من وراء المؤتمر هو التأسيس لشراكة متجددة أو عقد مستأنف بين المواطنين العرب كافة، مسلمين ومسيحيين وغيرهم من ذوي الانتماءات الأخرى (...) ونحن أهل سفينة واحدة ومجتمع واحد نواجه مخاطر مشتركة تهددنا في حياتنا ومجتمعاتنا ودولنا وأدياننا كافة".

4

ما العمل؟

في البحث عن الإدارة الديمقراطية للتعددية الدينية والثقافية تُختزل أحيانًا بعض الجوانب الهامة أو يُهمل الجانب الحقوقي. لذا من الضروري التمييز في قضايا التعددية وادارتها الديمقراطية بين ثلاثة مستويات في الفكر والعمل: المستوى **الحقوقي**، والمستوى **الثقافي**، والمستوى **السياسي**.

يؤسس اعلان الأزهر في 2017/3/1 الذي قرأه شخصيًا امام الأزهر في ختام مؤتمر 2/28 – 2017/3/1 انطلاقة في العالم العربي، في إطار الجامعات ومراكز الأبحاث والمؤسسات الدينية والمدنية والثقافية والتربوية والاعلام والعلاقات الإسلامية المسيحية، في عشرة مجالات أساسية.

أولاً: المستوى الحقوقي

1. **مراجعة المنظومات الحقوقية في المجتمعات العربية:** الى أي مدى هذه المنظومات في الدساتير العربية والتشريعات حول الحريات الدينية والحقوق والمشاركة وعدم التمييز هي مُنسجمة مع المبادئ العامة للديمقراطية وحقوق الانسان والاجتهادات الدستورية المقارنة، بخاصة في كل ما يتعلق في المجتمعات العربية بالأحوال الشخصية والحريات الدينية والمساواة والمشاركة في الحياة العامة؟

يندرج في هذا الإطار التمييز في الإسلام بين "المعاملات" و"العبادات". الحاجة الى حسم هذا التمييز في سبيل مجاراة تحوّلات الحياة الاجتماعية وبدون مخالفة الشريعة، بل انسجامًا مع مقاصد الشريعة وإلا كيف يمكن معالجة إشكاليات العائلة وحقوق المرأة والمساواة والإرث والعادات المختلفة... يندرج هذا المسار في مفهوم "التفكر" الوارد تكرارًا في القرآن.

2. **بروز مبدأ القانونية في الإسلام والتاريخ العربي:** تم غالبًا طمس الدراسة الانتروبولوجية لبروز مفهوم القانون في التاريخ الإسلامي والعربي. يؤدي هذا الطمس، حتى لدى قانونيين، الى الخلط بين الشريعة والتشريع. برز القانون الوضعي في التاريخ كوسيلة لحماية الناس من التسلّط السياسي ولحمايتهم أيضًا من الدين في حال تحوّله الى سلطة بالمعنى السياسي أي إمكانية اللجوء إلى الإكراه. ورد صراحة في القرآن: "لا اكراه في الدين". هذا النوع من البحوث في انتروبولوجيا التاريخ له تأثيرات على التنشئة المواطنية والمثاقفة القانونية acculturation du droit في المجتمعات العربية.

3. **التراث الدستوري الإسلامي والعربي في الإدارة الديمقراطية للتعددية:** هذا التراث الغائب في الجامعات العربية والذي يوصف سلبيًا بسبب اغتراب أيديولوجي يعود الى مفهوم البناء القومي، وما يرميه مثقفون في سلة مهملات "الطائفية" هو في أساس النظرية المعاصرة للتعددية الحقوقية pluralisme juridique في بعض القضايا والشروط الحقوقية اليوم لعصرنتها وانتظامها.

ثانيًا: المستوى الثقافي

4. تراتبية القيم في الإسلام: لا فائدة في إجراء جردة بالقيم الإسلامية من هنا وهناك ولا فائدة كبرى، وبحسن نية، في انتاج كتب تثقيفية حول المعرفة المتبادلة اذا افتقر ذلك الى التركيز في الثقافة والتربية على تراتبية القيم في الإسلام.

ما الفائدة إذا كان زوجان يتمتعان بمئة قيمة مشتركة لكن الزوجة تسامح في حين ان الزوج لا يغفر؟ في قمة تراتبية القيم في الإسلام: الرحمة. العدل بدون رحمة فيه شيء من الظلم حسب التعبير الروماني: "أقصى العدل هو أقصى الظلم summum jus summa injuria! أما **التسامح** بدون رحمة فهو مجاملة ولياقة اجتماعية. **والتقوى** هدفها الأسمى التماس الرحمة. **والحرية** قد تنحرف عن هدفيتها وتستعيد صوابيتها في الرحمة. **المحبة** في المسيحية **والرحمة** في الإسلام هما تعبيران عن قيمة أولوية عليا.

5. **مراجعة مضامين التعليم الديني في المجتمعات العربية:** ينقل غالبًا التعليم الديني في المدارس عقائدية مُغلقة على حساب الروحانية التي هي منبع الأديان. ينفّر هذا التوجه الشباب أو يساهم في تعبئتهم على حساب الفكر النقدي.

6. **مراجعة اللاهوت والفقه:** يُستخلص من العديد من البحوث والندوات أن هذه البرامج يجب أن تتخطى المفهوم الحصري للفقه لتشمل مقاربات مُتعددة الاختصاصات ومن منظور إشكاليات عالم اليوم. على سبيل المثال هل خطب الجمعة هي صلاة ودعوة الى التقوى أم توبيخ وصراخ؟ يُشدد البابا فرنسيس في ما يتعلق بالمسيحيين على ضرورة التواضع في المواعظ والخطاب الديني عامة.

ثالثًا: المستوى السياسي

7. **تنمية خطاب آخر غير سجالي يحمل بذاته تجددًا وأصالة:** الحاجة الى وضع حد لخطاب سجالي يُساهم في ردوده على مُتطرفين في تعميم خطاب هؤلاء وما هو متداول في سوق الجهل والتعصُّب. يتحول بذلك خطاب التطرف ونقده الى مرجعية! يشمل التوجّه السجالي أكاديميين ومُثقفين وباحثين واعلاميين ليس لديهم أكفار جديدة وأصيلة فيجترون إجابات على ما يقوله غيرهم: "دولة إسلامية"، "الدال" الثلاثة في الإسلام: دين ودنيا ودولة،

طائفية... تعمّمت شعارات في رسائل واطروحات وندوات. في كبرى جامعات العالم... هل انتهى هذا المسار؟

8. **كل انسان مسؤول عن صورته:** لا فائدة من توجيه الاتهام ضد الغير حول الاسلاموفيا والصورة السلبية للاسلام... هذا الاتهام انتهى! إنه تهرّب من المسؤولية. كل انسان مسؤول عن صورته. ان انتاج كتب ومنشورات لتحسين الصورة لدى الغير هو غالبًا تهرب من المسؤولية الذاتية. كان يقول Nietzsche بشأن المسيحيين: "كي أؤمن بمخلصهم يجب أن يبدو عليهم الخلاص". على الإسلام والمسلمين ممارسة مراجعة ذاتية.

9. **من هم "المنافقون"؟** وردت هذه العبارة أكثر من عشرين مرّة في القرآن بدون أن ينكب كثيرون على تبيان من هم المنافقون. إنهم كبعض الفريسيين وأهل الناموس في الإنجيل. مع تراجع ايديولوجيات الماضي يقتحم المنافقون وتجار الهيكل كل الهياكل في علم سياسة دين politologie de la religion لا علاقة له لا بالدين ولا بالإيمان.

10. **اعلام مسؤول:** يمكن الجزم بدون مبالغة بأن تعميم تيارات تعصُّب وبربرية هي أيضًا نتيجة منحى أكاديمي يتطرق الى الأحداث المثيرة والمتداولة في السوق بدلاً من التركيز على نماذج إيجابية معيارية تثير التماثل والاقتداء والتمكين.

***

تطبيقًا لهذه التوجّهات من الفائدة انشاء مرصد اعلان الأزهر في سبيل تنظيم لقاءات دورية تسعى، ليس فقط الى تفسير الإعلان وتعميم مضمونه، بل الى رصد الأعمال التطبيقية الإيجابية والمعيارية، وإن كانت متواضعة، في سبيل تغيير في العمق في المسارات الثلاثة الحقوقية والثقافية والسياسية لصالح الإدارة الديمقراطية للتعددية الدينية والثقافية في المجتمعات العربية.

2

دور الدولة في صون الحريات وحماية التنوّع[*]

أنطوان نصري مسرّه

1. القرآن والدولة: لم ترد عبارة "دولة" بمعنى "الحكم" في القرآن.

المطلوب تحرير الدين من الدولة التي هي اساسًا سلطة تتمتع بصلاحية اللجوء الى القوة المنظمة، مما يختلف عن الآية: "لا اكراه في الدين". هذه الآية هي المنطلق، حيث ان اللجوء الى الاكراه هو من صلاحية الدولة "ولا اكراه في الدين".

2. تنظيم علاقة: لا فصل، بمعنى الفصل "الفاصل"، بين الدين والدولة، بل رسم حدود وتنظيم علاقة.

الدولة الديمقراطية لها وظائف "دينية"، كما لها وظائف اجتماعية، اقتصادية، تربوية، بيئية، صحية... وهذه الوظائف "الدينية" للدولة الديمقراطية هي:

أ. اصدار **تشريعات** حول إدارة التنوع الديني والمذهبي.

ب. **الحماية** القضائية والاجتماعية للمجموعات حول المتعقدات والممارسات المتعلقة بالدين.

ج. تأمين **مجال عام محايد** حيث بحق للأفراد والجماعات ان يؤمنوا او لا يؤمنوا او يؤمنوا على طريقتهم شرط عدم المساس بالنظام العام.

3. ثلاثة ابعاد للدين: يتضمن الدين ثلاثة جوانب:

أ. جانب **خاص** شخصي داخلي.

ب. جانب **عام**.

---

[*] موجز مداخلة خلال مؤتمر جامعة الأزهر، القاهرة، 28/2-1/3/2017.

ج. جانب **مشترك** بين العام والخاص هو موضع نقاش مستمر في سبيل رسم الحدود.

4. القانون: كيف برز **القانون** في التاريخ في سبيل حماية الناس من تسلط السياسة وايضًا من الأديان في حال تحولها الى سلطة تلجأ الى الاكراه بالمعنى السياسي.

5. المصدر القيمي والمصدر الاجرائي للتشريع

إدارة التعددية الدينية والثقافية في المجتمعات العربية ومن منظور مقارن.

التراث الدستوري **العربي** في التعددية القانونية.

الجديد في التعديلات اليوم في الدساتير العربية.

6. ما العمل؟

أ. العدول عن إجترار خطاب من الماضي يُساهم في نشر أيديولوجية سائدة.

ب. الفكر الإسلامي في ما يتعلق بـ:

تراتبية القيم: **الرحمة**

العادات والعبادات...

ج. التراث الدستوري العربي: تأصيل وعصرنة.

د. الابعاد الثقافية والتربوية.

3

"إعلان اللويزة" يلاقي بتوصياته "إعلان الأزهر: العيش المشترك ونبذ التطرف ولبنان مركزًا للحوار

أوصى "اعلان اللويزة" الصادر عن مؤتمر الحوار الاسلامي – المسيحي الذي عقد في جامعة سيدة اللويزة في 2017/7/1 بالعمل على جعل لبنان مركزا دوليا لحوار الاديان. وتضمن الاعلان توصيات المؤتمر التي أعلنها راعي المؤتمر البطريرك الماروني الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي وأبرز ما جاء فيها:

"يعلن المشاركون في مؤتمر جامعة سيدة اللويزة عن ترحيبهم وتأييدهم لإعلان الأزهر الشريف باعتباره دعوة مخلصة وصادقة من جانب كبرى المؤسسات الدينية العربية والإسلامية، لشركة كاملة، في كل بلد عربي وفي دولة وطنية دستورية مدنية تميز بين الدين والدولة وتكون قائمة على المساواة بين كل أفراد الوطن الواحد، وتعزز التنوع والتعددية الثقافية والدينية، وتستبدل بالمواطنة لفظة "أقليات" و"أغلبيات"؛ وإذ يرحبون بنتائج" مؤتمر الأزهر الشريف للسلام العالمي" فإنهم يضمون صوتهم للتأكيد على تضامن المؤسسات الدينية وتعاونها في نشر السلام بين الأمم ونصرة قيم العدالة والإنصاف، ومكافحة نزعات التطرف والإرهاب(...) ويؤكد المجتمعون أن حماية الاستقلال الوطني والسيادة اللبنانية، تقتضي تعزيز قاعدة العيش المشترك، والمحافظة على الثوابت الوطنية اللبنانية المتمثلة بالميثاق الوطني واتفاق الطائف والدستور. يؤكدون تمسكهم بالمبدأ الدستوري أنه "لا شرعية لأي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك"، سواء لجهة الغلبة، أو لجهة الفصل بين أبناء الوطن الواحد على أساس الانتماء الديني أو المذهبي. إن المخرج من التوترات الطائفية، وإزالة المخاوف والاصطفافات، وتطوير النظام بما يشجع الفئات الشابة على المشاركة بفعالية إنما يتمثل بتعزيز روابط المواطنة والتحرر من العصبيات، ونشر قيم الديمقراطية وممارستها بما يؤدي إلى قيام الدولة المدنية. إن المشاركين في هذا المؤتمر، ينظرون إلى العيش المشترك، في دولة وطنية دستورية مدنية، قائمة على المواطنة واحترام الاختلاف

والتعددية، لا على أنه مجرد تدبير حصيف يمليه واقع التنوع المجتمعي، بل أيضا وخصوصا بوصفه فعل إيمان، سواء على قاعدة الشهادة للإيمان الخاص في بيئة إنسانية متنوعة التكوين، أو على قاعدة أن الآخر المختلف جزء من تعريف الذات، يكونك مثلما تكونه، وأن الوطن يكون بجميع بنيه أو لا يكون، ولجميع بنيه أو لا يكون. ويدعو المجتمعون المؤسسات الدينية والجامعية والتعليمية الإسلامية والمسيحية إلى إيجاد صيغ للتشاور والتعاون والانفتاح في المناهج التربوية، والتفكير في تطوير برامج مشتركة تبعث على المزيد من المعرفة المتبادلة والتعارف، وخلق أجواء للتشارك الديني والوطني والإنساني، كما يدعون إلى تفعيل مختلف أطر الحوار الإسلامي المسيحي في لبنان والمنطقة. إن اللبنانيين والعرب الآخرين محتاجون في حياتهم المشتركة، وفي علاقاتهم بالعالم إلى تفعيل التزامهم ضد التشدد والتطرف والانعزال من جهة والتمسك بالوسطية والاعتدال من جهة أخرى. ولا سبيل لذلك إلا بالإقبال على بناء ثقافة مشتركة تقول بالتنوع والاعتراف المتبادل. و يعلن المجتمعون عن إرادتهم في التوجه إلى الفاتيكان والمؤسسات الدينية العالمية المسيحية والإسلامية الأخرى للتعاون والتنسيق معها ويعبرون عن رغبتهم في إيضاح أهمية العيش المشترك في لبنان وتحدياته وهو الذي يشكل الضمانة الحقيقية للحريات والسيادة والاستقلال الوطني. إن علينا نحن اللبنانيين في حياتنا الدينية والثقافية والمدنية والسياسية أن نجدد السعي والعمل على جعل لبنان مركزا دوليا لحوار الأديان والثقافات والحضارات، بما يخدم العالم العربي والعلاقات المسيحية- الإسلامية في العالم ".

***

وكانت ألقيت كلمات في المؤتمر لكل من البطريرك الراعي ورئيس الجامعة الاب وليد موسى وممثل شيخ الازهر الشيخ عباس شومان ومفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان والمفتي الجعفري الممتاز الشيخ احمد قبلان وشيخ عقل الطائفة الدرزية الشيخ نعيم حسن ورئيس المجلس العلوي الشيخ محمد عصفور وكان عريف الحفل الدكتور سهيل مطر. وعقدت جلسات نقاش قبل صدور التوصيات.

النهار، 2017/7/3

4

الإدارة الديمقراطية للتعددية في لبنان من منظور مقارن

الأطر الحقوقية والثقافية في الإدارة الديمقراطية للتعددية

*من منظور مقارن واستنادًا الى التراث الدستوري العربي والإسلامي**

أنطوان نصري مسرّه*

بعض الأنظمة في العالم، ومنها النظام الدستوري اللبناني، كان يُقال عنها انها "فريدة من نوعها" *sui generis* او استثناء أو حالات خاصة. لكن يتبّين ان هذه الحالات، المسماة خاصة، هي عديدة ولها ميزات دستورية مشتركة[1]. بدأ يتبلور ذلك منذ 1970 تقريبًا من خلال أبحاث عالمية متفرقة. نظمنا مؤتمرًا في الجامعة اللبنانية في لبنان شارك فيه بعض الباحثين في هذه الأنظمة[2].

---

* محاضرة في مؤتمر الجامعة الأميركية ي القاهرة ومركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية حول موضوع: "إدارة التعددية واشكالياتها في الشرق الأوسط"، القاهرة، 23-2017/4/24.

* **عضو المجلس الدستوري، لبنان.**

رئيس كرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار، جامعة القديس يوسف، بيروت.

عضو مؤسس في المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم (جائزة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP ومؤسسة جوزف ولور مغيزل "للسلم الأهلي وحقوق الانسان" 1997).

جائزة الرئيس الياس هراوي: لبنان الميثاق، 2007.

جائزة مؤسسة المونسنيور اغناطيوس مارون، 2015.

[1]. A. Messarra, *Le modèle politique libanais et sa survie* (Essai sur la classification et l'aménagement d'un système consociatif), Beyrouth, Publications de l'Université Libanaise, « Section des études juridiques, politiques et administratives », VII, 1983, 534 p.

[2]. A. Messarra, Th. Hanf et Hinrich R. Reinstrom (dir.), *La société de concordance* (Approche comparative), Actes du symposium international organisé par le Goethe-Institut sur: « La régulation démocratique des conflits dans les sociétés plurales », Beyrouth, Publications de l'Université Libanaise, « Section des études juridiques, politiques et adminsitratives », XI, 1986, 168 p.

عبارة "توافقية" هي ترجمة عربية عن عبارات أجنبية consociational, proporzdemocratie, concordance, power sharing system, consensual system…. لكن في اللغة العربية، وبسبب ايديولوجيات كليّة، تتحول كل العبارات العلمية بدون استثناء الى شعارات وتُفرغ من معانيها. اثباتًا لذلك فان أشد المعارضين لهذا النمط من البحوث العلمية المقارنة منذ السبعينيات أصبح من أشد المُدافعين عن هذا النمط حسب تحولات المواقع وموازين القوى في المجتمع. لا نستغرب ذلك حيث ان أجمل العبارات خلال الحروب في لبنان في 1975–1990 مثل عبارة "لبناني" و"وطني" أصبح معناها في التداول في السوق خلال سنوات الحروب: "لبناني وبس"، أي ضد العروبة! وكلمة "وطني" أصبح معناها في التداول في السوق: تقدمي ومناهض للانعزاليين! واجب الجامعيين والاعلاميين والمفكّرين عامة تنقية العبارات من التلوث.

لم يتابع كثير من الجامعيين الابحاث المقارنة على المستوى الدولي وتطورها وأخذ يسترسل في النقد كما لو ان هذا النمط من الأنظمة هو خارج القانون hors–la–loi! بمجرد ورود نصوص في الدساتير حول أسس هذه الأنظمة فهذا يعني انها خاضعة لقواعد حقوقية. هذه الأنظمة هي **انظمة برلمانية تعددية** régimes parlementaires pluralistes، اي هي خاضعة لكل مبادئ الأنظمة البرلمانية والدستور اللبناني بالغ الوضوح في هذا الشأن، وبخاصة مبدأ الأكثرية في ادارة الحكم والأكثرية موصوفة majorité qualifiée في بعض القضايا حصرًا (المادة 65 من الدستور). وهي خاضعة لمبدأ فصل السلطات فلا تكون الحكومات مجالس نيابية مصغرة بل سلطة اجرائية exécutoire.

وما كتبه مؤلفون عن الأنظمة المجلسية régimes d'assemblée يخلط أنظمة عديدة في العالم لا يفهمها باحثون (سويسرا، بلجيكا، يوغوسلافيا سابقًا، الهند، لبنان، ايرلندا الشمالية، جزر فيدجي، جزيرة موريس…). تحوّل أيضًا مفهوم انظمة مجلسية الى سلّة مهملات يضع فيها باحثون أمورًا لم يتمكنوا من ايجاد تصنيف لها.

اعتبر البعض، على سبيل الكسل الفكري، ان هذا النمط من الأنظمة هو مرادف "للطائفية" أو تبرير للطائفية! عبارة طائفية هي أيضًا سلة مهملات يرمي فيها كثيرون كل ما لا يعجبهم، في حين ان هذا النمط في **الأنظمة البرلمانية التعددية** في التشخيص والتحليل حسب قواعد علمية واختبارية هو الذي يسمح باستكشاف العلاج واستكشاف الشؤون العابرة للطوائف transcommunautaire.

لا يحتاج هذا النمط من البحوث الدستورية المقارنة الى من ينتقده، بل الى باحثين يُطوّرون هذه الأبحاث على المستوى العالمي والمقارن. هذا النمط من البحوث لم يُستكمل بعد، وهو بحاجة الى باحثين جدّيين في العلوم الدستورية والعلوم الاجتماعية. الحاجة الى دراسات ومن خلال حالات اختبارية عديدة: سويسرا، بلجيكا، النمسا، البلاد المنخفضة، ايرلندا الشمالية، افريقيا الجنوبية، الهند، جزر فيدجي، جزيرة موريس...

لم أرد أي مرة على سجالات في السوق حول الموضوع، بل عملت دائمًا على توضيح المفاهيم والمعايير الناظمة والشروط والقواعد الحقوقية. ليست هذه الانظمة "ماشي الحال" و"نتوافق"...! هذا الفكر لا سياسي أساسًا ولا دستوري بشكل مطلق. وظيفة المفكرين والباحثين والجامعيين والاعلاميين ليست "التطريز" حول ما هو متداول في السوق، بل انتاج فكر أصيل ومعايير وقواعد ومفاهيم مُتميزة.

هذه الأنظمة هي ديمقراطية، وهي بالتالي خاضعة لكافة شروط الديمقراطية في وجوب

فصل السلطات،

ووجود **حكومة تحكم** ومتضامنة وخاضعة **لرقابة** المجلس النيابي،

وقواعد في المشاركة السياسية بهدف تجنب العزل الدائم، وليس المشاكسة وتوطيد ديكتاتورية نخبة أو تعسف أقلية abus de minorité.

لهذا النمط من الأنظمة أمراضه pathologie وظواهره الصحية، ولكن لا نفترض ان أي نظام آخر ليس له ايضًا امراضه وظواهره الصحية.

يستحيل تشخيص وتحليل ومعالجة قضايا النظام الدستوري اللبناني بدون أبعاد مقارنة. هذه الأبعاد المقارنة هي غير تلك التي اعتمدت غالبًا منذ عشرينيات القرن الماضي. تمت مقارنة النظام اللبناني مع نظام فرنسا وأميركا وبريطانيا... لا بأس في القضايا الحقوقية العامة التي هي عالمية. لكن في القضايا الخاصة، يجب مقارنة لبنان بسويسرا والنمسا وبلجيكا وافريقيا الجنوبية وجزر الفيجي وقبرص وايرلندا وجزيرة موريس... هذا جديد نسبيًا في التعليم الجامعي في لبنان وفي الدراسات، وله نتائج على الثقافة السياسية والممارسة في لبنان.

تعني عبارة: "لبنان سويسرا الشرق"، الطبيعة الجميلة ضمن مساحة صغيرة، واستعملت بمعنى السريّة المصرفية، وبمعنى الوضع الاقليمي المتداخل ماضيًا أو حاضرًا،

والمقاربة الأصح هو ان لبنان ينتمي الى **التصنيف ذاته** في الأنظمة السياسية الدستورية المقارنة. كتب ميشال شيحا: "في سويسرا يوجد كانتونات وفي لبنان يوجد طوائف". هناك نوعان من الفدرالية: فدرالية جغرافية، وفدرالية شخصية اعتمدت اساسًا في الأنظمة العربية طيلة اكثر من اربعة قرون وما يُسمى أنظمة الملل.

1

البناء القومي بالمواثيق

الأهم في هذه الأنظمة طريقة بنائها القومي. كيف تُبنى هذه الأوطان؟ درسنا في الجامعات وفي كتب التاريخ نمط بناء قومي بالحديد والنار حيث مركز يمتد بالقوة الى الأطراف. ودرسنا نمط الوحدة الايطالية والوحدة الألمانية. عام 1971، جرى تنظيم مؤتمر في اليونيسكو بعنوان: "أنماط البناء القومي في بلدان مختلفة".

هل من طرق متعددة في البناء القومي؟ كان التساؤل المهم للكاتب السويسري Hans Daalder، حيث ذكر حالات لبنان وسويسرا وهولندا، حيث البناء القومي لم يكن بفضل مركز يمتد بالقوة الى الأطراف، ولكن بفضل مواثيق وتنازلات متبادلة[3]. تأتي سياسة التسوية politics of accommodation نتيجة نزاعات حيث يستحيل تحقيق انتصار. قد يكون البناء القومي بالحديد والنار ومن خلال انتصار اكثر فعالية، لكن الموضوع ليس إراديًا.

في حالة سويسرا والبلاد المنخفضة والنمسا استعملت عبارات: Diète, alliance, covenant و Junktim... وفي لبنان استخدمت كلمات: وثيقة الوفاق الوطني– الطائف، ميثاق 1943، وثيقة الوفاق الوطني، الوثيقة الدستورية، تنظيمات... اتخذ لبنان اساسًا كحالة تأسيسية لبناء النظرية.

تجربة لبنان لا تقل غنى عن تجربة سويسرا. لبنان بلد حيث الانتصارات مستحيلة، أو هي انتصارات مُفخَّخة أو مُجيّرة. بعض الانتصارات المؤقتة كانت بدعم خارجي يليه "فواتير" لتسديدها الى الخارج!

---

[3]. Hans Daalder, "La formation des nations par consociatio: Le cas des Pays-Bas et de la Suisse", in *L'édification nationale dans diverses régions,* no spécial de la *Revue internationale des sciences sociales*, Unesco, XXIII (3), 1971, pp. 384-399.

بعد تجارب عديدة في النزاع والتوافق، متى تصبح المواثيق في لبنان استراتيجية وليست تكتيكية؟ من الممكن أن أعلن اليوم ميثاقًا ولكن قد أهيِّئ نفسي لانتصار في ظروف أكثر ملاءمة!

الحمدلله، وللأسف، ان الحروب في لبنان دامت اكثر من 15 سنة! لو دامت سنة او سنتين لقال بعض الأفرقاء في الداخل والخارج: لو توفرت لنا هذه الظروف وهذه المعطيات لحقَّقنا الانتصار. خلال 15 سنة واكثر هل يبقى شيء لم يُجرَّب بعد في لبنان؟ وجميع الذين دخلوا في لعبة الحروب في لبنان عن قصد أو عن سوء نيّة، أو عن حسن نيّة، أصبحوا ضحية لعبة اكبر من حجم الوطن.

2
أمراض الأنظمة البرلمانية التعددية وعلاجاتها

ما هو النقد لهذا النوع من الأنظمة؟ أُفضِّل منهجية التشخيص والمعالجة. الأنظمة الأخرى التنافسية concurrentiels لها امراضها ايضًا. لكلٌّ منظومة سياسية امراضها ويجب معالجتها بما يلائمها من أدوية **خاصة بها**. الأمراض الأساسية في هذه الأنظمة:

1. تسلّط الأقطاب.
2. عدم الفعالية والشلل.
3. تطبيق موحش لقاعدة التخصيص أو الكوتا أو التمييز الايجابي لصالح الزبائنية.
4. ضعف أو عدم وجود معارضة فاعلة بسبب تحويل الحكومات الى مجالس نيابية مصغرة.
5. الاختراقات الخارجية غالبًا من خلال الاستقواء.
6. توافق النخبة entente interélite على حساب القاعدة الحقوقية، اذ قد يتفق الزعماء على محاصصة بخلاف القانون. هذا الأمر يحصل في بلدان أخرى وقد تجري محاصصة ضد المصلحة العامة.

هذه الأمراض بحاجة الى معالجة ودراسة في الواقع اللبناني وايجاد معالجات لها. لبنان في تاريخه لديه الكثير من الأنماط للمعالجة.

ما هي الخيارات لهذا النوع من البلدان؟ ثلاثة خيارات:

1. التغيير **الجغرافي**، بالفرز أو التقسيم أو الضم.
2. تغيير **البشر** بالإبادة، أو التهجير أو التطهير الاتني أو الاندماج القسري.
3. اعتماد اشكال متنوعة في المشاركة بالحكم من خلال **أنماط تعاونية وتنافسية في آن.**

الحاجة الى إغناء النظرية. والحالة المثلى هي في دمج ما بين الأنماط التنافسية والتعاونية[4].

يذكر داوود الصايغ هذا القول لميشال شيحا:

"ليست جارتنا سوريا هي التي تمثل نموذجًا بالنسبة الينا. فنحن الذين يمثلون نموذجًا لها. وقدرها هو الذي سيقودها حتمًا صوب نموذجنا وليس العكس"[5].

ان الفكر الدستوري هو الجانب المميز في انتاج ميشال شيحا (1891– 1954). وهو الجانب الذي، بالرغم من أصالته وعمقه وانفتاحه، الاكثر عرضة لسوء الفهم والاجتزاء والتشويه. واغلب الذين كتبوا او استدُّرجوا للكتابة عن الجانب الدستوري في انتاج ميشال شيحا لجؤوا الى منمطات ذهنية رائجة اقتبسوها في جامعات وتتعلق بالانظمة التنافسية competitive pattern of democracy على نمط نظام وستمنستر Westminster model. وانطلقوا بشكل عام من ايديولوجيا سائدة في البناء القومي nation building، اي بناء قومي من خلال سلطة مركزية تمتد بالقوة الى الاطراف، مع تجاهل نمط آخر في نشوء الامم بالمواثيق على نمط لبنان وسويسرا وبلجيكا والنمسا والبلدان المنخفضة[6].

---

4. **تتحول غالبًا العبارات باللغة العربية في اطار سجال متداول في المجال العام الى شعارات وتُفرغ من معانيها. يراجع في سبيل التصويب: "الديمقراطية التوافقية" كما تُطرح في لبنان اليوم: مسرّه: لا علاقة لها بالمشاركة وبتحقيق ائتلاف حقيقي بين المكونات وهدفها شل النظام اللبناني تمهيدًا لتفكيك الصيغة وعودة المنظومة السورية"، تحقيق رلى مخايل، النهار، 2008/3/25.**

5. ميشال شيحا، **السياسة الداخلية**، بيروت، 1952، ص 250 وداوود الصايغ، **ما بين لبنان وسوريا من النظام الى الدولة**، بيروت، دار النهار، 2012، 240 ص.

6. *L'édification nationale dans diverses régions, op.cit.*

ميشال شيحا هو من رواد ما يُسميه حسن صعب "المدرسة العقلانية في السياسة اللبنانية"[7]. هذه المدرسة براغماتية وتنظيرية في آن، اذ تعتبر ضمنًا ان البناء الدستوري اللبناني هو ثمرة اختبار تاريخي لا تنطبق عليه تعميمات سائدة في الانظمة الدستورية. تلتقي هذه المدرسة اليوم مع ارقى الابحاث المقارنة منذ السبعينيات حول التمييز بين **الانظمة المحض تنافسية والانظمة البرلمانية التعددية** وهي ابحاث شاركنا في العديد منها واتخذ فيها لبنان كحالة تأسيسية في بناء النظرية[8].

ميشال شيحا هو سبّاق في استخلاص القواعد النظرية للبناء الدستوري اللبناني. تبين الوثائق بخط يده التي نشرت كاملة مع وثائق اخرى[9] عمق القدرة التوليفية وحكمة ميشال شيحا في فهم البنية الدستورية اللبنانية. يبيّن ما كتبه شروط نجاح هذا النمط الدستوري الذي لم تتوفر له في زمن ميشال شيحا كامل الاطر المفهومية والتحليلية.

3
عصرنة انظمة الاحوال الشخصية: مساواة وانفتاح

مع انهيار الحدود، بفعل عولمة وسائل التواصل وحرية انتقال الاشخاص والسكان، تُطرح بصورة متزايدة مشكلة حماية الحقوق الدينية والثقافية على الصعيدين الجغرافي والشخصي. يقتضي بالنسبة للمجتمعات المتنوعة البنية، البحث في كيفية توطيد فدرالية

---

[7]. Hassan Saab, "The Rationalist School in Lebanese Politics", *ap*. Leonard Binder (ed.), *Politics in Lebanon*, New-York-London – Sydney, John Wiley, 1966, 346 p., 271-282.

[8]. Gerhard Lehmbruch, *Proporzdemokratie* (Politisches system und politische Kultur in der Schweiz und Osterreich), J.C. Mohr (Paul Siebeck), Tubingen, 1967, 60 p.

__, "A Non- competitive Pattern of Conflict Management in Liberal Democracies: The case of Lebanon, Austria and Lebanon", Paper presented at the Seventh World Congress of the International Political Science Association, Brussels, Sept. 1967.

Arend Lijphart, *Democracy in Plural Societies. A Comparative Exploration*, New Haven and London, Yale University Press, 1977, 248 p.

وتعريب افلين ابو متري مسرّه، **الديمقراطية في المجتمع المتعدد. دراسة مقارنة**، بيروت، المكتبة الشرقية، 1984، 316 ص.

[9]. Claude Doumet Serhal et Michèle Hélou-Nahas, *Michel Chiha, 1891-1954*, Beyrouth, Fondation Michel Chiha, 2001, 372 p.

تنسجم مع المبادئ الانسانية وحقوق الانسان، ولا تكون حصيلة هندسة سكانية جراحية في تهجير أو ابادة أو تطهير اثني.

تجاهلت نظرية غربية حصرية للفدرالية الى أي مدى قد يكون المجال الجغرافي نزاعيًّا متفجرًا في افريقيا ويوغوسلافيا القديمة والاتحاد السوفياتي السابق وسريلانكا، ولبنان خلال حروب 1975–1989 حيث تعرض المجال الجغرافي للعنف والمتاريس والمعابر في استراتيجيات **لربط المكان بهويات**. ان اشكالية ربط الهوية بالجغرافية وان تبدو طبيعية في ايديولوجية الدولة–الامة فانها قد تكون انتحارية ودموية، خاصة في زمن تواصل ضمن مجالات متحركة مادية ورمزية وحيث الجماعات أو الاقليات غير متمركزة في مجال جغرافي محدد.

بحسب المفكر اللبناني ميشال شيحا، يمكن تصنيف الفدرالية على اساس المبدأ الشخصي بأنها فدرالية "تشريعية". كتب ميشال شيحا في *Le Jour* اللبنانية في 30 تموز 1947:

"يمثل مجلس النواب في لبنان، في الواقع، وجهًا أصيلاً للفدرالية. كما سويسرا لها كانتوناتها، كذلك توجد في لبنان طوائف. الأولى منظمة على قاعدة جغرافية، اما الثانية فهي قائمة فقط على قاعدة تشريعية اي على اساس الانتماء الى نظام للأحوال الشخصية".

تشتمل الفدرالية على اساس المبدأ الشخصي على العديد من الايجابيات. انها اقل كلفة على المستوى الاداري من الفدرالية الجغرافية التي ترغم على زيادة عدد الوحدات والتقسيمات المحلية. وتشجع الفدرالية الشخصية على تنمية الشرائح الاجتماعية التي يمكن ان تعمل على التنمية من الداخل. وهذا النموذج من الفدرالية يسمح خاصة بكبح الاستقطاب وحصره فقط في القضايا الأكثر نزاعية، بينما الفدرالية الجغرافية ترغم على زيادة مفرطة في التجزئة الى حد قد تصبح فيه غير مُجدية. ان الفدرالية الشخصية يمكن ايضا ان تكون عامل توحيد لأنها لا تؤدي الى انقطاع في العلاقات اليومية في نظام حيث كل الجماعات أو الاقليات يمكنها، وفقًا لقاعدة الكلفة والمنافع، من تحقيق فائدة من الوحدة وبكلفة مقبولة. لكن المبدأ الشخصي يتطلب ادراكًا نفسيًا واضحًا لحدود النظام واحترام تلك الحدود، كما في حالة ملكية الابنية المشتركة، عملاً بالمبدأ الأساسي لنموذج مشاركة: الحدود الجيدة هي التي تصنع حسن الجوار.

ان المفاضلة بين المبدأ الجغرافي والمبدأ الشخصي في النظام الدستوري، طُرح بشكل حاد بعد القرار الذي اعتمد في 15 ايلول 1842 بناء على اقتراح مترنيخ Metternich، مستشار النمسا، وقضى بتقسيم لبنان الى قائممقاميتين. يختصر عادل اسماعيل مختلف المبررات التي أعطيت ويشرحها من خلال المفاهيم حول المبدأ الشخصي والمبدأ الجغرافي.

هذا التراث الدستوري القديم، هل هو من الرواسب التاريخية التي تفترض مقتضيات التطور والعصرنة الغاءها؟ يعني اعتماد هذه المقاربة تفضيل المبدأ الجغرافي ونبذ اشكال اخرى من الادارة الذاتية مع ما يستتبع ذلك من مخاطر انسانية في حالات عديدة في العالم حيث الجماعات أو الاقليات غير متمركزة في مجال جغرافي مُحدد، وبالتالي نكران حظوظ البناء القومي خارج منطق هندسة الشعوب أو التهجير او الابادة أو الصفاء الاثني.

يوفر التاريخ الدستوري العربي والاسلامي نموذجًا عن المبدأ الشخصي. منذ الخمسينيات من القرن العشرين، ألغت عدة سلطات عربية الحق الممنوح للطوائف في انشاء مدارسها الخاصة، اما عن طريق تأميم التعليم، وإما عن طريق مراقبته بصورة مباشرة. لم يؤد ذلك الى اندماج ثقافي اكبر في المجتمع. وكذلك ألغي تدريجيًّا التمثيل النسبي المضمون للطوائف في المجالس السياسية والادارات العامة. أما في ما يتعلق بنظام الأحوال الشخصية، فإنه لا يتمتع اليوم بالمساواة مع الشريعة الاسلامية، باستثناء حالة لبنان حيث لا تحظى أية طائفة بأي تفوق على طائفة اخرى فيما يختص بنظام الأحوال الشخصية الخاص بها، الأمر الذي شجّع على تراجع التحايل على القانون في الاحوال الشخصية لدى جميع الطوائف على السواء.

يمكن تصنيف الحل القائم على اساس المساواة في الاحوال الشخصية، أي حرية التعليم الخاص (المادة 10)، وفي ما يتعلق بالمشاركة في الحكم (المادة 95)، بأنه يشكّل حلاً فدراليًّا بالكامل وفقًا للمبدأ الشخصي. وأوجد النظام اللبناني، من حيث المبدأ، وسيلة عملية خلال الانتداب الفرنسي لتطبيق فدرالية شخصية منفتحة او غير مغلقة عندما لحظ، بموجب القرار 60 ل.ر. الصادر في 13 آذار 1936، انشاء **طائفة الحق العام** التي لا تعرف التشريعات العثمانية وجودها. فالذين لا ينتمون الى طائفة، أو الذين يرغبون في التخلي عن انتمائهم الأصلي بالولادة، يمكنهم الانضمام الى طائفة الحق العام التي هي طائفة غير مذهبية.

ان نشوء اسرائيل، على أسس دينية، وبتحويل الدين الى قومية صهيونية، يدخل تقسيمًا جغرافيًّا وهندسة شعوبية ويخلق مأزقًا داخل الدولة ذاتها وفي علاقاتها مع محيطها المباشر، في فلسطين المحتلة، وفي محيطها الاسلامي–المسيحي المجاور. ان حروب لبنان في 1975–1990 أعادت احياء مشاريع تقسيم جغرافي لما لا ينقسم في لبنان. والنزاعات في المجتمعات العربية تحيي مخاوف من بلقنة المنطقة.

يقتضي العمل على عصرنة انظمة الاحوال الشخصية في لبنان والمنطقة العربية عامة، وهو عنوان كتاب ابراهيم طرابلسي، في اتجاهين: نحو جعل هذه الانظمة اكثر **مساواة** في الحالات حيث تفتقر هذه الانظمة الى المساواة، وجعلها **منفتحة** بشكل يحق فيه لكل شخص الانتماء الى نظام مدني اختياري في الاحوال شخصية.

ليس في الشرق الأوسط تراث في الفدرالية الجغرافية، بما في ذلك جزيرةِ قبرص. تعود اسباب ذلك، على الأرجح، الى التفاعل الديني في المنطقة، التي هي مهد ديانات كبرى، اليهودية والمسيحية والاسلام. عرف هذا التعايش طرقًا عدة لتنظيمه على أسس ثقافية. والمجموعات الدينية كانت على تفاعل الى حد لم تؤثر فيه مختلف النزاعات الطائفية ولا المداخلات في كسر نسيج العلاقات بين الطوائف.

ما يواجه اعتماد نظام اختياري في الاحوال الشخصية في لبنان من صعوبات وممانعة هو بالغ الخطورة. وما يواجه اعتماد **المساواة** في انظمة الاحوال الشخصية في دول عربية اخرى التي تغلّب التشريع الاسلامي في حال التنازع بين انظمة الاحوال الشخصية هو ايضا بالغ الخطورة. انه يناقض تراثًا عربيًّا عريقًا في فدرلة انسانية، بدون "هندسة شعوب" او تطهير اتني او ابادة. وهذا التراث، الاسلامي والمسيحي والعثماني والعربي، هو نقيض الكيان الصهيوني الاحادي، شرط متابعة منطقه الديمقراطي **وعصرنته** من خلال **الانفتاح والمساواة**.

في عصر انتشار الحروب الاهلية أو بالأحرى الداخلية، يقتضي تنمية البحوث حول مختلف اشكال الفدرالية والادارة الذاتية personal autonomy التي تحترم الحقوق الدينية والثقافية، بصورة رئيسة في افريقيا والشرقين الأدنى والأوسط. يطرح تمثيل الاقليات عبر الدوائر الانتخابية اشكاليات صعبة. وهذه الاشكاليات اكثر صعوبة في حالات التنظيم الفدرالي الجغرافي.

ان الاعتماد حصرًا على مقاربة جغرافية في الفدرالية ليس مسألة بريئة، لان هذه المقاربة تنشر ذهنية "هندسة شعوب"، وتطهير اثني، وابادة جماعية، وتهجير سكاني او، في أقل الاحتمالات سوءًا، تؤدي الى الدمج القسري.

لطالما افتقرت أنظمة الاحوال الشخصية الى نظرية حقوقية عامة في سبيل تفسير مضامينها وتبايناتها واجراءاتها ومفاعيلها، وبخاصة مرجعياتها في البناء الحقوقي العام.

أُدرجت غالبًا انظمة الاحوال الشخصية في كليات قانون (ولا نقول حقوق) في لبنان والمجتمعات العربية عامة في إطار القانون الخاص المتعلق بالعائلة واهملتها تاليًا من اقسام القانون العام. يتمظهر الافتقار الى نظرية عامة في مؤلفات لبنانية وعربية في القانون الدستوري حيث مُؤلفون، عندما يتطرّقون الى بعض المواد في الدستور اللبناني (9 و10 و19) وفي دساتير عربية عامة حول الاحوال الشخصية يُسارعون في ادراج الموضوع في اطار شعار "الطائفية" وايديولوجيات الرجعية والتقدمية حول اشكال ادارة التنوع الديني والثقافي.

يُشكل "المؤتمر الرابع "لمنتدى الفدراليات" الذي عقد في نيودلهي في 4-2007/11/8، بمشاركة اكثر من خمسماية من المهندسين السياسيين والباحثين في العلم الدستوري المقارن من كل القارات والذي اختتمت اعماله رئيسة جمهورية الهند، تحولاً جوهريًا في البحوث حول فعالية مختلف الاشكال الدستورية في ادارة التنوع. عنوان المنتدى: "الوحدة في التنوع: التعلّم من بعضنا البعض"[10].

منذ المؤتمر الاول الذي عُقد في مورا Morat (سويسرا) بمناسبة افتتاح معهد الفدرالية في كانون الاول 1984، بالتعاون مع الجمعية الدولية للعلم الدستوري، حصل تطور بارز في توسيع مفهوم الفدرالية التي لا تقتصر على تقسيمات جغرافية، بل قد تكون الفدرالية على أُسس شخصية في الحالات حيث المجموعات الثقافية غير متمركزة في مناطق مُحددة، وذلك استنادًا الى التراث الدستوري الإسلامي والعربي. هذا التراث هو عربي، واسلامي ايضًا، وعلى اساسه تمكنت الامبراطورية العثمانية لاكثر من اربعة قرون من حكم مناطق شاسعة مُتعددة الاديان والمذاهب والاتنيات.

---

[10]. *Unity in Diversity* (Learning from Each Other), 4th International Conference on Federalism, Forum of Federations, 5-7 November 2007, New Delhi (India), 2007, 496 p.

في ورشتي العمل في نيودلهي حول موضوع: "الادارة الذاتية والتنوع: كيف تُساهم التنظيمات المؤسساتية في ادارة التنوع في تطوير الفدراليات" وردت مُلاحظات من المُشاركين تُبين **محدودية حظوظ التقسيمات الجغرافية في الادارة الديمقراطية للتنوع الثقافي.** في حالة الهند استُحْدِثَتْ ثلاث مقاطعات سنة 1990: Chattisgarh, Jharkhand, Uttarakhand، حسب مداخلة Radha Kumar. وفي حالة نيجيريا اعتمدت تقسيمات جغرافية متعددة بدون معالجة إشكاليات التنوع الاتني. وكان تشجيع من قبل المشاركين في الورشة، بخاصة من قبل باحثين من سويسرا Ellinor Von Kauffunger، وبلجيكا Johanne Poirier، وايطاليا Tania Groppi، في توسيع مفهوم الادارة الذاتية personal autonomy.

اما الانظمة العربية فقد ضربت بدرجات متفاوتة، باستثناء لبنان، التقاليد الدستورية في الفدرالية الشخصية (انظمة الملل، حرية التعليم للمؤسسات الدينية...) بحجة تحقيق الاندماج، او بالاحرى "الانصهار" أي بقوة الحديد والنار. وترافقت الايديولوجيات الاندماجية القسرية عربيًا مع ذهنية الاستيلاء على الارض بين مجموعات دينية وتقاسم السلطة جغرافيًا ومذهبيًا بشكل يتخطى مجرد التنافس الانتخابي النيابي والبلدي. ادى ضرب التقاليد الدستورية العربية بعد عهود ما سُمي التحرر الى تفكيك مساعي الوحدة والى تأزيم العلاقات بين الشعوب. وليس في المنطقة العربية تقاليد في الفدرالية الجغرافية.

في حالة البلقان بشكل خاص في كل بلد اقليات هي اصلاً، من منطلق عرقي واثني وديني، لبلد آخر مُجاور. لهذا السبب يُثير موضوع الفدرالية الجغرافية الرعب في المنطقة، وبخاصة في تركيا في ما يتعلق بالاكراد.

عُرضت حالة اهل كيبك Québec الناطقين باللغة الفرنسية، بخاصة في مجالات التعليم والمعاملات الادارية، والذين يَقطنون بسبب ظروف العمل في مناطق ناطقة بالانكليزية. وكذلك حالة بروكسل Bruxelles التي تُظهر الحظوظ الفاعلة في الدمج بين الجغرافي والشخصي من منظور الفدرالية (Johanne Poirier). وعلى سبيل الفرضية "اذا انفصلت كيبيك Québec عن كندا فان المعضلة تبقى ذاتها حيث ان احدى عشرة قومية هي متواجدة في جغرافية كيبيك"[11]

[11]. Alain–G. Gagnon, *La raison du plus fort* : *Plaidoyer pour le fédéralisme multinational*, 2008, p. 219.

غالبًا ما يغرق الباحث في مقاربات ايديولوجية حول ادارة التنوع، في حين ان كل منظومة تحتوي على ظواهر مرضية وظواهر مُنتظمة. أستهجن باحثون بالمطلق، بسبب اغتراب ثقافي، بعض اشكال ادارة التنوع على أسس شخصية بدون دراسة آليات الضبط الحقوقية الضرورية لهذا النوع من المنظومات.

ان الادارة الذاتية الحصرية، في بعض الانظمة في العالم وحسب المادتين 9 و10 من الدستور اللبناني[12]، يجب ان تتضمن في سبيل انتظامها خمسة شروط على الاقل:

1. ان تكون **محددة** لبعض القضايا.

2. ان تتولى هيئات مركزية **ضبط المعايير** بشأنها. يُذكر في حالة لبنان دور **محكمة التمييز** في قضايا الاحوال الشخصية وفي التعليم الدور الناظم لوزارة التربية والتعليم العالي.

3. ضرورة توفر **مخرج** opting out بحيث لا يجوز إرغام شخص على الانتماء الى مجموعة او طائفة.

نقلته الى العربية ريتا عيد لافورج مع تقديم لفادي فاضل، **دفاعًا عن الاتحادية**، الجامعة الانطونية، 2010، 250 ص. يراجع ايضًا:

Antoine Azar, *Le Liban face à demain,* Librairie Orientale, 1978, 182 p. ; *Le Liban à l'épreuve*, Beyrouth, Nawfal Group, 1982, 231 p. ; *Plaidoyer pour un sénat*, Beyrouth, Nawfal Group, 1985, 126 p. Sur la contribution d'Antoine Azar, nos articles in *an-Nahar*, 12 oct. et 15 nov. 1985.

[12]. حول نظام الاحوال الشخصية من منظور مقارن بعض مساهماتنا في مؤتمرات دولية:

Antoine Messarra, "Principe de territorialité et principe de personnalité en fédéralisme comparé », *ap*. A. Messarra, *La gouvernance d'un système consensuel* (Le Liban après les amendements constitutionnels de 1990), Beyrouth, Librairie Orientale, 2003, 600 p., pp. 67-102.

__, « Principe de territorialité et principe de personnalité en fédéralisme comparé : le cas du Liban et perspectives actuelles pour la gestion du pluralisme », *ap*. Jean-François Gaudreaut-DesBiens et Fabien Gelinas (dir.), *Le fédéralisme dans tous ses Etats,* Bruylant et éd. Yvon Blais, Forum des fédérations, 2005, 474 p., pp. 227-260.

__, « Principe de personnalité et principe de territorialité en fédéralisme comparé. Expérience du Liban et perspectives pour demain au Proche-Orient », *ap*. Thomas Fleiner (ed.), *Federalism : A Tool for Conflict Management in Multicultural Societies with Regard to the Conflicts in the Near East*, Institute of Federalism, Fribourg-Switzerland, 2008, 282 p., pp. 39-58; et version modifiée *ap*. Thomas Fleiner (dir.), *Fédéralisme et décentralisation*, Editions universitaires Fribourg-Suisse, Institut du fédéralisme, 1987, 488 p., pp. 447-480.

4. أطُر **لامركزية ادارية** فاعلة في سبيل تسريع عملية التقرير التي قد تتعطل بسبب تجميع القضايا داخل السلطة المركزية وادخال هذه القضايا في صراع على النفوذ.

5. ثقافة **المجال العام** العابر للطوائف transcommunautaire للحؤول دون الانغلاق.

ماذا فعل العرب بعد العهود التي سُميت تحررًا بتراثهم الدستوري في التعددية الحقوقية pluralism juridique طيلة اكثر من اربعة قرون ومنذ نشأة الإسلام؟ تَخَلُّوا بالمطلق عن بعض تنظيمات الماضي بدون السعي الى عصرنة هذه التنظيمات. واعتمدوا سياقات ايديولوجية في التحديث بدون استيعاب موجباته. انه مأزق بعض الفكر العربي وبعض الفكر التوحيدي العربي. من المعروف في علم النفس ان الضحية تنحو الى تقليد الجلاد. ان الصهيونية في الموضوع الذي يُهمُّنا هي التي ادخلت على المنطقة العربية والشرق الاوسط عامة مفهومًا انفجاريًا في **الترادف بين هوية دينية ومساحة جغرافية.** يناقض التراث الدستوري العربي هذا المنحى.

أوجد النظام اللبناني، من حيث المبدأ وسيلة عملية خلال الانتداب الفرنسي لتطبيق فدرالية شخصية مُنفتحة او غير مُغلقة عندما لحظ، بموجب القرار 60 ل.ر في 13 آذار 1936، انشاء طائفة الحق العام التي لا تعرف التشريعات العثمانية وجودها[13]. فالذين لا ينتمون الى طائفة، أو الذين يرغبون في التخلي عن انتمائهم الأصلي بالولادة، يُمكنهم الانضمام الى مجموعة الحق العام التي هي طائفة غير مذهبية.

ان واقع لبنان، من خلال تنظيم او تنظيمات مسلحة ومن خلال الاستيلاء على دور الدولة في جزر مذهبية تستفيد من خدمات مُمولة خارج مسار السلطة المركزية، يُنشئ حالة تقسيمية تخرق مرتكزات الميثاق اللبناني ووثيقة الطائف بشكل خاص.

---

[13]. حول التشريعات العثمانية:

Georges Young, *Corps de droit ottoman*, Oxford, Clarendon Press, 1905, 7 vol., notamment vol. 2, pp. 7-10, 67-109, 148-155.

Benjamin Braude, Bernard Lewis (ed.), *Christians and Jews in the Ottoman Empire* (The Functioning of a Plural Society), Holmes and Meier Publ. Inc., 2 vol., 1982.

Coll., *Minorités et nationalités dans l'Empire ottoman après 1516*, Beyrouth, Publications de l'Association des historiens libanais, Librairie Le Point, 2001 (en arabe, français et anglais), 708 p.

G. Noradounghian, *Recueil d'actes internationaux de l'Empire ottoman*, Paris-Leipzig-Neuchatel, 1902, vol. III, pp. 280 sq. Cf. également Baron I. de Testa, *Recueil des traités de la Porte ottomane,* Paris, Muzard, vol. VI, 1884, pp. 338-345.

فتح المؤتمر الرابع "لمنتدى الفدراليات" في نيودلهي سنة 2007 المجال واسعًا لبحوث تطبيقية يفتقر اليها العلم الدستوري المقارن حول مختلف اشكال ادارة التنوع الثقافي والديني وضوابطها الحقوقية في اطار الدولة المركزية والنظام العام[14].

4

الإشكالات الدستورية في إدارة التنوّع في لبنان

1. موقع رئاسة الجمهورية: خلال المداولات التي تلت الاتفاق الثلاثي في لبنان في 1985/12/18، ومشاركتي في هذا الشأن مع جهات المانية وفاتيكانية واوروبية، تَمَّ البحث في **فتح** الرئاسات (رئيس جمهورية مسيحي، ورئيس وزراء ورئيس مجلس النواب من المسلمين) في سبيل الخروج من مُعضلة تربيع الدائرة وتجنبًا لمخاطر "الترويكا" ورئاسة الجمهورية الفخرية او "رجل بعبدا"، فكانت ملاحظة لاحد السياسيين الكبار بمرارة وحكمة: "يقتلونني اذا وافقت"! يعبّر هذا القول عن مدى الجمود في الاوضاع السائدة. يقول بشاره منسى الذي شارك في اجتماعات الطائف – واشاطره تمامًا القول – ان الرئيس حسين الحسيني هو الذي "أنقذ الموقف" من خلال المادة 49 الجديدة من الدستور. ويقول ادمون رزق الذي شارك في اجتماعات الطائف ان هذا المضمون لم يُدرِك الباحثون أبعاده تمامًا في سبيل تحرير رئاسة الجمهورية من مواقع النفوذ والحصص ويقول انه لو تم شرح هذه الابعاد، كما هو وارد في هذه الدراسة، لرفض البعض هذا الدور لرئيس الجمهورية[15]. ولادمون رزق الفضل في ادخال التزام لبنان المواثيق الدولية لحقوق الانسان في مقدمة الدستور المعدل،

---

[14]. Marie-Claire Foblets et al., *Cultural Diversity and the Law* (State Responses from Around the World), Bruylant et Editions Yvon Blais, 2010, 1008 p.

- Françoise Curtit et Francis Messner (éd.), *Droit des religions en France et en Europe* (Recueil de textes), Bruylant, Bruxelles, 2008, 1194 p.

- *Droit et religion*, Bruylant et Beyrouth, Cedroma, Université Saint Joseph, 2003, 586 p.

انطوان مسرّه، ربيع قيس، طوني عطالله (ادارة)، **مرصد التعددية الدينية في لبنان والمجتمعات العربية**، وقائع الندوة التي عقدت في اطار "الماستر في العلاقات الاسلامية والمسيحية" بالتعاون مع مؤسسة كونراد اديناور KAS ومؤسسة جورج افرام، كلية العلوم الدينية، جامعة القديس يوسف، 2010، 288 ص.

[15]. خلال ندوة اللقاء اللبناني للحوار، مركز التنمية والحوار، مجدليون-صيدا، 2006/5/27 ويراجع: ادمون رزق، **شهادة ومواقف**، بيروت، لقاء الوثيقة والدستور، 2004، 304 ص.

Lara Karam Boustany, « Un président pour quoi faire? », *Travaux et jour*, no 89, 2015, pp. 5-19.

بالرغم من استخفاف البعض وممانعة البعض الآخر، لان هذه المقدمة هي جزء اساسي في سياق السلطة الناظمة للمعايير.

"السهر على الدستور" تجردًا حقوقيًّا وتعاليًا على المنازعات والسجالات الشخصية.

أعيدَ الى الموارنة سياسيًّا ودستوريًّا الدور في الدفاع عن الدستور والكيان ووحدة الوطن وقيم لبنان التأسيسية، فهل يُدركون، ونُدرك جميعًا، موجبات هذا التوجه؟ لقد قبل البطريرك صفير وثيقة الوفاق الوطني "شرط ان يصار الى تطبيقها بنزاهة وعدالة وفق روحها ونصها"، وشرط اخراج الرئاسة الاولى عن "أزِيِّة المُسترئِسين" في زمن حيث الرئاسة الاولى "تبلغ هذا المبلغ من الضعف والوهن" وحيث اللبنانيون "بدأوا يعتادون العيش بدونها وبدون من يتولاها"[16].

وهناك اشكاليات اخرى في نظام برلماني تعددي power sharing بشأن رئاسة الحكومة، وبخاصة رئاسة المجلس النيابي، حفاظًا على مبدأ حدود السلطات والفصل بينها.

ويقتضي تجنب عبارة ديمقراطية اكثرية démocratie majoritaire، حيث ان التصويت وقاعدة الاكثرية هما عالميتان، لاسباب عملانية، لكن انماط تطبيق قاعدة الاكثرية تختلف بين الانظمة البرلمانية أو الرئاسية المحض تنافسية. اما الانظمة البرلمانية التعددية فهي تدمج سياقات تعاونية coopératifs وتنافسية compétitifs في آن[17].

2. سياق التقرير حسب المادة 65 من الدستور: للباحث الذي تابع الاعمال المتعلقة بالانظمة البرلمانية التعددية والاعمال التحضيرية لوثيقة الوفاق الوطني–الطائف تاريخ 1989/11/5 والتعديلات الدستورية تاريخ 1990/9/21، المادة 65 من الدستور اللبناني هي إبداع في المخيلة الدستورية في ميزان متعدد من 18 طائفة معترف بها. تنص المادة 65:

> **المادة 65**– تصبح كما يأتي (بموجب القانون الدستوري رقم 18–90/9/21):
> (...)

[16]. عباس الحلبي، "البطريرك صفير شيخ عقل اللبنانيين"، **النهار**، 2006/5/6.

[17]. Antoine Messarra, *Les systèmes consensuels de gouvernement (Documentation fondamentale*, 1969-1986), Beyrouth, Fondation libanaise pour la paix civile permanente, série « Documents », no 13, 3 vol., Librairie Orientale, 2007-2008.

خالد قباني، "التنافس والمشاركة"، في: **الديمقراطية اللبنانية بين النظامين الاكثري والتوافقي**، بيروت، مركز عصام فارس للشؤون اللبنانية، 2009، 90 ص، 23–30.

5– يجتمع مجلس الوزراء دوريًا في مقر خاص ويترأس رئيس الجمهورية جلساته عندما يحضر. ويكون النصاب القانوني لانعقاده اكثرية ثلثي اعضائِه ويتخذ قراراته توافقيًا. فإذا تعذر ذلك فبالتصويت، ويتخذ قراراته بأكثرية الحضور. اما المواضيع الاساسية فإنها تحتاج الى موافقة ثلثي اعضاء الحكومة المحدد في مرسوم تشكيلها. ويعتبر مواضيع اساسية ما يأتي:

تعديل الدستور، اعلان حالة الطوارئ والغاؤها، الحرب والسلم، التعبئة العامة، الاتفاقات والمعاهدات الدولية، الموازنة العامة للدولة، الخطط الانمائية الشاملة والطويلة المدى، تعيين موظفي الفئة الاولى او ما يعادلها، اعادة النظر في التقسيم الاداري، حل مجلس النواب، قانون الانتخابات، قانون الجنسية، قوانين الاحوال الشخصية، اقالة الوزراء.

3. قاعدة الاكثرية: هذه القاعدة عالمية في كل الانظمة الدستورية بدون استثناء، ولكن ضمن حدود لاسباب عملانية في الحكمية والفعالية والتناوب alternance في الانظمة الديمقراطية[18]. **ينبع التمييز اليوم بين الانظمة الدستورية من اختلاف انماط تطبيق قاعدة الاكثرية وتطبيق مبدأ فصل السلطات، وليس نقيضًا لهذين المبدأين.**

ليس في المادة 65، وليس في المصطلحات القانونية عالميًا، لا "ثلث" ولا "تعطيل". هدفية القانون تسيير المؤسسات والمعالجة المعيارية للخلافات. ان قوننة التعطيل هو لا قانون non-droit. يوجد في القانون التجاري "حماية حقوق اقليات المساهمين". ويوجد في انظمة الشركات والجمعيات، قاعدة النصاب الذي يقتضي توفره، مع اشكاليات عديدة في تنظيمه بشكل يحقق استمرارية الشركة او الجمعية. التسمية القانونية لسياق التقرير في المادة 65 هو الاكثرية الموصوفة majorité qualifiée وهذه الاكثرية الموصوفة مطلوبة في 14 حالة مُحددة حصرًا.

4. الفيتو المتبادل: تتضمن نظرية الانظمة البرلمانية التعددية، في دمجها سياقات تعاونية وتنافسية في آن، مفهوم الفيتو المتبادل حماية لحقوق الأكثرية والأقلية. تؤدي عادة ممارسة الفيتو او حق النقض من احد الاطراف الى تفاوض وصفقة اجمالية package deal تضمن استمرارية

---

[18]. A. Messarra, « Les limites à la loi de majorité », *ap*. A. Messarra, *La gouvernance d'un système consensuel*…, *op.cit.,* pp. 36-38.

Jean-Louis Quermonne, *Les régimes politiques occidentaux*, Paris, Seuil, « Points-Politique », no 129, pp. 63-86.

Arend Lijphart, « Power-sharing versus Majority Rule : Patterns of Cabinet Formation in Twenty Democracies », *Government and Opposition*. *A Journal of Comparative Politics,* vol. 16, no 4, Autumn 1981, pp. 395-413, et *Les systèmes consensuels de gouvernement*…, *op.cit*., vol. 1, pp. 379-397.

المؤسسات. لكي يكون الفيتو **متبادلاً**، يجب ان تتوفر فيه **شروط التبادلية والمساواة والتوازن ومع حظوظ متكافئة وأن لا يكون مسلحًا**. اذا كان الفيتو مسلحًا، يحصل تفاوت في اساسه. قد تتوفر تأويلات لحالة عدم تكافئ الفيتو، ولكنه في هذا الوضع لا يُمكن ان يعتد الفريق المسلّح بمرجعية دستورية. واذا كان كل الافرقاء مسلحين، يتوفر التوازن، لكن مع مخاطر حرب اهلية او داخلية قد تؤدي الى نشوء علاقات قوة جديدة وتوازن قوى آخر.

ينشئ الفيتو المتبادل، حين تتوفر شروط تبادليته المتساوية وغير المسلحة، دينامية تفاوضية قد تؤخر مرحليًا التقرير ولكنها تؤدي الى تسوية معقولة وتبادل check and balance, bargaining مُرتبط بمعايير حقوقية. تفترض الدينامية التفاوضية حسن النية التي هي ايضًا معيار قانوني catégorie juridique [19]. وتفترض هذه الدينامية تجنب تعسف الأقلية abus de minorité. اما الاستعمال المتكرر والمنظّم لمفهوم **التعطيل** (وهو غير الفيتو)، مرفقًا بإرادة واعمال تعطيلية، فيتطلب تحليلاً خارج الدستور. ليست تاليًا معالجة ارادة شل المؤسسات دستورية، بل سياسية[20].

5. **الاكثرية في الحالة اللبنانية:** بالذات في لبنان حيث كل الطوائف بدون استثناء اقليات، من المفترض، موضوعيًّا، عدم وجود اشكالية اكثرية واقلية حسب المصطلح السياسي العام. لا يوجد في لبنان طائفة تُشكل بمفردها اكثرية او شبه اكثرية. كل اكثرية في لبنان هي بطبيعتها مُتعددة الطوائف.

6. **حكومات الائتلاف الواسع ومبدأ فصل السلطات:** اعتبر الاباء المؤسسون للدستور اللبناني، بخاصة ميشال شيحا، انه في بلد "الاقليات المتحدة"، المجلس النيابي هو المكان الدائم للحوار. وردت في الدستور اللبناني بشكل خاص تسمية السلطة التنفيذية بعبارة اكثر عملانية (الفصل الرابع) وهي "**السلطة الاجرائية**" التي تشمل رئيس الجمهورية (الباب اولاً) ورئيس مجلس الوزراء (الباب ثانيًا) ومجلس الوزراء (الباب ثالثًا). عبارة إجرائية، حسب **لسان العرب**، مشتقة من اجرى – يجري، أي نَفَّذَ، واكثر من ذلك "جعله يجري".

ووردت في صلاحيات رئيس مجلس الوزراء شؤون عملية للغاية في المادة 64 فقرة 7: "يتابع اعمال الادارات والمؤسسات العامة وينسق بين الوزراء ويعطي التوجهات العامة لضمان حسن سير العمل". وورد في الفقرة 8: "يعقد جلسات عمل مع الجهات المعنية...". وحول مجلس الوزراء

---

[19]. « Bonne foi », *ap*. Denis Alland et Stéphane Rials (dir.), *Dictionnaire de la culture juridique*, Paris, Quadrige/Lamy- PUF, 2003, 1.650 p., pp. 143-145.

[20]. اميل خوري، "قضايا تهم سوريا ترفض بتها الا بالتوافق"، **النهار**، 2009/4/23.

يذكر في المادة 65: "تناط السلطة الاجرائية بمجلس الوزراء". وترد في الفقرات التالية عبارات "اتخاذ القرارات"، "تنفيذ القوانين"، "الاشراف على اعمال"... وترد في الفقرة الرابعة مسألة "شل يد الحكومة عن العمل" كسبب لحل مجلس النواب! ما يعني ان شل عمل الحكومة – ومنها التمادي في الحوار الذي هو من صلاحيات مؤسسات اخرى – هو المبرر لحل المجلس.

في الدستور اللبناني تم تعريب عبارة "سلطة تنفيذية"، الواردة في الاعمال الاعدادية باللغة الفرنسية للدستور اللبناني، بعبارة "**سلطة اجرائية**"[21]، في حين ان القواميس القانونية تورد تنفيذية وبالمعنى الآتي: "السلطة التنفيذية Pouvoir exécutif: (دستوري) سلطة تقوم بتنفيذ القوانين ويتولى هذه السلطة رئيس الدولة او مجلس محدود العدد"[22].

ان الاجماع في القرارات هو غالبًا اما في دولة مثالية غير بشرية، واما في حالات استثنائية، واما في حالات الارغام والهيمنة. هذا ما يُفسر بعض ما جاء في المادة 65 الجديدة من الدستور. في محاضر مناقشات الدستور اللبناني في جلسة 1926/5/21 تليت المادة 64: "يتولى الوزراء ادارة مصالح الدولة، ويناط بهم تطبيق الانظمة والقوانين، كل بما يتعلق بالامور العائدة الى ادارته وبما خص به". صُدقت هذه المادة بالاجماع. اما المادة 66 حول مسؤولية الوزراء فحصل فيها نقاش حول المسؤولية الافرادية والمسؤولية الاجمالية. يُعبر هذا النقاش عن هاجس مجلس النواب في توافر تضامن وزاري، وذلك حسبما جاء في كلام النائب جميل تلحوق: "انا اطلب ان تكون المسؤولية اجمالية او على الاقل اجمالية افرادية، وذلك للتضامن بين الهيئة. اما افرادية، فكل وزير يتولى عمله وتفقد التضامن. والتضامن يدعو لفتح الاعين على الاعمال"[23].

ورد في وثيقة الوفاق الوطني حول صلاحيات الوزير: "تعزز صلاحيات الوزير بما يتفق مع السياسة العامة للحكومة ومع مبدأ المسؤولية الجماعية ولا يُقال من منصبه الا بقرار من مجلس الوزراء، او بنزع الثقة منه افراديًا في مجلس النواب". واثارت المادة 65 الجديدة، خلال مناقشة التعديلات الدستورية استنادًا الى وثيقة الطائف في جلسة 1990/8/21، حول الاكثرية المطلوبة

---

[21]. Claude Doumit Serhal et Michèle Hélou Nahas (dir.), *Michel Chiha : 1891-1954*, Beyrouth, Fondation Michel Chiha, 2001, 370 p., pp. 142-143.

[22]. Ibrahim Najjar, Ahmed Zaki Badaoui, Youssef Chellalah (dir.), *Dictionnaire juridique français-arabe*, Beyrouth, Librairie du Liban, 1983, p. 131, et nouvelle éd.

[23]. احمد زين، **محاضر مناقشات الدستور اللبناني وتعديلاته، 1926–1990**، بيروت، مجلس النواب، 1993، 528 ص، ص 61.

Antoine Messarra, « Le principe majoritaire et ses variantes : Les cabinets de large coalition dans les systèmes consensuels de gouvernement : Le cas du Liban », *Travaux et jours*, no 78, automne 2006 – printemps 2007, pp. 27-39, 30.

للقرارات المهمة تعليقات، لا لناحية نقض مبدأ التصويت الاكثري، بل لتصويب تطبيقه، بخاصة من خلال مداخلتَيّ مخايل الضاهر وبطرس حرب لجهة اضافة عبارة: "الى موافقة ثلثي عدد اعضاء الحكومة المحدد في مرسوم تشكيلها"[24].

في الفكر الدستوري للرواد المؤسسين، وابرزهم ميشال شيحا، مجلس النواب – وليس الحكومة – هو مجال "التقاء طوائف مشاركة"، أي المكان الدائم للحوار في تمثيله الجغرافي والطائفي، ومجلس النواب هو الذي يمنح الثقة وينزعها عن الحكومة التي هي مؤسسة تنفيذية – اجرائية. يقول ميشال شيحا:

"يقتضي البحث عن التوازن في التمثيل الوطني في مجلس النواب. اما في المجالات الاخرى الا يقتضي العدول عن المواقف المسبقة وتوفير مرونة اكبر لهذه الآلية؟"[25]

يهدف استعمال عبارة "اجرائية" في الدستور اللبناني بشأن الحكومة الى التشديد على الدور التمثيلي لمجلس النواب، تجنبًا للاستيلاء على الدور الوفاقي للمجلس، وتجنبًا لتحول الحكومات الى مواقع نفوذ واثبات مواقع (كما حصل منذ الحروب والاحتلالات منذ 1975)، بدلاً من ان تكون الحكومة سلطة اجرائية لتسيير شؤون المواطنين ولاثبات فاعلية الحكم وتجسيد شرعية السلطة وتضامنها ووحدتها وصدقيتها، بخاصة في الشؤون السيادية وفي العلاقات الدولية والخارجية.

لماذا تُستعمل عبارة سلطة تنفيذية في الدساتير العربية كافة، في حين تستعمل عبارة "**اجرائية**" في الدستور اللبناني بالذات؟ سبب ذلك انه في النظام اللبناني تتعدد مواقع التقرير، كما في الانماط التي تسمى بوليارشية[26] polyarchie. فانتقال السياقات التفاوضية الى الحكومة هو تعطيل لمفهوم الحكم وشلل للمؤسسات كافة.

يندرج مفهوم "**الاجرائية**" في وصف السلطة التنفيذية في لبنان في الفلسفة الدستورية العامة للنظام البرلماني التعددي. في النظرية العامة لهذه الانظمة وفي النظام اللبناني بالذات تستعمل في الدساتير العربية كافة عبارة سلطة تنفيذية، في دستور الاردن (الفصل 4)، والبحرين (الباب 4)،

---

[24]. **محاضر مناقشات**...، ص 369-370.

[25]. Michel Chiha, *Politique intérieure,* Beyrouth, Trident, 1964, 320 p., pp. 135 et 79-80.

[26]. François Bourricaud, *Esquisse d'une théorie de l'autorité*, Paris, Plon, 1961, 422 p., pp. 319-351.

Jean-Claude Douence, « Régime libanais et polyarchie », conférence à l'Association libanaise des sciences politiques, 16/6/1971, 27 p.

ومحاضرة رمزي جريج، "آلية عمل مجلس الوزراء في النص والممارسة منذ اتفاق الطائف"، في اطار سلسلة محاضرات كرسي رياض الصلح الجامعي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة القديس يوسف، 2016/12/15.

وتونس (الفصل 3)، والجزائر (الفصل 6)، والسعودية (الباب 6)، والسودان (الفصل 2)، وسوريا (الفصل 2)، وعمان (المادة 44)، وقطر (الفصل 4)، والكويت (الفصل 4)، ومصر (الفصل 3)، وموريتانيا (الباب2)، واليمن (فصل 2). اما في دستور المغرب فتستعمل عبارة "السلطة التنظيمية" (الفصل 63)[27].

واشتقاق كلمتي "وزارة" و"وزير" من الاصل اللاتيني ministerium/minister هو اكثر انطباقًا على المنحى العملي والتنظيمي والتطبيقي، وهما تعنيان اداء مهمة وخدمة وليس احتكار قوة ونفوذ. وامكان تأليف حكومات من خارج مجلس النواب، استنادًا الى اقتراح النائب نعمة الله ابي نصر[28]، او ما يسمى بعض الاحيان من التكنوقراط هو الدليل على المهمة الاجرائية للحكومات، خلافًا لمهمة التمثيل الشعبي الذي يمارسه اساسًا مجلس النواب وتكون تاليًا الحكومة نسبيًا في معزل عن الصراع على مواقع.

تخضع الحكومات الائتلافية لقواعد حقوقية. ولا تضم **حكومات ائتلاف الطوائف** كل الاقطاب والاضداد، وذلك ضمانًا لاربع قواعد ملازمة لمبدأ فصل السلطات:

– الحد الضروري والمعقول من **التضامن الوزاري**.

– توفر **معارضة** خارج الحكم لا يُعطل دورها بسب تحول الحكومة الى مجلس نواب مُصغر parlement en miniature يضم كل توجهات المجلس وتناقضاته.

– **فاعلية الحكم** أي قدرته على تحقيق اعمال اجرائية وتنفيذ قرارات.

– **مسؤولية** الحكومة امام المجلس في نظام برلماني وهذه المسؤولية لا يمكن ممارستها اذا كانت الحكومة مجلسًا نيابيًّا مصغرًا واذا كانت الحكومة تفتقر الى تضامن وزاري يشل تطبيق التزاماتها في بيانها الوزاري الذي نالت على اساسه ثقة المجلس.

المادة 65 من الدستور اللبناني المعدل، التي هي ثمرة مخيلة دستورية رائدة، "لم تقرأ ولم تفهم جيدًا"، كمجمل وثيقة الوفاق الوطني حسب قول الرئيس حسين الحسيني[29].

لكن قاعدة الاكثرية وفلسفتها واشكال تطبيقها وشروط ديموقراطيتها هي الاكثر التباسًا في الثقافة السياسية والممارسة في لبنان. **ولم تَسْعَ جديًّا كليات حقوق في لبنان لشرح فلسفتها**

---

[27]. Eric Canal-Forgues, *Les Constitutions des pays arabes*, Beyrouth - Cedroma, et Bruxelles- Bruylant, 2000, 312 + 516 p.

[28]. **النهار**، 2005/2/5.

[29]. حسين الحسيني خلال الندوة ال 14 التي نظمها المؤلف في اطار برنامج: "مرصد الديمقراطية في لبنان"، مؤسسة جوزف ولور مغيزل بالتعاون مع الاتحاد الاوروبي، 2002/11/29.

ومندرجاتها وتطبيقاتها بالرغم من غنى التجربة التاريخية، لبنانيًا وعلى المستوى المقارن. في قانون الشركات التجارية، يرد مفهوم حماية اقليات المساهمين. يقول ايف اويو Yves Ouyou:

"يجب ان لا تؤدي حماية اقليات المساهمين الى شل الشركة، وهذا ما قد يحصل اذا تم نقض كل قرار لا يعجب الاقليات او عجزت الشركة عن تنفيذه الا متأخرة"[30].

ومن البراهين على الطابع الديمقراطي العام لقاعدة الاكثرية في النظام البرلماني التعددي اللبناني انتخاب سليمان فرنجيه رئيسًا للجمهورية بفارق صوت واحد، وكذلك سعي الرئيس بشير الجميل لاستقطاب اصوات نواب مسيحيين ومسلمين، أي اعتماد اكثرية مزدوجة majorité double لانتخابه رئيسًا للجمهورية. وكذلك الثنائية بين "الحلف" (31 مسيحيين و12 مسلمين) "والنهج" (18 مسيحيين و31 مسلمين) في 1966–1971[31]. آن الاوان، حسب العديد من المحللين، لتطبيق قواعد اللعبة السياسية، فلا تكون جلسات مجلس الوزراء "حفلة ملاكمة سياسية وسرابًا في صحراء ممتدة"، حسب مقال راجح الخوري بعنوان معبّر: "صوتوا"[32].

يقول جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau:

« Il n'y a qu'une seule loi qui, par sa nature, exige un consentement unanime, c'est le pacte social… Si donc, lors du pacte social, il s'y trouve des opposants, leur opposition n'invalide pas le contrat, elle empêche seulement qu'ils n'y soient compris… On me demande comment un homme peut être libre et forcé de se conformer à des volontés qui ne sont pas les siennes. Comment les opposants sont-ils libres, et soumis à des lois auxquelles ils n'ont pas consenti ? Je réponds que la question est mal posé.

« Quand donc l'avis contraire au mien l'emporte, cela ne prouve autre chose sinon que je m'étais trompé[33]. »

François Dagognet écrit :

« La démocratie réelle consiste à reconnaître l'intelligence et même la clairvoyance au plus grand nombre ; le singulier ou un particulier ne saurait sous-entendre que la plupart s'égarent, alors qu'un seul ou quelques-uns éviteraient le glissement[34]. »

---

30. Yves Ouyou, *Droit des affaires*, Paris, Economica, T.1: *Droit commercial général et sociétés*, 4e éd., 1985, pp. 440-455.

31. Antoine Messarra, *La structure sociale du Parlement libanais* (1920-1976), Beyrouth, Institut des sciences sociales, UL, 1977, 382 p., ch. 4 : « La sociologie des alliances : Nahj et Helf », pp. 83-102.

32. راجح خوري، "صوتوا"، **النهار**، 2005/8/25.

33. Jean-Jacques Rousseau, *Du contrat social*, Livre IV, Chap. II.

34. François Dagognet, *Une nouvelle morale* (Travail, Famille, Nation), Institut Synthélabo, 1998, 226 p., p. 205.

قاعدة الاكثرية هي قاعدة ديمقراطية عامة مع نسبية في اشكال تطبيقها. في حال ادراك فلسفتها والعمل على حسن التطبيق والفاعلية[35]، يمكن عندئذ التوفيق والدمج بين سياقات تنافسية وتعاونية في آن. تندرج المادة 65 في هذا السياق. يقول ارنت ليبهارت Arend Lijphart:

"نوقشت فكرة الإئتلاف الواسع بتعابير عامة بدون التدقيق في شكلها المؤسسي الصحيح"[36].

تفترض الانظمة البرلمانية المركبة الفصل بين النيابة والوزارة، حسب اقتراح النائب نعمة الله ابي نصر[37]، بشكل تكون فيه الحكومة "اجرائية"، ويدور النقاش الديمقراطي العام في مواقع اخرى.

ابرز امراض الانظمة البرلمانية التعددية:

– ضعف او غياب **معارضة** فاعلة.

حول إشكالية تعسف الأقلية abus de minorité ، مقابلة مع Fady Noun في *L'Orient-Le Jour*، 2015/7/10.

[35]. Jurg Steiner, "The principles of majority and proportionality", *British Journal of Political Science*, vol.1, 1970, pp. 63-70.

[36]. Arend Lijphart, *Democracy in Plural Societies. A Comparative Exploration,* New Haven and London, Yale University Press, 1977, 248 p.

وتعريب افلين ابو متري مسرّه، **الديمقراطية في المجتمع المتعدد، دراسة مقارنة**، بيروت، المكتبة الشرقية، 1984.

[37]. حول الحكومات في لبنان:

« Paradigme de l'étude du pouvoir exécutif », dans notre ouvrage : *Le modèle politique libanais et sa survie* (Essai sur la classification et l'aménagement d'un système consociatif), Beyrouth, Publications de l'Université Libanaise, 1983, 536 p., pp. 355-407.

احمد زين، "قراءة في واقع الحكومات والوزراء من رياض الصلح حتى رفيق الحريري"، **السفير**، 1996/10/29

وفي كتاب: خليل هندي وانطوان ناشف، **الدستور اللبناني قبل الطائف وبعده**، بيروت، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2000، 768 ص، 735–747.

نقولا ناصيف، "تشكيل الحكومات في لبنان"، مداخلة في مؤتمر جامعة البلمند، قسم العلوم السياسية، 2009/5/7.

حول مراجع الانظمة البرلمانية التعددية:

A. Messarra, *La gouvernance d'un système consensuel…, op.cit.*, pp. 61-66, et : *Les systèmes consensuels…, op. cit.,* 3 vol., 2007-2008.

- البطء في **التقرير**.
- التطبيق الموحش لقاعدة **الكوتا** او التمييز الايجابي.
- ضعف او استضعاف سلطة **الدولة**.
- **اختراق** التدخلات الخارجية.
- **التبنين** الطائفي pillarisation مع دكتاتورية نخبة قممية او اقطاب او **دكتاتورية اقلية**.

الانظمة البرلمانية التعددية هي تصنيف معاصر للانظمة السياسية. غالبية علماء الدستور والسياسة الذين كانوا يدرسون هذه البلدان، كانوا يعتبرون القضايا المتعلقة بقاعدة الكوتا والمشاركة او ضمان الحقوق لبعض المجموعات في شؤون ثقافية، قضايا "خاصة" ويجهلون دراستها. لبنان هو – على الاطلاق – اغنى النماذج لبناء النظرية واستكمالها والبحث في اشكال تطويرها. هناك ظروف مؤاتية واخرى غير مؤاتية، لها تأثيرها على فعالية الانظمة البرلمانية التعددية. نجد في لبنان العديد من الظروف المؤاتية لفعالية هذه الانظمة، اولها ان كافة المجموعات هي اقليات.

هناك **ثلاث حالات** لهذه الانظمة:
- حالة حيث توجد مجموعة اكثرية (كما في قبرص).
- حالة حيث توجد مجموعة قريبة من الاكثرية (كما في بلجيكا).
- حالة حيث كل الطوائف اقليات (كما في لبنان).

الميثاق في اللغة العربية هو ابعد من العقد. انه "عهد ووثاق" حسب دراسة لسامي مكارم. الحاجة الى احترام المواثيق وعدم التصرف كزوجين يعيدان النظر يوميًا في تعهدهما وليس بمجرد التداول حول ميزانية العائلة وتربية الأولاد واثاث المنزل... لذلك يصف ادمون رباط المواثيق "بالتعهدات الوطنية".

مضمون الميثاق اللبناني ثلاثة مبادئ: يُستخلص من ضخامة الوثائق التاريخية حول الميثاق اللبناني، بخاصة منذ بيان أبرز مهندسيه وهو كاظم الصلح في وثيقته: "بين الاتصال والانفصال" سنة 1936 ثلاثة مضامين مترابطة ومتكاملة.

المبدأ الأول: وطن مشترك إسلامي مسيحي او "ميثاق العيش المشترك" (مقدمة الدستور): تتناقض الميثاقية مع ثلاثة طروحات ماضية او خلال سنوات الحروب (1975 – 1990): الفدرالية الجغرافية، التقسيم، مختلف اشكال الفرز السكاني والمناطقي في مجتمع حيث "الطوائف متوازنة في العدد ومتوزعة في المناطق"، "حسب تعبير لتقي الدين الصلح. يندرج التلاعب في نقل النفوس في اللوائح الانتخابية، ومنح الجنسية بدون ضوابط، وشراء الأراضي بهدف تغيير

تنوع التراث السكاني والجغرافي، في عملية فرز او هندسة سكانية سلبية النتائج على الميثاق اللبناني. وتندرج في سياق الميثاق متابعة الجهود في سبيل عودة المهجرين خلال حروب 1975–1990 الى ديارهم.

من الأسس الدستورية والرمزية للميثاق اللبناني العرف المتبع في المواقع الثلاثة العليا في الدولة. بالتالي، كما يقول الوزير السابق والنائب روبير غانم، فان "تعطيل انتخاب رئيس للجمهورية قصدًا، بحجة تأمين مصلحة المسيحيين، وهو يجسّد الميثاقية في اعلى الهرم" خرق للميثاقية (**النهار**، 2016/9/24).

المبدأ الثاني: ضمانات حقوقية لكل الطوائف: تشمل هذه الضمانات الحريات الدينية والثقافية والمشاركة. ترد هذه الضمانات في ثوابت الدستور اللبناني، باستمرراية منذ المماليك، وبوضوح اكبر في الدستور اللبناني المعدل. تشمل هذه الضمانات الحقوقية ثلاث قضايا: **التمييز الإيجابي** discrimination positive او قاعدة الكوتا (المادة 95)، **والإدارة الذاتية** autonomie personnelle ou fédéralisme personnel على أساس شخصي في الأحوال الشخصية والتعليم (المادة 10)، وايضًا **المشاركة** من خلال المناصفة والأكثرية الموصوفة وتأليف الحكومات (المادتان 65 و95).

لا معالجة لهذه القضايا من منطلق "حقوق مسيحيين" "وحقوق مسلمين" للأسباب الحقوقية التالية:

1. **التمييز الايجابي:** منذ السبعينيات تطورت الأبحاث حول قاعدة التمييز الإيجابي. الحاجة الى التقيد بمعايير والعمل على تطبيق هذه المعايير في الممارسة ولصالح كل المواطنين تحقيقًا للمشاركة وللمصلحة العامة في آن.

ان اعتماد مبدا **المناصفة** هو ثمره اختبار ومُداولات، وبخاصة بيان الاجتماع الإسلامي الذي دعا اليه الرئيس صائب سلام حيث جاء في البيان: "لبنان لا يساس بحكم الأرقام ولا يستقيم امره وتبنى حياته الوطنية الا بروح القناعة المشتركة" (**النهار**، 1982/8/19).

وتندرج المناصفة في اطار الهيئة الانتخابية الموحدة Collège électoral unique أي بدون فرز طائفي وحيث ناخبون من طوائف مختلفة ينتخبون مرشحين من طوائف مختلفة. يعني المبدأ تجنب الفرز المتعمد والمخطط في السياق الانتخابي.

2. **الحكومة في لبنان سلطة "إجرائية"**: المجلس النيابي في كتابات الإباء المؤسسين للدستور اللبناني بخاصة كتابات ميشال شيحا وفي مجتمع مؤلف من 18 طائفة هو **مكان الحوار الدائم**. اما الحكومة في لبنان فوردت تسميتها قصدًا في الدستور اللبناني بالسلطة "الإجرائية" exécutoire (الفصل الرابع)، أي، حسب **لسان العرب**: "تجعل الأمور تجري".

من الطبيعي في كل الأنظمة تأليف حكومات انقاذ او اتحاد وطني في حالات حصرية. لكن عندما تصبح الحكومة اطارًا **تمثيليًا لكل القوى السياسية وبرلمانًا مصغرًا** miniparlement فينتفي تمامًا مبدأ الفصل بين السلطات وينتفي توفر معارضة وتنتفي مبادئ وممارسات المحاسبة كافة. يصبح شبه مُحتم في حكومات تضم الاضداد اجراء اتفاقات بين النخب ententes interelites أي محاصصات على حساب القانون والمصلحة العامة.

في ثقافة سائدة يخلط قانونيون بين الفدرالية الجغرافية والفدرالية الشخصية. في الفدرالية الجغرافية، كما في سويسرا او بلجيكا، يمكن ان تكون الحكومات مجلسًا ائتلافيًا بدون مخاطر الجمود لان اكثر القرارات تُتخذ في المقاطعات. اما في الفدرالية الشخصية، أي في دولة موحدة كلبنان، فتحوّل الحكومات الى ائتلافات تضم الجميع هو مأسسة للشلل.

في مسألة المشاركة، المادة 65 من الدستور هي عبقرية في المخيّلة الدستورية على المستوى المقارن! انها تتجنب تعسف الأقلية وتعسف الأكثرية abus de minorité/abus de majorité من خلال الأكثرية الموصوفة majorité qualifiée في 14 حالة محدّدة. بشكل عام ان موضوع الأكثرية والأقلية طائفيًا هو غالبًا مفتعل حيث كل الطوائف في لبنان أقليات وكل أكثرية في لبنان هي بطبيعتها متعددة الطوائف.

ما الوضع اذا امتنعت طائفة او بعض أعضائها (ولا نقول طائفة أساسية لان كل الطوائف أساسية) عن المشاركة في الحكومة فهل الحكومة تناقض "ميثاق العيش المشترك!" الجواب في السبب الثالث حول طبيعة التعددية اللبنانية.

3. **طبيعة التعددية اللبنانية:** يُعبّر مجرد طرح "حقوق مسيحيين" وحقوق "مسلمين" وحقوق "موارنة" "وشيعة"... عن التباس في طبيعة التعددية اللبنانية وعن ادراك لبنان كمجموعة قبائل مُنفصلة في حين ان التعددية اللبنانية متداخلة.

تكون التعددية قصوى pluralisme segmenté حيث يولد الانسان ويدرس ويعمل ويتزوج ويعيش... ويموت ويُدفن بين جماعته. تكون التعددية متداخلة العضويات في الحالة حيث مثلاً ماروني يسكن في جونيه، ويعمل في مصرف في الحمراء، ويتزوج من فتاة من الشوف، وهو عضو في نقابة موظفي المصارف، وعضو في حزب القوات اللبنانية، وله أملاك في الشوف والبقاع... تظهر تعددية الانتماءات هذه overlapping membership في معبر المتحف–بربير خلال سنوات الحروب (1975 –1990) في أفواج الناس بالمئات وقافلات الشاحنات التي تنتظر العبور.

ما الوضع في حال اعتكاف او استقالة أعضاء الحكومة او بعضهم من طائفة مُحددة؟ داخل كل طائفة في لبنان تعددية مُمثلين للطائفة. لا يحتكر أي سياسي تمثيل كل الطائفة. وبالأساس – اذا عدنا الى الأساس – ليست وظيفة الحكومة اللبنانية "التمثيل" بالمعنى الانتخابي

والنيابي، بل إدارة شؤون البلاد "اجرائيًا". يختلف الامر في حال "عزل" مقصود وكامل لكل اعضاء الطائفة، مما يعبّر عن ازمة بنيوية تقسيمية او إرهاب وضغط تجاه أبناء الطائفة ككل. اما ادعاء احد كبار ممثلي الطائفة باحتكار تمثيل الطائفة ككل فهو يلتقي تمامًا مع سياق العزل حيث المعزول هو ايضًا عازل لغيره! يقول الرئيس نبيه بري: "بدأت مصائب لبنان عندما اتخذ قرار العزل وقال الامام موسى الصدر انذاك لا" (افتتاح ثانوية موسى الصدر في الهرمل، **النهار**، 1994/8/22).

المبدأ الثالث: عروبة مُستقلة وتحييد: ترد دائمًا في الوثائق الميثاقية عروبة لبنان مُلتصقة ومُشترطة باستقلال لبنان وسيادته. هنا مكمن المعضلات، بخاصة خلال أزمات 1958، 1969، 1973 وحروب 1975-1990 واستمرار الانخراط في حروب إقليمية... "من اجل الاخرين" (غسان تويني). تحييد لبنان عن الصراعات الإقليمية، باستثناء ما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، وارد في كل الوثائق العربية. يوجز ذلك "اعلان بعبدا" الصادر عن طاولة الحوار في البند 12 وبالاجماع في 2016/6/11[38].

لبنان رسالة ذات معنى ويمتاز شعبه بالإبداع، إلا انه في الوقت عينه معضلة لأهله ولجيرانه وللعالم. يقول أحد الكتّاب الفرنسيين: "اذا قال لك احدهم انه فهم لبنان فذلك يعني أنهم لم يشرحوه له بوضوح". (Si quelqu'un vous dit qu'il a compris le Liban, c'est qu'on le lui a mal expliqué).

---

[38]. أنطوان مسرّه، **وجوه ميثاقية في تاريخ لبنان واللبنانيين** (1920-1943)، مجموعة وثائق، منشورات المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم وجمعية "تصالح"، سلسلة وثائق، رقم 45، طبعة ثانية مضافة، 2015، 364 ص.

___، **جذور وثيقة الوفاق الوطني الطائف (1989/10/22 و1989/11/5) والتعديل الدستوري** (1990/9/21)، بيروت، المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، سلسلة "وثائق"، طبعة ثانية مضافة، 2006، 510 ص.

A. Messarra, "Le pacte national... », *ap*. A. Messarra, *Le modèle politique libanais et sa survie*, Beyrouth, Publications de l'Université Libanaise, 1983, 530 p., pp. 33-89.

Béchara el Khoury (*Récit d'un destin national, adapté de l'arabe par Roger Geahchan*, Beyrouth, éd. L'Orient-Le Jour, 2012, 704 p.

وينسب الى الرئيس كارتر، في بداية الحروب في لبنان سنة 1978، تشبيهه لبنان بالقنفذ (hérisson) أي انه من حيث أمسكت به يُنخزك! لبنان معضلة. كيف يمكن معالجتها؟ لا أقول حلّها، ذلك ان الحلول في السياسة هي على الطريقة النازية أي الحل النهائي (solution finale).

في البحث عن المعضلة يذهب البعض الى التركيز على النصوص الدستورية، في وثيقة الوفاق الوطني–الطائف واتفاق الدوحة والصيغة والميثاق...، في حين يُعاني لبنان من معضلتين:

1. **معضلة جغرافية:** انه في جوار عدائي من جهة، وفي جوار منظومة عربية هي الجامعة العربية مُستهدفة ومُستضعفة. قد يؤمن النظام الامني العربي المشترك حماية للبنان. وشكّل نظام الجامعة العربية حماية نسبية للبنان حتى في اسوأ الحالات. المنظومة العربية الامنية متأزمة لأسباب داخلية واقليمية. نعاني تاليًا من معضلة جغرافية بسبب وجودنا في جوار جغرافي بالغ الصعوبة. عاشت سويسرا حالة مماثلة ولم تنعم بالاستقرار إلا بعد ان تحوّل جوارها ليصبح أقل عدائية واكثر ديمقراطية.

2. **معضلة سياسية:** النظام السياسي اللبناني هو شاذ في المنطقة (exception). فيه تعددية حزبية وطائفية واعلامية... بجوار انظمة عربية استبدادية أو دكتاتورية أو في طور التحول الديمقراطي. اتكلّم عن الأنظمة، وليس عن الشعوب العربية. التحوّل الديمقراطي العربي مفيد للبنان، إذ يوفر الانسجام على غرار حالة سويسرا.

لا يعاني لبنان اليوم من مشاكل جوهرية او تأسيسية في النصوص الدستورية، بل يعاني من مشاكل لا تحصى في الحكمية gouvernance. الفكر اللبناني مُبرمج غالبًا على إعادة النظر في المواثيق. الحاجة الى احترام المواثيق التي هي "تعهدات وطنية" حسب تعبير ادمون رباط.

افضل الدساتير هي أشبه بالوصفة الطبية وهي ليست الدواء. الوصفة جيدة وصائبة ومدروسة ومبنية على تشخيص، لكن الدواء هو العلاج شرط التقيد بالوصفة الطبية بانتظام وحسب التعليمات الواردة في الوصفة. ان التفكير بتعديل المواثيق والدستور والنصوص... هو غالبًا سطحي. نفاخر في التعديلات المتكررة في القوانين. ليس ذلك دليل عافية. تعديل الوصفة الطبية مرارًا مؤشر الى عدم صوابية التشخيص.

تحتاج كل معالجة بالعمق الى عمل ثقافي وتكتمل من خلال التربية. كل شيء يحتاج الى تخصيب تربوي. هناك خوف في حالة الجيل الجديد الذي وُلد بعد 1985 ولم يعش الحروب في لبنان ولم تنتقل اليه الخبرة التي عشناها. آليات نقل الخبرات في المجتمعات العربية لا تنتقل من جيل الى آخر. يفتقر اللبناني الى روح التضامن اقله تجاه العوامل السلبية وخوفًا من الخطر الخارجي.

***

يستخلص من الاختبار التاريخي في الأنظمة التعددية الشبيهة بلبنان ان هذه الأنظمة لا تستقر وتنتظم الا في حال توفر شرطين: جوار أقل عدائية وأكثر ديمقراطية،

وترسيخ ثقافة مواطنية من أبرز مكوّناتها إدراك سيادة القانون والدولة وذاكرة جماعية مشتركة ورادعة.

5

مؤتمر الجامعة الأميركية في القاهرة ومركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية

الإدارة الديمقراطية للتعددية في المجتمعات العربية

أنطوان نصري مسرّه*

يُشكل المؤتمر الذي عقدته الجامعة الأميركية في القاهرة ومركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية حول موضوع: "إدارة التعددية واشكالياتها في الشرق الأوسط "، وذلك في القاهرة في 23–2017/4/24 منهجية وانطلاقة لمسار متجدد وأصيل في سبيل صيانة التراث العربي في تعددية نسيجه الاجتماعي طيلة قرون والعمل المستقبلي لتطويره.

عقد المؤتمر بمشاركة حوالي أربعين من الخبراء والجيل الجديد من الباحثين ينتمون الى ثلاثة بلدان أجنبية (الولايات المتحدة الأميركية، بريطانيا، إيطاليا)، وستة بلدان عربية (مصر، لبنان، العراق، اليمن، تونس، المغرب) في زمن اجتاحته وتجتاح المجتمعات العربية حروب داخلية أو خارجية بالوكالة وتحوّلات ثورية ومسارات صعبة في الانتقال الديمقراطي.

في سبيل تصويب المنهجية والمقاربة تمّ التركيز على أن العصرنة ليست، كما افترضه باحثون منذ ستينيات القرن الماضي، آلة تجانسية بل على العكس يترافق التطوّر مع نمو الهويات الفردية والجماعية، وبذات الوقت تتزايد الحاجة الى التضامن. نشاهد ذلك حسيًا في العائلة حيث نمو الشخصية الفردية قد يكون عنصر تفكك للعائلة أو على العكس عنصر اغناء وتواصل. التعددية هي بالتالي اليوم واقع غير قابل للانكار حيث " 60% من الدول هي تعددية دينيًا وثقافيًا بدرجات متفاوتة والسورة 33 في القرآن واضحة منذ القدم في هذا المجال" (*بهجت قرني*، القاهرة). وبالتالي فإن الجامعة الأميركية بالقاهرة غير متطفلة في المشاركة مع المجتمع المدني في "دراسة موضوع حسّاس ويتطلب المتابعة في نتائجه" (رئيس الجامعة الأميركية في القاهرة Francis Riccardone).

---

* عضو المجلس الدستوري، لبنان.
رئيس كرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار، جامعة القديس يوسف، بيروت.

لماذا حساس؟ ما يثبت ذلك أنه منذ أكثر من عشرين سنة سعى مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية لعقد مؤتمر عن التعددية في المنطقة العربية ولم يتمكن من ذلك إلا في قبرص! ورد في المداخلة الافتتاحية: "ما لم يتحقق سنة 1994 وكان محظرًا عربيًا يتحقق اليوم لأننا نعيش حروبًا وأهوالاً لا تنتهي في قضية كنا نرفض مجرد البحث بشأنها" (سعد *الدين إبراهيم، القاهرة)*. تم تشبيه الذهنية العربية السائدة بالحالات النفسية بعد حادث وفاة "حيث يمر المتألم بخمسة مراحل: الإنكار فالرفض فالتساؤل فالاكتئاب فالتسليم بالقدر المحتوم أو... انبعاث الأمل. المشهد تراجيدي والحرائق مستعرة. عاشت أمتنا انكارًا واكتئابًا وانتظارًا... والثمن فادح: ملايين من الضحايا. السبب الأساس: غياب الحرية والذين يريدون الحرية يصمتون ونشأت مدارس في الانكار منها القومية والاشتراكية والليبرالية..." (عبد *المنعم سعيد، مصر*).

أية منهجية في البحث والعمل في مجال الإدارة الديمقراطية للتعددية الدينية والثقافية؟ يؤدي الخلط بين ثلاثة مستويات الى أخطاء في التشخيص وعدم فاعلية في المعالجة. الحاجة تاليًا الى التمييز بين ثلاثة مستويات:

– المستوى **الحقوقي** الذي يتضمن الصيغ الدستورية والقانونية لتنظيم التعددية والضمانات القضائية في كل ما يتعلق بالحريات الدينية والمساواة وعدم التمييز والمشاركة في الحياة العامة.

– المستوى **الثقافي** الذي يتضمن العلاقات بين مكونات المجتمع والثقافة والمواطنية وتقاليد التسامح والتسوية ومنظومة القيم والتراث القيمي الذي تنقله التربية ومختلف وسائل التنشئة.

– المستوى **السياسي** والذي يتضمن قواعد التنافس السياسي واستغلال نخب سياسية للتباينات الدينية والسياسية والاجتماعية أو على العكس مساهمة هذه النخب في نقل وترسيخ ثقافة العيش معًا. تكون هذه المساهمة أكثر فعالية في حال توفر مناعة لدى المجتمع بفضل ثقافة مواطنية حول الوحدة في التنوّع وذاكرة جماعية مشتركة.

تمحورت تاليًا أكثر من عشرين من المداخلات ومناقشاتها حول الأبعاد الثلاثة في التعددية الحقوقية والثقافية والسياسية.

1. **الضمانات الحقوقية:** ما هي الضمانات الدستورية والحقوقية عامة في سبيل الحريات والمساواة وعدم التمييز والمشاركة في الحياة العامة؟ التراث الدستوري العربي

والإسلامي أساسًا يعتمد مبدأ التعددية الحقوقية pluralisme juridique في بعض القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية والتعليم من خلال أنظمة الملل أو الفدرالية الشخصية. هذه الأنظمة قابلة للعصرنة في تحقيق انسجامها اليوم مع المبادئ العالمية للديمقراطية وحقوق الإنسان.

هل هذه الأنظمة رجعية؟ بالتأكيد في حال مقاربتها حسب الأطر المفهومية اليوم. على سبيل المثال المكوات في الماضي كانت تُزود بالفحم وتطورت اليوم لتصبح كهربائية مع احتفاظها بكامل وظائفها وهدفيتها. لا تبرز اليوم "خطة في سبيل الحقوق" (*يسرى الجندي وماجد عثمان، مصر*). وتم عرض بعض الحالات (*بسينه بن كريس وخديجه عرفاوي، تونس*). في ما يتعلق بالضمانات الحقوقية للأكراد "الذين يشكلون في مجموعهم حوالي 40 مليون نسمة هناك تجاهل وصمت. في حين تتألف المنظومة العالمية اليوم من أكثر من 193 دولة. أما في العراق فالحالة أفضل بكثير مما هي في بلدان أخرى" (*بختيار الأمين، العراق*). ولا يُعترف بواقع الأكراد "ويُعتبرون بالمطلق عنصر تهديد" (محمد عبد *القادر، مصر*).

أما التطوّر الدستوري في المغرب فيعتبر معياريًا في اعترافه دستوريًا بالبربر والأمازيغ (*نهى ناجي وفاطمة صدّيقي، المغرب*). هل تتطلب الضمانات الحقوقية للتعددية "تغييرًا أو اصلاحًا في الفكر الديني الإسلامي" (احمد *شعبان* محمد، *مصر*) أم بالأحرى تأصيلاً لهذا الفكر؟ يُشكل اعلان الأزهر في 2017/3/1 على أثر المؤتمر العالمي في القاهرة بمشاركة أكثر من مئتين من القيادات الدينية والمؤسسات الدينية والفكرية تأسيسًا ومدخلاً وتأصيلاً للتراث الدستوري العربي والإسلامي منذ ميثاق المدينة في إدارة التعددية.

طُرحت إشكاليات الأبحاث العالمية المقارنة منذ سبعينيات القرن الماضي حول الأنظمة التي سُميت "توافقية"، حسب اطروحتنا للدكتوراه سنة 1982 وتعريبًا لكتاب Arend Lijphart في بيروت (تعريب افلين أبو متري مسرّه، المكتبة الشرقية، 1984) لعبارات consociational democracy، proporzdemocratie، consensual systems، power sharing system. تتحوّل كل المصطلحات تقريبًا في مجتمعات عربية الى شعارات وتتلوث في التداول. أرقى المفاهيم حول الخالق والإسلام لم تنجُ من التلوث. اتخذ النظام الدستوري اللبناني أساسًا لبناء النظرية التي لا تعني اطلاقًا "تتوافق" و"ماشي الحال" في كل القضايا بدون استثناء وفي سبيل التعطيل أو ممارسة تعسف أقلية. هذه الأنظمة هي

خاضعة لكافة قواعد الأنظمة البرلمانية حسبما ورد في مقدمة الدستور اللبناني ولكن تتميّز عنها بدمج سياقات تنافسية وتعاونية في آن. لا "ديمقراطية أكثرية" ولا "ديمقراطية توافقية" ولا "ديمقراطية مشاركة"... الديمقراطية هي ديمقراطية في مبادئها عالميًا والأنظمة هي محض تنافسية أو برلمانية تعددية.

2. **المستوى الثقافي:** في هذا السياق تم توضيح أربعة شؤون أساسية:

آ. قياس التعددية: لا مُبرر لتضخيم التعددية الثقافية بالمعنى الاجتماعي في المجتمعات العربية. ورد خلال المؤتمر التمييز بين التعددية الحادة والتعددية المتفاعلة hard and soft pluralism (*بهجت قرني، مصر*). يُستخلص ذلك من دراسات قياس التعددية. التعددية حادة في بعض الحالات حيث الانسان يولد ويترعرع ويدرس ويعمل ويتزوج ويمضي حياته ويموت ويُدفن ضمن جماعته. أما التعددية المتفاعلة فهي تخضع لمفهوم العضويات المتداخلة overlapping membership حيث لبناني ماروني مثلاً مولود في جونيه ويقطن ويدرس في بيروت ثم يعمل في غرب بيروت ويتزوج من امرأة من منطقة الشوف وينضم الى حزب الكتائب وهو عضو في نقابة المهندسين ويملك قطعة أرض في البقاع...! العضويات المتداخلة تجعل الإنسان أكثر اندماجًا وتسامحًا في سبيل التوفيق بين مختلف الانتماءات.

ب. المصطلحات: من الضرورة العمل على تنقية المصطلحات التي تُستعمل غالبًا في سبيل تلوث المعايير واثارة المخاوف والمكبوتات (*فاطمة صدّيقي، المغرب*)

ج. المعرفة المتبادلة: ورد في عدة مداخلات: "لا نعرف بعضنا البعض بالرغم من التجاور (*صفيه طالب السهيل، العراق*).

د. البنيات الثقافية التحتية: العديد من المجتمعات والبيئات العربية هي قبلية: "المجتمع اليمني يُعرّف نفسه بأنه قبائل" (*خلدون بخيل، اليمن*).

يُستخلص من مقاربة الأبعاد الثقافية في المجتمعات العربية عدم توفر مُبرر للخوف من التعددية العربية بخاصة أنه لا توجد أية حركة انفصالية عربية. ويوفر المثال اللبناني، بالرغم من الصعوبات، خبرة عملية في الاندماج الطوعي في حال الاعتراف بالولاءات الأولوية وشرعنتها. في المدارس الأرمنية في لبنان منذ خمسينيات القرن الماضي

حصل تطور طوعي في امتداد تعليم اللغة العربية والتاريخ اللبناني والأدب العربي ومشاركة التلامذة في الامتحانات الرسمية الموحدة وحتى حيازة طلاب أرمن على جوائز في اللغة العربية. يتجسّد هذا المسار الاندماجي، تنوعًا في الوحدة، في اعلان بعبدا في 2012/6/11 على اثر اجتماعات قصر بعبدا ومشاركة ممثلين عن القوى السياسية كافة. لكن التغيير في المجتمعات العربية يتطلب مراجعة برامج الفلسفة والأدب والتاريخ والتعليم الديني.

3. **المستوى السياسي:** ان الاستغلال السياسي للانتماءات الأولية وإثارة المخاوف والغرائز يوجب مقاربة أسلوب العمل السياسي من قبل النخب السياسية. بعد تراجع ايديولوجيات الماضي تتحوّل اليوم الأديان الى ايديولوجيات في التعبئة السياسية من خلال تجار هيكل يقتحمون اليوم كل الهياكل. وردت عبارة "المنافقين" في القرآن أكثر من عشرين مرة. المنافقون هم على وتيرة بعض الفريسيين وأهل الناموس في الإنجيل. لماذا لم ينكب العرب على دراسة من هم المنافقون؟ على الأرجح في سبيل طمس سلطة سياسية قمعية تعمل تحت ستار الدين. جاء في احدى المداخلات: "غالبًا عندما يتلو أحد آية من القرآن تأكد أنه يتحدث في السياسة ويستخدم الدين. أين الشيعة اليمنيين؟ لا يوجد" (*خلدون بخيل، اليمن*).

وتمّ التركيز على "محاولة تديين الصراعات" (*محمد ناجي، مصر*). في أنظمة أخرى تنامت دبلوماسية الابتزاز و"انتشار الشبيّحة وادعاء حماية التعددية ويتزامن ذلك مع فوضى النظام العالمي وتراجع سلطة الدول" (Marina Calculli، إيطاليا). ويندرج في سياق أدلجة الأديان "تعبئة سياسية للشيعة واصطناع قومية عدائية" (*كريم ابديان*، بريطانيا).

يتراجع الاستغلال السياسي للدين وللتباينات في المجتمعات في حال توفر منظومة حقوقية توفر الأمان النفسي والضمانات الحقوقية (*مصطفى حاتم، مصر*).

***

بالإضافة الى عرض معطيات إحصائية وتوثيقية حول موضوع المؤتمر (*كريم الباز، مصر*)، يندرج مؤتمر القاهرة في سياق المعالجات بالعمق لواقع المجتمعات العربية اليوم وبخاصة "نحو اعتماد المنهجية الطبّية وتنقية المفاهيم. التعددية ليست مجرد مسألة جوهرية بل القضية الأولى في الشرق الأوسط الذي يضم فقط 5% من سكان العالم ولكنه

يشمل أكثر من 21% من صراعات العالم وتهدده مخاطر الصوملة "Somalisation" (*بهجت قرني، مصر*).

لكن التشاؤم الشامل في المنطقة العربية مبالغ فيه: "الربيع العربي ربيع حقيقي بالرغم من كل ما أصابه لأنه كسر جدار الخوف. والحاجة الى تحويل هذا المؤتمر الى تقليد سنوي في سبيل المتابعة والاستشراف" (*سعد الدين إبراهيم، مصر*). اما الحالة اللبنانية فتتطلب هي ايضًا درجة عالية من الحكمة في التشخيص والمعالجة لان "لبنان كان جزءًا من الصراع العربي" (*عبد المنعم سعيد، مصر*).

6

المنتدى العالمي الرابع للحوار بين الثقافات– باكو (أذربيجان)

طوني جورج عطاالله

ركز المنتدى العالمي الرابع للحوار بين الثقافات الذي عُقد في باكو عاصمة أذربيجان ما بين 4 و6 أيار 2017 على مواضيع ساخنة تهدد الاستقرار في العالم. وانطلق من رؤية للأونيسكو والعالم مفادها ان "كل الثقافات هي مختلفة، لكن الإنسانية هي واحدة". انعقد المنتدى تحت عنوان: "تنمية الحوار ما بين الثقافات: فرص جديدة للأمن الإنساني والسلام والتنمية المستدامة"، وذلك بالشراكة ما بين الأونيسكو وحكومة أذربيجان، ووزارة الثقافة والسياحة فيها، و"تحالف الحضارات"، المنظمة العالمية للسياحة التابعة للأمم المتحدة، منظمة التغذية والزراعة العالمية (الفاو)، مجلس أوروبا، الإيسسكو، بالإضافة إلى وكالات أخرى.

نُظمت في إطار المنتدى حوالى 40 نشاطًا توزع بين جلسات العمل والفعاليات المواكبة. وشارك أكثر من 800 شخصية جاؤوا من 120 بلدًا بينهم ممثلون عن 39 منظمة دولية، وأكثر من 50 منظمة غير حكومية، وموظفون حكوميون كبار، ورؤساء دول ومجالس نواب، وأكثر من 30 وزيرًا، وسفراء، مثقفون... والخلاصة الأولى ان منتدى باكو الذي انطلق عام 2008، توسع مساره جغرافيًا ليشمل دولاً جديدة تشارك للمرة الأولى.

هدف المنتدى إلى تشجيع وتوفير مزيد من الفهم المتبادل للحوار بين الثقافات. وانعقد برعاية رئيس جمهورية أذربيجان الهام علياف، وعلى جدول الأعمال عناوين أساسية: دور الإيمان، الأديان، الهجرة، الأمن الإنساني، الرياضة، التربية والتعليم، الفن، التنمية المستدامة، الوقاية من التطرف والعنف، إعادة بناء الثقة، التعاون بين الثقافات والحضارات. واستأثرت موضوعات الارهاب وسبل الوقاية لتجنيب الشباب الانزلاق نحو موجات العنف والراديكالية، بالإضافة إلى الوسائل التربوية الناجعة. وكان تركيز على دور المرأة ورجال الدين والمدرسة ووسائل التواصل الاجتماعي الحديثة. هذه المواضيع هي على درجة عالية

من الأهمية، وتسمح بتنمية التعاون الدولي بشأنها، وتجديد الإلتزام بالعمل على معالجتها، خاصةً وان الحوار ما بين الثقافات وما بين الأديان يرتدي أهمية متزايدة في عالم اليوم.

انطلق المشاركون من التشديد على ان مرتكزات السلام ثلاثة: الأمن البشري، حقوق الإنسان، والتنمية. وسرعان ما برزت من خلال المواضيع التي عالجها المنتدى أربع أولويات لكبح التهديدات التي يتعرّض لها السلام على المستوى العالمي. فما العمل إذًا لبلورة رؤيا جديدة ومستقبلية؟ توزعت الأولويات حول المحاور التالية:

1. اعتماد الواقعية والعملانية: بعيدًا عن التنظير الإيديولوجي والدراسات التي لا تبحث عن نتائج، بل عن تأكيد أحكام مسبقة هي خاطئة بطبيعتها منهجيًا وعلميًا وعملانيًا. ليس صحيحًا ان تجنيد متطرفين يتم كلّه عبر الانترنيت. كما ان العديد من الارهابيين لم يكونوا من عائلات فقيرة، بل ميسورة. بدت النقاشات على درجة من الأهمية، وذلك من أجل وضع الأفكار حيز التنفيذ الفعلي، وتحقيقًا للشراكة بين الأطراف الفاعلة. تكمن أهمية الشراكات أنها تساهم في توحيد طريقة العمل كي يتمكن العالم من مواجهة مختلف التحديات، من الارهاب إلى الأمن إلى الهجرة غير الشرعية... لاسيما ان العولمة تسمح للأشخاص التنقل بحرية أكبر. تكمن الحاجة في رفع درجة الوعي لأن التطرف والعنف يمسان بالقيم الإنسانية.

تعتمد المعالجة منحى تفاؤليًا، لكن بواقعية: التفاؤل لأن الأمم المتحدة مهتمة، وقد وضعت يدها على موضوع التطرف، وصدرت بشأنه قرارات دولية أخذت مسارًا ثابتًا ومستقرًا. وأما الواقعية، فتقضي بتشجيع الأمم المتحدة على التدخل في اللحظة الحاسمة. ثمة لحظة مثالية للتدخل كما في حالة شخص يعاني أزمة قلبية. لم يلقى التهديد بتفجير معبذ بوذا في أفغانستان تدخل الأمم المتحدة في اللحظة المناسبة، مما أدى إلى القضاء على أحد المعالم الإنسانية الأثرية. ينبغي وضع اللحظة المناسبة بين الأولويات الأممية (زلماي خليل زاد).

2. التخصيب التربوي: إن برامج التعليم لاسيما التعليم الديني هي وسائل لتطبيق تدابير ملائمة للتسامح. ذُكر ان أحد التحقيقات عن الشرق الأوسط أظهر ان الأشخاص الذين عادوا إلى بلدانهم بعد مشاركتهم في أعمال العنف بأن 5 % منهم فقط أعلنوا ان الدين

هو السبب وراء مشاركتهم في أعمال عدائية. ثقافة السلام تحتاج إلى تثقيف النشء وتربيته على السلام، وتساهم في تمكين الشباب والتلامذة على الوقاية من العنف والتطرف بواسطة التعليم.

وعقدت جلسة حول "تمكين الشباب للوقاية من التطرف والعنف بواسطة التعليم"، عرضت فيها تجارب لبنان ومصر والعراق. أدارت النقاش الدكتورة ميسون شهاب (الأونيسكو – بيروت)، وشارك فيها مدير عام وزارة التربية والتعليم العالي في لبنان فادي يرق الذي شرح استراتيجية الوزارة في توفير فرص التعليم بمساواة وعدم تمييز. وركز على إعلاء شأن قيم حقوق الإنسان، متناولاً الأعباء التي يتحملها لبنان في المجال التربوي. وتوقف عند الخدمات والتقديمات التي تقدمها الوزارة للأطفال اللاجئين إنطلاقًا من المبدأ الوارد في الشرعات الدولية ان "لكل طفل ان ينعم بالتعليم المناسب والمجاني". وشارك في إحدى الجلسات الرئيسية الوزير السابق الدكتور سليم الصايغ حول "الفرص الجديدة لتشجيع التبادل الثقافي عبر الموارد الإلكترونية.

3. إعادة الاعتبار للاحترام المتبادل: ذُكر ان العالم أصبح بؤرة معقدة يشهد من جهة إبتكارات هائلة في المجال التكنولوجي، ولكن في الوقت نفسه يواجه ضغوطاً حادة ناجمة عن نقص في الثقة بسبب تردي أوضاع الأمن في العالم. عام 2008 نشر مجلس أوروبا كتابًا أبيض حول "حوار الثقافات" تحت عنوان: "العيش معًا كمتساووين في الكرامة". السلام بين الدول لا يمكن ان يتأكد بالعمل العسكري فحسب، بل يترسخ بقدر توطيد دولة القانون والديمقراطية لأن هذا المفهوم يضمن قيام دولة قوية مستقرة تشتمل على:

– نظام قضائي قوي وناجع يحترم دولة القانون.

– حرية التعبير بما يسمح لجميع المكونات التعبير عن معتقداتهم وهوياتهم، وتكون وسائل الإعلام قادرة على مسائلة القوى السياسية والحزبية...

– سد الثغرات الناجمة عن الخوف المزدوج لدى العالم: الخوف من الارهاب والكراهية، والخوف من الإسلام.

– التركيز على آليات العمل وليس فرض الحلول حتى تتمكن البشرية من مواجهة كل التحديات: من الارهاب، إلى الأمن، إلى الهجرة. العولمة تمكّن الأشخاص من التنقل

بحرية، وتوفر فرصًا عبر الانترنيت. وبالرغم من كل شيء، يقتضي عدم الحد من الحريات، بل رفع درجة الوعي لدى جميع الأطراف لأن التطرف والعنف يمسّان بالقيم العالمية.

4. ذاكرة جماعية للسلام من أجل ضمان الغد: شكّل المنتدى نوعًا من منصة عالمية تسمح للأشخاص والدول والمنظمات من العالم أجمع بإتخاذ تدابير ملموسة لدعم التنوع والحوار والفهم المتبادل بين الأمم. وخرج المنتدون بأفكار جديدة وتصورات مستقبلية. وسعى برنامج الأونيسكو إلى إعادة موضعة المكتسبات التاريخية لطريق الحرير في الإطار الجيوبوليتكي الراهن، وذلك من أجل تعزيز الحوار بين الثقافات وضخ رؤية جديدة تأخذ في الاعتبار المستجدات. ينشغل العالم اليوم بإحدى أكبر المسائل المتمثلة بالهجرة وطريق الحرير التي كانت طريقًا للهجرة حيث الناس انتقلت من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق، وصلوا إلى أميركا الجنوبية، واجتازوا المحيط الهادئ. وعالم اليوم هو نتيجة ما حصل في الماضي من تطورات.

7

التجربة اللبنانية المعاشة في الحوار الإسلامي المسيحي

القاضي طارق زيادة
نائب رئيس المجلس الدستوري

نعالج موضوع التجربة اللبنانية المعيشة في الحوار الاسلامي المسيحي في فقرات أربع.

1
مستويات الحوار الاسلامي ـ المسيحي

لهذا الحوار مستويات ثلاثة: **فالمستوى الأوّل** هو مستوى وجودي، يمسّ العيش المشترك اليومي المباشر بين المسلمين والمسيحيين، سواء في لبنان أو في المشرق العربي بأسره. وهو يعني خصوصًا العلاقات الحياتية في المدرسة والسكن والعمل والاجتماع واللهو والجوار والعشرة الطيبة. وهو مستوى يمسّ الانسان في أوجه نشاطاته اليومية التي يجب أن يُمارسها بعفوية وانطلاق وبهجة ومحبة وانفتاح على الحياة ومن دون عوائق. وبكل تأكيد لا يجوز أن يكون اختلاف الدين أو المذهب أو المعتقد حائلًا دونها، بل على العكس يجب أن تعزّز محبة الآخر واحترامه والقبول به كما هو، بل والاستفادة من التنوّع والاختلاف لإغناء الحياة اليومية واثرائها وجعلها أكثر سعادة وإشراقًا.

إنّ هذا قد يبدو للوهلة الأولى سهلًا، لكنّه في الحقيقة يحتاج من الجميع إلى عمل دؤوب وتربية دائمة ومسلكية جديدة إذ يجب أن نصارح أنفسنا بوجود ثغرات كثيرة تعزّز التباعد والسلبية والنفور ليس أقلّها جهل الآخر وعدم معرفته والخوف منه والابتعاد عنه.

إذا كان المجال لا يتّسع لتحليل كل هذه الثغرات وعناصرها وأسبابها إلّا أنّه لا بدّ من القول أنّ الإنسان عدوّ لما يجهل، وأنّ مثل هكذا وضع من شأنه أن يخلق، وقد خلق

فعلًا، في الأذهان ترهات وتوهمات وتصوّرات غير صحيحة وباطلة عن الآخر ومعتقداته. ولا بدّ من العمل على هذا الصعيد لمعرفة الآخر والتّعرّف إلى قيمه الدينية بالذّات بصورة صحيحة.

إذا تعمّقنا في الأمر فسنكتشف أنّ هناك جهلًا وتجاهلًا للآخرين خوفًا وعداء أحيانًا كثيرة نتيجة تربية خاطئة وليدة أوضاع تاريخيّة وسياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة أكثر منها دينيّة، ولا بدّ أن يعالج الأمر بالانفتاح على الآخر والتّعرّف إلى حقائقه الدينيّة عن طريق تربية مدروسة تعرّف بالآخر دينيًا تضع خططها لجان متخصّصة، بحيث تنشأ أجيالنا الطالعة على الانفتاح والمعرفة والمحبّة والاحترام والثّقة المتبادلة، فتعرف هذه الأجيال كم هناك من قيم دينيّة واحدة ومن نظرة أخلاقيّة قيميّة مشتركة.

يمكن في هذا السبيل وضع كتب ونشرات وحلقات وجلسات وساعات تدريس ومخيّمات والقيام برحلات وزيارات إلى أماكن العبادة، ويرتقي هذا البرنامج بارتقاء مستوى التلامذة والطلاب تدريجيًا من المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية. هكذا يجد اللبنانيون ـ كذلك العرب ـ أنفسهم وجهًا لوجه على هذا الصعيد، ممّا يدفعهم إلى تعميق نظرتهم الدينية وإغناء تجربتهم الروحية بالاحتكاك والفهم المتبادل، ممّا يدفعهم إلى الخلوص إلى قيم روحية واحدة مستندة إلى أرضية متينة وممّا يجعل عيشهم وحياتهم المشتركين أمرًا طبيعيًا بل وحتى أنّه يكون لهم أعياد مشتركة كعيد البشارة الذي أصبح يوم تعطيل رسمي وطني عام وعيد انتقال العذراء التي أقام لها الصيادون في مدينة صور تمثالًا على مدخل المرفأ خلال الصيف الماضي.

المستوى الثّاني، هو مستوى وطني، فإذا كان المسلمون في لبنان يتوقون إلى العدالة، وتراثهم يشدد على العدل، وإذا كان المسيحيون يحرصون على الحرية، وعلى الأخصّ حرية المعتقد وممارسته، فإنّه يمكن بكل تأكيد التوفيق بين هاتين القيمتين الأساسيتين، بإقامة مجتمع لبناني مرتكز إلى قواعد سياسيّة واقتصادية واجتماعية وثقافية، ويهدف إلى هاتين الغايتين. وممّا يساعدنا على ذلك التطوّر المحلي والعالمي، إذ أنّ التوجّه الانساني العام بات يركّز على العدالة الاجتماعية للتخلّص من عبوديّة الفقر والجهل والمرض والتّخلّف والبؤس بكل صوره مع التأكيد على الحريات الأساسية وفي طليعتها حرية المعتقد.

على كلٍّ، فإنّه على الصعيد اللبناني على الأقل، يعاني الجميع بعد الأحداث المأسوية، من الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية، ممّا يوجب العمل على تعزيز وتنمية وإقرار الحقوق الاجتماعية وصون الحريات الأساسية وتعميقها لأنّ لبنان، بما هو معطى حضاري، يغتني وجوده ويزداد معناه عمقًا بتعزيز كرامة الإنسان وحريته فيه وإطلاق قدراته ومواهبه.

وإذا كان ظاهر الحال يدلّ على وجود تباينات على هذا الصعيد بين مختلف المجموعات الروحيّة اللبنانيّة، فإنّ أحداث السنوات الأخيرة بالمقابل قد زادت اللبنانيين قناعة بأنّ تجربتهم الرّائدة جديرة بالبقاء، وتستحقّ أن تعاش وتتطوّر باتجاه وطن تسوده العدالة، والحريات الأساسيّة. وهذا المستوى يتطلّب كل تأكيد الانتماء المباشر إلى الوطن وليس الانتماء إليه عبر الطائفيّة بكل مظاهرها وليس فقط المظهر السياسي، إذ ليس المطلوب تغليب فئة على فئة بأي ذريعة كانت من عدد أو أكثرية أو سواها.

إننّا نودّ أن ننتمي بصورة عفوية إلى أدياننا عبر هويتنا اللبنانيّة وانتمائنا الطبيعي إلى العروبة الحضارية. وهذا الأمر يساعد، بصورة ضمنية، على الحد من غلواء التيارات المتطرّفة، في أي جانب نشأت، وتوجّهها باعتدال في صالح المجتمع بأسره.

أمّا **المستوى الثّالث** فهو مستوى مسكوني عالمي. ذلك أنّ المسيحيين والمسلمين في لبنان وسائر المشرق العربي يستطيعون أن يلعبوا على هذا المستوى دورًا إيجابيًا في الحوار الاسلامي ـ المسيحي على الصعيد المسكوني بأسره.

فالاسلام العربي هو مرتكز وجوهر ولبّ الإسلام العالمي، والمسيحيّة المشرقيّة هي مبعث وأصل وجذر المسيحية العالمية. فمن أجدر بنا في لبنان والعالم العربي بأن نتصدّى لهذا الدور وأن نؤهّل أنفسنا للقيام به، ونحن أعلم بأنّ الأديان الموحّدة، هي جميعًا في الخط الابراهيمي الواحد انّ هذا يستدعي القيام بأبحاث ودراسات معمّقة، علمية وموضوعيّة، يقوم بها أهل الاختصاص والمعرفة في علوم الأديان المقارنة لبيان نقاط الاتفاق بين المسيحيّة والاسلام كدينين موحّدين، وهي أكثر ممّا يعتقد، من دون الاغضاء الموضوعي عن نقاط التباين، التي لا ننكر وجودها، ولكن نريد الاستفادة منها ذاتها في مصلحة تعميق الإيمان لا الاختلاف والشقاق حوله.

بوسعي القول ختامًا أنني أرجو قيام كنيسة العرب بكل فروعها، لتزهو وتنهض وسط فرح المسلمين اللبنانيين والعرب الذين تربّوا دينيًّا على القبول والرّضى بالمسيحيّة وسواها من الأديان.

إذا كان العالمان العربي والاسلامي شهدا، منذ بدء التوسّع الاستعماري العام، هجمة الغرب عليهما لأسباب سياسية واقتصادية وقد تلبست أحيانًا بلبوس ديني وتبشيري، فمن أجدر بالمسيحيين اللبنانيين والعرب بالوقوف ضدّ التذرّع بالمسيحية في هذا الهجوم المستمر تحت صور مختلفة، والوقوف خصوصًا ضدّ الأفكار الصهيونية القائلة بأنّ دولة إسرائيل تشكّل مملكة الله على الأرض.

أعتقد بإخلاص أنّه بعد المقررات المهمّة للمؤتمر الفاتيكاني الثاني بشأن العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والمسلمين، بات من المطلوب اعتماد خطوة تاريخية أخرى أعمق بالنّظر إلى الاسلام بحد ذاته كدِين من أديان الخلاص، وهذا ما لا أشكّ بأنّ الأفكار بدأت تتهيّأ له في الأوساط المسيحية العليمة، وأكاد أراه يتحقق بعد حلول العام ألفين للميلاد. ولنذكّر بالآية القرآنية الكريمة: {... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدّةً لِلّذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنَّ مِنْهُم قِسّيسين وَرُهبانًا وَأنّهم لا يَسْتَكْبِرون}. (سورة المائدة، آية ٨٢).

2

دَور الإسلام اللبناني في الحوار الاسلامي ـ المسيحي

في وقت يبدو العالم الإسلامي مستغرقًا في أنحاء عدّة منه في الدّاخل وعلى الأطراف في صراعات مريرة، تأخذ أحيانًا مظهر الاشتباك بين التراث والحداثة، أو الذّات والآخر، وأحيانًا شكل صراع بين مصالح قوى دولية متعارضة، أو شكل حروب أهلية مدمّرة، ويوضع الإسلام، في ذلك كلّه، في مواجهة حضارة العصر، وتستعير قوى في الغرب هذه المظاهر أو بعضها لتعبئة منظّمة تجعل من الإسلام الخطر الجديد عليها، يتبدّى دور للإسلام اللبناني يمكن أن يلعبه بنجاح إذا أدرك معطياته وشروطه.

إنّ هذا الدور يستقي معطياته من وضع لبنان ذاته بما هو مجتمع ديمقراطي متنوّع، وبما عليه اللبنانيون أنفسهم من تعدّد وانفتاح وتعلّق بالحريّة والعيش المشترك والحوار، ويستقي شروطه أيضًا من موقع لبنان الجيوسياسي والثّقافي والعلمي والحضاري،

الأمر الذي يجعل المسلمين اللبنانيين مؤثرين للوحدة ضمن التّنوّع واحترام الآخر ومعتقداته وحرياته، منفتحين على العصر وتياراته، مدركين أنّه ليس في وسعِ شعب أو ملّة أو اثنية أو مذهب أو دين أن يعيش منفردًا في هذا العالم، منفعلين وفاعلين ضمن حضارة عالمية تحل، على الأقل ن حيث المبدأ، كرامة الإنسان والحرية والعقلانية المقام الأول. وهي قيم يدرك اللبنانيون كافة وفيهم المسلمون أنّها قيم لبنان، ويدرك اللبنانيون المسلمون بفعل احتكاكهم وانفتاحهم ووضع وطنهم أنّه في وسع الإسلام أن يتفاعل مع هذه القيم، في عالم اليوم، وأن يساهم فيها وهو الذي يفيض تراثه بآيات من مثل: {وَلَقَد كَرَّمْنا بني آدم...} و{يا أَيُّها النَّاسُ إنّا خَلَقْناكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْناكُم شُعوبًا وَقَبائِل لِتَعارَفوا إنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُم} وهو الذي أحلّ العقل والفكر والنّظر والتدبير مقامًا ساميًا قائلًا: {وَهَلْ يَسْتَوي الذينَ يَعْلَمُون والذينّ لا يَعْلَمُون}، وهو الذي جعل قتل نفسٍ واحدةٍ بمثابة قتل أو إحياء للإنسانية جمعاء: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ في الأرضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ومَنْ أَحْيَاها فَكَأَنَّما أَحْيا النَّاسَ جَمِيعًا}. وهو الذي رتّب المسؤولية على أساس مِنْ فعل الإنسان بعد أن هداه النجدين، وهو الذي قال خليفته الراشدي الثاني: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارا".

إنّ هذا الفهم للإسلام بتأويل حديث، بعيد الغور، يساهم فيه اللبنانيون المسلمون بما ترشحهم له معطياتهم وإمكاناتهم الفكرية وأوضاعهم المعيشة، يمكّن الإسلام أن يدخل العصر ويساهم في العطاء الحضاري بثقة ودراية وفهم وبحوارٍ متكافئ مع كل الأديان والمذاهب والحضارات.

إنّ ما يحفّزنا على ترشيح الإسلام اللبناني للعب هذا الدّور ونقل تأثيراته، بالمثل والبرهان، إلى العالمَين العربي والإسلامي، هو تنوّع الإسلام اللبناني ذاته، وعيشه مع مسيحية مشرقية في تفاعل متبادل غني وعميق قائم على احترام الآخر، ضمن صيغة لبنانية ثرية هي التي نعوّل عليها في دور للبنان عامة وللإسلام خاصة وفي حوار الأديان.

إننا نعني بالصيغة اللبنانية هذه إرادة العيش المشترك والتّوافق على المصلحة العامة التي تكوّنت خصوصًا بعد قيام لبنان الحديث، منذ ثلاثة أرباع القرن على الأقل، إذ إنّ هذه الإرادة المشتركة التي أتت محصلة تقاطع تيارات جاذبة ونابذة، هي المعوّل عليها في التّعبير عن وعي اللبنانيين المتجلي في إرادتهم في العيش في وطن موحّد وحرّ مبني على التوافق والتسوية الدّائمة التي لا تعني المساومة بل الاتفاق على متابعة الطريق سوية في ظل الاعتدال والانصاف البعيد عن التطرّف والشطط، وهي معطيات يمكن أن تقرّب من

دون ابتذال أو اصطناع من التعابير الإسلامية الأثيرة حول الأمّة "الوسط"، و"العدل" و"المعروف" و"الإحسان" و"التقوى" و"الصراط المستقيم".

تتجلّى الصيغة اللبنانية أيضًا في تعلّق بالحريات والحقوق الأساسيّة وفي طليعتها حرية المعتقد واحترام الآخر وتفهّمه في العمق وعدم إيذائه أو حتى إزعاجه، وتتجلّى خصوصًا في سماحة وبعد أفق تجاه كل المعتقدات القائمة، بحيث يشعر كل لبناني إلى أي معتقد انتمى أنّه حرّ في ممارسة معتقده، لا يقف دونه أي عائق أو حائل، إلّا أن يكون هذا الحائل وذاك العائق هو حدّ الصيغة ذاتها.

تقوم الصيغة على الإنصاف وتتجلّى في مناصفة هي ليست عملية حسابية بمقدار ما هي تعبير عن المجموعتين الروحيتين الكبيرتين التي ينتمي إليهما اللبنانيون، وهي تبتذل وتنحط عندما تتحوّل محاصصة وتوزيع مغانم بين الطوائف والمذاهب، بدلًا من أن تقوم على الكفاية والجدارة والنّزاهة وترجيح المصلحة العامة.

وتجد الصيغة اللبنانية تجسيدًا لها في طريقة عيش اللبنانيين الواحدة المنفتحة المتقبّلة لتنوّع ضمن الوحدة، في شكل يغني هذا التنوّع ويثري وحدة المجتمع اللبناني، وبحيث يشعر أي فرد فيه مهما يكن انتماؤه الجزئي أنّه يرتبط ارتباطًا عضويًا بكل لا يقبل الانقسام. وهذا الكل بدوره هو نتاج لقاء التراث والعصرنة، إذ إنّ لبنان متجذّر في منطقته العربية ومتطلّع إلى حضارة العصر ينهل منها ويأخذ ويشع، وفي هذا يلعب لبنان دوره كاملًا، وهو دور للمسلمين اللبنانيين فيه حصّة محفوظة، وهذه الحصّة هي الذخيرة التي في وسعهم الاستفادة منها لتوعيته وإخراجه من أزماته التي يتخبط فيها.

إنّ الصيغة اللبنانية ليست صيغة مُصطنعة، بل هي وليدة مخاض طويل أدّى إلى تغيير في معنى لبنان ودوره الذي بات ضرورة لأبنائه وللعرب جميعًا، وربّما للمسلمين، ضرورة قائمة على أنّه في الإمكان، في هذا العصر بالذّات، وفي هذه المنطقة بالذّات أن يقوم وطن مبني على الديمقراطية والحرية والتسامح وقبول الآخر والرّضى الطوعي به، وعلى تلاقي الثقافات وتلاقح الحضارات وتعايش المعتقدات، بحيث تعطي جديدًا وتثمر ثمرًا يانعًا تحتاجه العروبة والإسلام بل الإنسانية جمعاء.

إذا تفهّم الإسلام اللبناني هذه الصيغة، وهو متفهّم، وعرف جوهرها، ووقف على مداها الزمني والروحي استطاع أن يتعايش معها وأن يستفيد منها ويفيد: يستفيد منها لأنّ الاتجاه الإنساني هو في منحى لبنان من حيث أن العالم يتحوّل قرية كونية واحدة كبرى وأنّه

لا يمكن لأي شعب أن يعيش في معزل عن الشعوب الأخرى، إذ لا بدّ له أن يتأثر ويؤثّر ويفعل وينفعل وإلّا كتب على نفسه الانزواء ثمّ التلاشي. وتستطيع كلّ الاتّجاهات أن تفيد أيضًا إذا وعت الصيغة اللبنانية بعمقها، في نقل هذه التجربة إلى ارجاء أخرى تتصل بها هذه "الاتجاهات" وتطعمها بحس الاعتدال وتفهّم العصر واستيعاب التيارات والتعاطي معها بإيجابية، رائدها في ذلك ما فعله الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ في المدينة.

إننا نحسن الظن ونتفاءل لسبب بسيط ولكنّه مهم وهو انّ اللبنانيين كافة تعلّموا من التجربة المعيشة أنّه مهما كانت شوائب الصيغة اللبنانية، وهي شوائب تلحق بكل صيغة إنسانية، فإنّ حسناتها تفوق السيئات، بما لا يقاس، وأنّ هذه الصيغة ذاتها تتيح لمختلف الاتجاهات، النابعة من كل الأديان، أن تعبّر عن نفسها وأن تتفاعل في ما بينها ضمن حيّز مكاني ضيّق نسبيًا، ولكن الفضاء فيه لا حدود له، الأمر الذي يتيح اغناء تجاربها، وفي الآن عينه يزيد ثراء الحياة العامة، ضمن شرط أساسي وضروري هو احترام الصيغة وتفهّمها والعمل من ضمنها.

3
الإضافة اللبنانية إلى الحوار بين الأديان

نُعوّل كثيرًا على الصيغة اللبنانية في أن تنعكس على الفكر الديني بما هي صيغة منفتحة على الكرامة الإنسانية والعيش المشترك والتنوّع والتعدّد وبما هي فضاء فكري يهيّئ المناخ المناسب والانفتاح على الآخر ومعالجة القضايا الرّوحية بكل ذوق وواقعية تتنافى والتكبّر والتفاخر.

ذلك أنّ المجتمع الأهلي اللبناني، على سلبيات كثيرة تعوّقه، يبقى مجتمعًا غير منغلق، بل مجتمعًا منفتحًا على التبادل والتواصل، بعضه تجاه البعض الآخر، لا يضيق أفقه ولا يتشرنق على ذاته، يخلق جماليته وعقلانيته المستنيرة بمواجهة الظلامية والجهل والتعصّب المقيت، إذ الآخر، من حيث ندري أو لا ندري، هو الوجه الثاني للأنا، ممّا يستدعي إدانة النبذ والاستبعاد والعنف في القول والفعل.

في مثل هذا الفضاء الفكري الذي يمهّد للحوار الفعّال، من الممكن أن تتاح الفرصة للانتقال من التقليد الحرفي في التأويل الديني إلى العطاء الثري والإبداع الغنيّ، ومن التوجّه

الفئوي الطائفي والمذهبي إلى رحاب التسامي والتعالي، ومن التقليدية الضيقة إلى رحابة العصر والانتساب إليه بحسّ تاريخي فيه نبض الزمن وإيقاعه، إنّ هذا التوجّه لا بدّ أن يكون محفوفًا بسمات الصيغة اللبنانية في الاعتدال والتّسامح ومعرفة الآخر والاعتراف به والحوار معه، وهي صفات الميثاقية اللبنانية في عمقها بما هي فسحة للحرية في أوجهها المختلفة، وأخصّها حرية المعتقد، وهذه الحرية هي شرط الابداع في كل الميادين ومنها بالطبع الفكر الديني.

لم يعد من الممكن في هذا العصر اجترار أفكار الماضي التي تيبّست عروقها وجفّ ماؤها ولا يمكن الأخذ بتأويل النص كما فهم في ضوء معطيات الماضي، بل لا بدّ من تعميق الفهم في ضوء معطيات الحاضر التي تحلّ حقوق الإنسان وكرامته وعقلانيته محلّها الواقعي. وهكذا لا تعود التقوى إتقاءً للآخر وعدم الإضرار به، وإنّما تضحى عطاءً ونفعًا ومحبةً وتفهمًا وانفتاحًا وسعيًا إلى كمال معرفة الحق عبر معرفة الآخر وجوديًا، بل وتعميق النظر، وفيه الفهم الديني المتبادل، على ضوء معتقد هذا الآخر وحقيقته الخاصة ومشروعية فهمه للأمور من دون أي انغلاق لأنّ الانغلاق هو انغلاق العجز وضيق الأفق. إنّ هذا يتضمّن، بطبيعة الحال، الإقرار بأنّ هوية الآخر الدينية تشكّل رأسمالًا إنسانيًا ثقافيًا رمزيًا وبُعدًا من أبعاد الشخصية البشرية لا بد من أخذها في الاعتبار ولا سيما في مجتمع واحد قائم على التبادل والتواصل والتفاعل في أوجه الحياة المتباينة جميعًا، يُحِل الحوار مكانه الأرقى، يقبل حق الاختلاف، يمكّن سواه من التعبير الحر عن معتقداته ومكنونات ذاته ويعي أنّ الحرية لا تعني في شكل من الأشكال إثارة الغرائز والنفخ في اتون الفتنة، بل هي وعي للشرط الانساني القائم على الصراع بحيث أنّه ضمن نطاق بحثنا، يتداخل الروحي والإنساني في كل الأديان ويجري التنافس فيها، ما يفسح في المجال للمقارنة بينها. وتصير المقارنة ذاتها وسيلة قبول التسامح والتكافؤ ونسبية النظرة إلى الأمور وكيفية المعالجة في ضوء أنّ الوقائع متجدّدة والنصوص متناهية. ومن هنا قولة ابن خلدون في المقدّمة: "الوقائع المتجدّدة لا توفي بها النصوص". إنّ هذا يعطي أهميّة بالغة للفكر الديني المقارن، يقوم به أهل الاختصاص من اللبنانيين، ممّا ينعكس إيجابًا على الفكر الديني العالمي، مستبعدين الغلو والتّطرّف والاستبداد في الرأي ومصادرة الحقيقة، ومنطلقين من أنّ أحدًا لا يحتكر المعرفة وأنّ لا ناطقًا وحيدًا باسم الدّين، أي دين. إنّ هذا الفكر المقارن لا يكون ثريًا إنْ لم يطرح القضايا المعاصرة بروح نقدية جدّية بعيدة عن النفاق والتكاذب والتواطؤ والمخادعة

والمخاتلة. ولا يكون هذا الفكر عميقًا إن لم يتصدّ للمشكلات الإنسانية المتفجّرة الدائرة حول الحريات وحقوق الإنسان وحماية البيئة والطبيعة ووضع الإنسان وشرطه البائس.

إنّ ما يحدونا إلى هذا الطرح وجود مفكّرين لبنانيين عديدين، عملوا ويعملون بهذه الروحية واعين لما يمثّله لبنان بما هو نقطة التقاء حضاري من ثقل، في هذا الميدان، على الصعيد الكوني، ويشجعنا على ذلك أيضًا الخوف من أن يعتبر التنوّع مدخلًا إلى التذرر والتشرذم والاستبعاد التبادل، أو أن يفهم حق الاختلاف على أن تحصّن وراء نظرة ضيّقة، فينقلب الأمر إلى ضدّه وتضيع الفائدة المرجوّة.

لا يفوتنا في هذا السياق أن نشير بوضوح إلى أنّه لا يكفينا في لبنان وجود اعلام فكر ديني منفتح، بل لا بدّ من إشاعة هذا الجوّ الفكري الحر بخلق بيئة عامّة متقبّلة برحابة صدر قيم الصيغة اللبنانية وقائمة على تربية ثقافية متفهّمة دين الآخر، ممّا يقضي معه تعليم الفكر الديني المقارن بخطوطه العريضة في كل المنتديات التعليمية والثّقافية كمعطى من معطيات الفكر الحضاري الانساني، مع عدم اغفال التباين، وعلى أن يُعهد الأمر إلى أهله من أصحاب الاختصاص، وهكذا يلعب لبنان دوره كاملًا تجاه نفسه وتجاه الآخرين على هذا الصعيد المهم وعلى صعيد التبادل الفكري وفي طليعته صعيد الحوار بين الأديان.

4

في ضوء حوار الحياة المعيش بين المسلمين والمسيحيين، كيف ينظر المسلمون إلى المسيحيّين في لبنان؟

وددتُ أن أفتَتِحَ كتابة في نظرة المسلمين إلى المسيحيين في لبنان، فاستصعبتُ الأمر واستهولته لأسباب عدّة، ليس أقلّها ان نظرة المسلمين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ومشاربهم وبعدهم وقربهم من الاسلام ذاته، ليست واحدة في كثير من الأمور، فكيف تكون واحدة في النظرة إلى إخوانهم المسيحيين اللبنانيين؟ ثمّ إن هذه النظرة ليست دينية وحسب، بل هي في العمق نظرة سوسيولوجية وثقافية ووطنية وقومية جامعة، يختلط فيها العاملان الذاتي والموضوعي ويتداخلان.

المسيحيون في لبنان هم، بدورهم، طوائف وكنائس ومذاهب واتجاهات عدّة، فهل يصح النّظر إليهم عبر الصفة الدينية وحدها؟ على أنني صممّتُ على أن ألج هذا الموضوع

الدقيق برفق وتؤدة، وديني الذي لا أخفيه إيمان لا يتزعزع بوحدة الشعب اللبناني وبعيشه المشترك الغني وبتنوّعه الثري، وبهذا الاخاء المسيحي ـ الاسلامي الذي تتناوبه المشكلات والاشكالات، كما تتناب كل أخوة من دون أن تنقلب إلى عكسها لأنّها ثابتة من ثوابت التاريخ ومعطى من معطيات الواقع. ثمّ انني برّرتُ البحث في هذا الأمر علانية بضرورة كسر حواجز الخوف النفسية، وبوجوب أن نتعرّف إلى بعضنا بعمق.

فالإنسان عدو لما يجهل، وكثيرًا ما يتحوّل الخوف خوفًا من اكتشاف الآخر. لذا فمن المهم أن لا ننظر إلى الآخرين من بعيد وأن لا نتكلّم عنهم، بل أن نتكلّم معهم ولو بالتفكير بصوتٍ عالٍ. والغاية ليست تغيير الآخرين، بل التغيير معًا بالحوار والمكاشفة والتفهّم والتفاهم والتواضع والوداعة والاحترام والمحبة التي تتنافى والتجاهل المتبادل أو التحفّظ المتكبّر. وشرط ذلك كلّه الحرية والمعايير والقيم الخلقية المعنوية، التي هي ضرورة لازمة للديمقراطية، منغرسة فيها لاغنائها واثرائها، من ضمن ذاكرة جماعية لشعب واحد.

وعوّلتُ، بادئ ذي بدء، في إيضاح نظرة المسلمين اللبنانيين إلى إخوانهم في ارجاعها إلى كتاب المسلمين المقدّس وموقف القرآن من أهل الكتاب، إذ الآيات بيّنة في: {إِنَّ الذينَ آمَنوا والذينَ هادُوا والنّصارى والصّابِئينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ واليومِ الآخِرِ وَعَمِلَ صالِحًا فَلَهُم أَجْرُهُم عِنْدَ رَبِّهِم وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُون}.

{قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْراهِيمَ واسماعيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقوبَ وَالأَسْباطِ وَمَا أُوتِي مُوسى وَعِيسى وَمَا أُوتِي النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِم لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُم وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون}.

والنّص مؤسس على أنّ الإسلام يقبل المسيحيين ويتركهم على عقيدتهم وعلى أحوالهم الشخصيّة، ويقيم معهم العقود والعهود، ويدعوهم إلى كلمة سواء.

{ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُم أَلّا نَعْبُدَ إِلّا اللهَ ولا نشركَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُون}.

وكلمة السواء هذه هي عبادة الله الواحد الحق، ومجمل الآية محمول ومؤوّل على المساواة بين عباد الله كافّة وخاصّة. {وإِلَهُنا وَإِلَهُكُم واحدٌ}.

ونظرة الإسلام إلى السيد المسيح ووالدته نظرة مهمّة جدًا في توضيح موقف المسلمين من المسيحيين عامة، وهي تقتضي فحصًا دقيقًا في سياق فهم المسلمين للمسيحيين، فعيسى ابن مريم في القرآن رسول الله وكلمته وروح منه: {إِنَّمَا المَسيحُ عيسى

ابنَ مَرْيَمَ رسولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلَى مَرْيَمَ} {إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسمُهُ عيسى ابنُ مريَمَ وَجيهًا في الدُّنيا والآخرةِ وَمِنَ المُقَرَّبينَ}. {إنَّ مَثَلَ عيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكون}، وانّ الله أيّده بروح القدس: {إِذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ اذْكُرْ نِعْمَتي عليكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِروحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النّاسَ في المَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ والتَّوراةِ والإِنجيلِ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْني...}.

أمّا نظرة الإسلام إلى السيّدة مريم فهي نظرة راقية معروفة: {وَإِذْ قَالَتِ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلَى نِساءِ العَالَمينَ}، {وَجَعَلْنَاها وَابْنَها آيَةً لِلْعالَمين}.

هذه الآيات التي يتلوها المسلمون كل يوم تجلو نظرتهم الدينية إلى إخوانهم المسيحيين وتقرّب بينهم، وتفتح المجال، في الوقت عينه لأهل الاختصاص، للمقارنة والمقاربة بين النظرتين الاسلامية والمسيحية إلى طبيعة السيد المسيح، وللوصول من وجهة المبحث الديني واللاهوتي الصرف إلى تبيان النقاط المشتركة العديدة وتوضيح نقاط الافتراق، إذ انّ المسألة اللاهوتية متروكة لأهل العلم في هذه الأمور يدرسونها في كلياتهم وجامعاتهم ومعاهدهم ومجامعهم. ومن حسن الظروف انّ المسائل اللاهوتية ليست مثار بحث في الحياة اليومية بين اللبنانيين ونادرًا ما يتحدّث فيها المسلمون العاديون، وانّ الحكمة الشعبية الجامعة، التي هي خلاصة تاريخية عميقة صاغتها أجيال ممعنة في القدم، تقول: "كل واحد على دينه الله يعينه".

وبالطبع لا يطلب المسلمون من المسيحيين اتّباع النظرة الإسلامية إلى السيّد المسيح ولا الالتزام بها، وان كان التعمّق فيها يغني الفكر الديني العام بكل تأكيد.

من أجل توضيح نظرة المسلمين إلى المسيحيين لا بدّ من استجلاء النص مطبقًا في الواقع التاريخي ففي المرجع المهم وهو كتاب "الأموال" للعالم الفقيه الموسوعي أبي عبيد القاسم بن سلام انّ النعمان بن زرعه سأل عمر بن الخطّاب وكلّمه في نصارى بني تغلب، كان عمر قد همّ أن يأخذ منهم الجزية، وهي ضريبة الرأس على أهل الكتاب، بمقابلة الصدقة المفروضة على المسلمين، فتفرَّقَ بنو تغلب في البلاد، فقال النعمان لعمر: " يا أمير المؤمنين، إنَّ بني تغلب قوم عرب، يأنفون من الجزية، وليست لهم أموال، إنّما هم أصحاب حروث ومواش، ولهم نكاية في العدو، فلا تعن عدوّك عليك بهم. قال: فصالحهم عمر بن

الخطّاب، على ان أضعف عليهم الصدقة، وحدّث زياد بن حدير ان عمر أمره أن يأخذ من نصارى بني تغلب العشر، ومن نصارى أهل الكتاب نصف العشر".

وقفنا على هذه المسألة ليس لنبحث في مسألة الذمّة، التي باتت مسألة تاريخية وإنّما لنبيّن انّ الخليفة الراشدي الثاني أخذ واقعيًا بوضع المواطنية أو القومية (قوم عرب)، بالتعبير الحديث، للنظر في ما يترتّب من ضريبة على أهل الكتاب، وذلك على مقربةٍ من ظهور الاسلام، وفي وقت كان عنصر الدين أساسيًا في النظرة إلى الناس. يضاف إلى ما سبق ان ابن الخطاب عند مجيئه إلى القدس ترك أهل الكتاب جميعًا على معتقداتهم وأحوالهم الشخصية، الأمر الذي استمرّ قرونًا عدّة وأصبح في أساس نظرة المسلمين على مرّ العصور إلى المسيحيين في هذه البلاد، خصوصًا وانّ الشّرع الإسلامي هو شرع شخصي، ويتفرّع من ذلك مفاعيل شرعية مهمّة ليست فقط في مواد الأحوال الشخصية، إنّما أيضًا في مسألة الأموال إذ الخمر، مثلًا، في يد المسلم يعتبر مالًا يجب إتلافه، في حين يعوّض الكتابي عنه حال اهراقه وتلفه عليه قصدًا أو عن غير قصد.

لعلّ ممّا شكّل نظرة المسلمين إلى المسيحيين مواقف اتخذها أئمّة في الإسلام تجاه تصرّفات سلطة غاشمة، من مثل موقف الإمام الأوزاعي الذي رفع بمواجهة الوالي العباسي الآية: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}.

أمّا على صعيد الواقع الحاضر، فإنّ المسلمين عامة ينظرون إلى المسيحيين في لبنان على أنّهم إخوانهم في الوطنية والقومية، تجمعهم ذهنية حضارية ثقافية واحدة، ومصلحة عامة مشتركة، ويحدوهم طموح موحّد في سيادة دولة القانون واحترام الحقوق والحريات الأساسية، بما في ذلك حق الاختلاف وقيام السلطات العامة على أساس من المساواة في النظرة إلى الجميع، وإيثار الكفاية على التمايز الطائفي ممّا يدخل الجميع في إطار ولاء وطني جامع يعلو على الانتماءات الخاصة الفئوية لأنّ في ذلك خلاص لبنان واللبنانيين. ومن أجل ذلك لا ينظر المسلمون اللبنانيون إلى إخوانهم المسيحيين على انّهم اثنيات أو أقليات في هذا الشرق العربي أو جاليات غريبة تابعة لقوى غريبة، بل انهم أبناء البلاد لهم الحقوق نفسها التي لإخوانهم وعليهم الواجبات نفسها، وانّ دورهم الفاعل والخلّاق هو أساسي في بناء هذا الوطن الواحد، ولقد خبر الجميع هذا الدور الممتاز في عصر النهضة العربية الأولى ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر، وانّ الباب مشرّع على

مصراعيه أمام الجميع لبناء المستقبل الواحد على صعيد الاجتماع والاقتصاد والثقافة والفن والتمدّن والحضارة، ناهيك بالسياسة.

ينظر المسلمون بإعجاب ضمني لموقف المسيحيين من المرأة وعملها والعناية بالأولاد وتعليمهم وتربيتهم وإقامة الأسرة الصغيرة، ولكنهم يتساءلون عمّا إذا كانوا يذهبون إلى الزواج الآحادي والحد من الطلاق في وقت يتوسّع البعض في سلوك اتّجاه مغاير؟

يقدّر المسلمون عامة مدارس المسيحيين ومؤسساتهم التعليمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية ومعاهد التعليم الجامعي والعالي، مع حذر من تبشير مضى عهده، ولو أنّهم يتطلعون إلى يوم تصبح فيه المؤسسة الرسمية أهم من المؤسسة الدينية، إسلامية أو مسيحية، في كل الميادين.

يثمن المسلمون عامة إقبال المسيحيين على الحياة وحذقهم في ميدان المال والأعمال واتقانهم اللغاتِ الأجنبية، وإقدامهم في ميدان المهن الحرّة على اختلافها، ولو انّ كثيرًا منهم يتذكّر مع رجال الدين المسيحيين الآية الانجيلية: "لا تعبدوا ربّين الله والمال". ويسألون المسيحيين، ويطلبون من أنفسهم وقد أخذ التيار العالمي بجرفهم، الّا تسيطر نزعات الاستهلاك المادية على مجتمعنا، وان نحافظ جميعًا على روابط الأسرة النواة، وهي الأساس في بناء المجتمع المتكافلة والمتضامنة والتي تشكّل نقطة قوّة في مجتمعنا اللبناني العربي الشرقي السمات.

***

لا بدّ لي في النهاية من تسجيل انّ كثيرين عرفوا المسيحيين في مدينتي طرابلس عبر راهبات مستوصف خيري أقمنه خلال الحرب الكونية الثانية في ظروف اقتصادية واجتماعية وصحية شديدة الحرج، وكان ذلك المستوصف على مقربة من الجامع الكبير المنصوري. واليوم تعود المسيحية الغربية إلى التأكيد على الخدمة الاجتماعية خاصة والإنسانية عامة، وأولى منها في ذلك المسيحية المشرقية بكل تأكيد لأنّ ظروف لبنان أصعب من ظروف الغرب، وفي الخدمة العامة فليتنافس المتنافسون.

استفاد المسلمون بكل تأكيد وكذلك إخوانهم المسيحيون في لبنان، من دروس أحداث الماضي طوال ثلاثين عامًا، ليخبروا جميعًا بأنفسهم على أرض الواقع، أنّ لا نهوض لهم وللبنان إلّا بوحدة الكلمة والعمل والتضامن والاندفاع في ايثار المصلحة العامة على المصلحة الفئوية، وشرط ذلك كلّه ثقة عميقة وتفاؤل بالمستقبل، وتأثر وتأثير متبادلان، وفعل

مشترك، ليلعب لبنان دوره كاملًا على جميع الأصعدة في القرن الحادي والعشرين، وفي زمن التحولات الكبرى في المنطقة والعالم، وان يعوا ان الحداثة باتت تعني تطوير مجتمعنا ودخوله العصر والعطاء والابداع بعيدًا عن كل استتباع.

{وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ قالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسينَ وَرُهْبانًا وَأَنَهُم لا يَسْتَكْبِرون}.

7

الواقع الحالي لموضوع اللاجئين

بين كرامة العيش والحيثيات الخاصة للمواطنية في لبنان*

أنطوان نصري مسرّه*

كل ظاهرة نزوج أو تهجير أو هجرة كثيفة الى أي بلد تُشكل مأساة للنازحين والمهجرين وخطرًا على الأسس التي يقوم عليها الوطن. والخطر أكبر في الحالة اللبنانية. لماذا؟ الأسباب ثلاثة: صغر مساحة لبنان، وتركيبته القائمة على توازنات تاريخية، وضرورة حماية قيم وطنية تأسيسية لبنانية هي ثمرة جهود ريادية خلال اعلان دولة لبنان الكبير سنة 1920 والميثاق الوطني والاستقلال سنة 1943.

تعرّض لبنان وما يزال لحروب متعددة الجنسيات لأسباب خارجية.

يعيش العالم اليوم مأساة عالمية لا تقل خطورة عن الحربين العالميتين في القرن العشرين وهي مأساة النزوح والهجرة القسرية. حسب الإحصاءات الأخيرة لمفوضية الأمم المتحدة للاجئين يبلغ عدد النازحين في العالم 65 مليون نسمة أي بنسبة واحد لكل 113 شخصًا.

هذه الأرقام المأساوية هي مُؤشر للحالة المأساوية **للمواطنة** بالمعناها الحرفي، أي التواجد في مكان سكني آمن مع آخرين، وهذه المواطنة هي المنطلق **للمواطنية** أي العيش معًا والاندماج والالتزام والمسؤولية في مجال عام مشترك.

* محاضرة في مؤتمر مؤسسة أديان "المواطنية في لبنان: من الإشكاليات الى التحوّل المرتجى"، فندق مونرو، بيروت، 2016/7/18.

* عضو المجلس الدستوري.
رئيس كرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار، جامعة القديس يوسف.
جائزة الرئيس الياس هراوي: لبنان الميثاق، 2007.
جائزة مؤسسة المونسنيور اغناطيوس مارون، 2015.
عضو مؤسس للمؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم (جائزة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة جوزف ولور مغيزل "للسلم الأهلي وحقوق الانسان"، 1997).

هذه الأرقام المأساوية هي مصدر مخاوف وتهديد في العديد من الأوطان لسببين على الأقل: أولاً لأن هؤلاء الضحايا هم عرضة للاستغلال من جماعات متطرفة وارهابية، وثانيًا لأنهم بكثافة تواجدهم يثيرون مخاوف لدى السكان الوطنيين بتعريض الهوية الوطنية والقيم التأسيسية للوطن للخطر.

ظاهرة النزوح وكثافته ستتفاقم في السنوات المقبلة لأسباب عديدة أبرزها التالية:

1. انتفاء الحروب المباشرة بين الدول وانتشار حروب مُمتدة وبالوكالة وطويلة الأمد في دول ضعيفة أو مستضعفة وفي إطار صراع إقليمي ودولي.

2. ضعف سلطة الدولة لصالح جماعات عابرة للدول.

3. وجود بؤر نزاعات في العالم بدون معالجة على المستوى الدولي وأبرز هذه البؤر النزاع العربي الإسرائيلي الذي هو مصدر أكثر الاضطرابات وأسباب النزوح في الشرق الأوسط.

4. تفاقم التباين بين الأغنياء والفقراء عالميًا وتاليًا ظاهرة الفقر.

***

ما تأثير النزوح والهجرة القسرية على المواطنية؟ هذه الظاهرة العالمية المأساوية الممتدة والتي يُخشى تفاقمها في مطلع القرن الواحد والعشرين تضرب بالعمق مفهوم المواطنية وممارستها، بالنسبة للنازحين وبالنسبة لسكان الوطن وتراثه وقيمه التأسيسية. لماذا؟ تتدرج المواطنية في ثلاثة مكوّنات: علاقة **بالمكان**، وعلاقة **بالمواطنين** القاطنين في هذا المكان، وعلاقة **بالسلطة** القيّمة على الشأن العام في هذا المكان ومع هؤلاء المواطنين.

طبعًا هناك مواطنية عالمية. كل انسان مواطن في بلده ومواطن في العالم. لكن المقتلع من وطنه وجذوره وشبكة علاقاته وثقافته وهويته، هو كائن بشري ضائع قد يندمج في بيئته الجديدة أو قد يظل هامشيًا ومتقوقعًا وفي غُربة عن ذاته ومحيطه. تتلخص المواطنية في ثلاثة مبادئ: انا معني، انا مشارك، انا مسؤول. كيف أكون معنيًا ومشاركًا ومسؤولاً في حالة من الغربة والاغتراب الثقافي؟

بالنسبة للمواطنين في المجتمع الذي يستقبل كثافة من النازحين والمهجرين قسرًا لا يقل الوضع خطورة. يجب تفهم مشاعر الخوف على الكيان الوطني والهوية الوطنية التي يُثيرها قدوم أفواج من النازحين في أي بلد من العالم. ليس هذا الخوف شوفينية وعنصرية ورفضًا للآخر وللاختلاف. انه خوف معبّر ايجابًا عن مدى رسوخ القيم الوطنية التأسيسية

في مجتمع، ومدى حرص هذا المجتمع ان يكون مجتمعًا، أي قادرًا على الجمع، ومدى رسوخ وطنية المواطن مكانًا وزمانًا وتراثًا متناقلاً بين الأجيال.

هذا الخوف لدى المواطنين في المجتمع الذي يستقبل نازحين له مبرراته الأمنية، لأن هؤلاء الضحايا، وبخاصة الأولاد والمراهقين منهم، في حال عاشوا الفقر والتهميش والاقصاء وعدم توفر مستلزمات السكن والتربية والصحة والرعاية، سيكونون عرضة للاستغلال والتعبئة من جماعات مُتطرفة وارهابية.

عندما نتكلم عن الخوف المبرر في أي وطن في استقبال أفواج ضخمة من النازحين لا نعني العدائية والتقاعس عن الموجبات الإنسانية. انه خوف **من** النازحين وخوف **على** النازحين بالذات كي لا يتحولوا الى أدواة سهلة في الاضطراب الأمني والاستقرار من قبل جماعات داخل الدولة وعابرة للدول.

ما العمل؟

1. مقاومة اللامبالاة العالمية: ان عدد النازحين والمهجرين قسرًا سنة 2015. يبلغ 65 مليون نسمة، أي بنسبة نازح لكل 113 شخص على الكرة الأرضية، يُشكل واقعًا بالغ الخطورة على السلام العالمي. ولا يقل خطورة، في عمق المجتمعات، عن الحربين العالميتين في القرن العشرين. هذا الواقع هو من أبرز أسباب الإرهاب وضرورة مكافحته، لأن النزوح هو نتاج حروب ممتدة وطويلة الأمد وبالوكالة في دول ضعيفة أو مستضعفة وبدون مواجهة جديّة من المنظومة العالمية، بل مع "عولمة اللامبالاة" حسب تعبير البابا فرنسيس.

الحروب المتعددة الجنسيات في لبنان (1975–1990)، والحروب السورية وفي سوريا، وبقعة التوتر منذ نصف قرن في النزاع العربي الإسرائيلي، هي نماذج في هذا المجال.

2. حماية المجتمع من خلال ترسيخ قيمه التأسيسية: يقوم كل وطن على قيم تأسيسية مشتركة تتجسد في دستوره وتراثه وشخصية أعضائه الجماعية وسلوكياتهم. هذه القيم التأسيسية، الخصوصية والعالمية في آن، هي الحصن المنيع تجاه المخاطر التي تهدد

الكيان الوطني والهوية الوطنية. أبرز الحاجات اليوم مقاومة الانجراف في عولمة استهلاكية والتركيز على التربية المواطنية حول القيم التأسيسية للوطن.

3. رعاية النازحين اجتماعيًا وثقافيًا وتربويًا[1]: يتمتع لبنان بتجربة أليمة وغنية في آن في الاندماج وفي الحفاظ على الهوية الوطنية للنازحين، بخاصة في ما يتعلق بالفلسطينيين. ويتمتع لبنان بقدرة فائقة في الاندماج لمن يأتلف مع طبيعته، وبقدرة فائقة في النبذ لمن يتصدى لطبيعته من خلال مختلف تجارب لبنان التاريخية مع المحتلين والمعتدين وممارسي أي شكل من أشكال الاحتلال والوصاية والتبعية. يتجلى ذلك في خروج الفلسطينيين المسلحين من لبنان بعد انغماسهم في القضايا الداخلية اللبنانية. ويتجلى في خروج الإسرائيليين من بيروت وهي المدينة الوحيدة في المنطقة العربية التي احتلّوها وخرجوا منها ثم من الجنوب. ويتجلى ذلك في خروج الجيش السوري من لبنان بعد العملية الحربية الإرهابية ضد الرئيس الشهيد رفيق الحريري وموكبه.

بعنوان: **لبنان**، يكتب رينه حبشي:

لبنان

إن كرجت على شفتيه نعم

جاؤا يسألونه الملجأ والملاذ
فلم يرفض طلباً،
ولا عرفت شفتاه كلاً.

ولأن جبله حصنُه، ولأنّه دفاعُه،
كرجت على شفتيه نعم.
ولأنّه بالدين مؤمن،

Le Liban

A tous ceux qui sont venus
Lui demander l'asile ou le confort,
Ce pays n'a jamais su dire non.

Parce que sa montagne
Était une défense,
Il a dit oui à tous les éprouvés.
Parce qu'il était religieux
Il a dit oui à toutes les prières.
Parce que ses frontières
Sont étendues et non contrôlables
Il a dit oui.

Par indulgence, par générosité,

---

[1] حول حظوظ وصعوبات الاندماج: شهادات نازحين في: **ملحق مشروع بناء السلام**، الرقم 12، حزيران 2016، 16 ص، ص 5 وحول دور البلديات: سامي عطاالله، ص 8-9؛ وباليغ تاسلكيان، "حظه التجول وحقوق الانسان في السياق السوري في لبنان"، ص 11، وحول مخاطر التوطين ورفضه، ص 2.
ومشاركتنا في ندوة ميلانو بإدارة الكاردينال Angelo Scola:

Dialoghi di Vita Buona, Migranti, le paure da vincere; Messarra, « L'esempio del Libano », *Il Segno della diocesi di Milano*, 6/2016, pp. 4-5.

خلاصة في:

A. Messarra, "Le Liban synthèse intégrative face à tous les intrus", *L'Orient-Le Jour*, 23/6/2016; et "Des élèves découvrent les valeurs fondatrices du Liban », *L'Orient-Le Jour*, 13/6/2016.

Et pour rendre à chacun
La tendresse de la vie,
Il a dit oui.
Par faiblesse aussi,
Dans certains cas,
Il a dit oui.

Et cela lui a fait
Un visage étrangement humain,
Terre et Ciel mélangés,
Boue et lumière en osmose.

Si bien que le oui
Est devenu
Son incarnation
La plus personnelle.

René Habachi

بوجه كلّ صلاة، وكلّ دعاء،
كرجت على شفتيه نعم.
ولأن حدوده شاسعة، لا رقيب ولا حسيب،
كرجت على شفتيه نعم.

وبالرحمة وبالكرم،
ومن أجل أن يعيد
لكلّ إنسان،
حنان العيش،
كرجت على شفتيه نعم.
وبالضعف لربّما أحياناً،
كرجت على شفتيه نعم.

وبعد، فقد صار،
ويا للغرابة،
وجهه من وجه الانسانيّة،
تختلط فيها الارض بالسماء
ويتشارك فيها الوحل بالنور.

الى أن أصبحت نعم
تجسيدَ شخصيّته،
في عمق أعماقها.
رينه حبشي (تعريب هنري عويس)

لا يعني ذلك الركون الى خبرة لبنان الماضية تجاه مخاطر مُستجدة مع نزوح كثيف وممتد قد يُهدد الكيان اللبناني.

ان تربية الأطفال السوريين وإنماء انتمائهم وإرادتهم بالعودة تشكل أبرز الأولويات فيكون اللبنانيون قد حافظوا على كيانهم وهويتهم وعلى الهوية الوطنية السورية للنازحين.

8

اللاجئون في لبنان: سياسات عامة ورؤية مستقبلية

أنطوان نصري مسرّه

تُشكل ورشة العمل التي عُقدت في قاعة المحاضرات في مجلس النواب، بتنظيم من لجنة حقوق الانسان النيابية ومعهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت والمؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم، وبرعاية رئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه بري، حول موضوع: "اللاجئون في لبنان: سياسات عامة ورؤية مستقبلية"، في 2017/6/13، اطارًا مرجعيًا للبحث والتخطيط والاستشراف.

شارك في الورشة نواب ووزراء وحقوقيون وفاعلون في المجتمع المدني. تهدف الورشة الى مقاربة موضوع اللاجئين في لبنان من الناحية الاجتماعية والاقتصادية واستخلاص اقتراحات تُساهم في بلورة رؤية مُستقبلية. وتندرج الورشة في إطار يوم اللاجئين العالمي في 20 حزيران. تولى تنظيم الورشة المحامي ربيع قيس، منسق البرامج في المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم. تمحورت المداخلات والمناقشات حول الحالة الراهنة للاجئين واقتراحات في سبيل بناء سياسات عامة.

1
توصيف الحالة الراهنة

في توصيف للحالة الراهنة يُستخلص من الورشة ثلاثة أمور جوهرية:

1. **ضغط على البنية اللبنانية:** يظهر من ارقام المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في حزيران 2017 ان عدد اللاجئين السوريين 1،1 مليون لاجئ مُسجل في لبنان، أي ما يعادل سوريًا واحدًا مقابل كل 4 لبنانيين. يتوزع 18% على خيم عشوائية و83% يقيمون في مساكن اغلبها غير مؤهل. ويضخ السوريون في الاقتصاد اللبناني سنويًا من عائدات الايجار حوالي 400 مليون دولار. وما يوازي 86% من السوريين يسكنون في المناطق التي تضم 66% من المجتمعات اللبنانية المهمشة. في منطقة النبعة وحدها حيث عدد المقيمين 700، 14 يوجد 800، 9 نازح سوري (*طارق عسيران*).

يرفع النزوح الكثيف، في وطن صغير المساحة ومحدود الإمكانات، مستوى المخاطر (*النائب ميشال موسى*) ويُشكل عبئًا على السكان (*النائب ياسين جابر*) وضغطًا على المدينة التي لم تعرف اساسًا تطورًا عمرانيًا (*طارق عسيران*). يحتاج لبنان اساسًا الى 000، 25 فرصة عمل سنويًا ويعاني من هجرة أبنائه ومن محدودية سوق العمل وشح المانحين (*معين المرعبي*) ومن الفقر والمديونية.

2. **احتقان نفسي واجتماعي:** وردت توصيفات عديدة لواقع النزوح: احتقان شعبي (*ناصر ياسين*)، مخاوف، معاناة، وغالبًا مساهمة من بعض الاعلام في تغذية المخاوف وبدون مقاربة موضوعية. يُؤثر النزوح

على الحياة اليومية للمواطنين مضافًا الى كارثة فلسطين ومفاعيلها (*النائب ميشال موسى*) ويؤثر على يوميات المجتمع (*الوزير مروان حماده*).

3. **شح المانحين:** ما يزال الدعم محدودًا اذ لم يصل الى لبنان الا 19 مليون دولار تقريبًا من اصل 320 مليون دولار (*وليد عمار*).

2
ما العمل؟

يُستخلص في المداخلات والمناقشات وعلى ضوء استعراض الحالة الراهنة، وانتقالاً من التحليل والوصف والتشكي، خمسة توجهات تطبيقية:

1. **تنمية التعاطي العلمي حول الموضوع:** من الضروري تطوير التعاطي العلمي حول موضوع النازحين (*فاطمة بو سالم*) حيث نقص في المقاربة العلمية او اعتماد الاثارة. في ما يتعلق بالأرقام من الضروري الاعتماد على مصادر موثوقة (*ناصر ياسين*) ودقيقة (*طارق عسيران*)، ولكن مع كثير من الحكمة في التفاصيل حيث ان بعض المعطيات قد تستغلها جهات استخباراتية للمس بسلامة النازحين. يُساهم التعاطي العلمي بمضاعفة المصداقية اللبنانية تجاه الجهات المانحة. تتدرج تاليًا ورشة العمل في اطار تطوير المقاربة العلمية والشاملة وبدون اثارة (*Mireille Girard, UNHCR*).

2. **المباشرة في التخطيط لبنانيًا:** ورد إجماع في المداخلات والمناقشات على ان اعتبار كل مشاكل لبنان نابعة من النزوح غير صحيح، لكن "النزوح اثقل المعيار" (*النائب ياسين جابر*) وزاد الضغط (*ناصر ياسين*) وخلق مشكلة إضافية. يتطلب تاليًا الواقع اللبناني قرارات وإصلاحات جذرية لمعالجة مشاكل تراكمية (*النائب ياسين جابر*) والعمل على معالجة المواضيع بجدية (*النائب* محمد *قباني*).

هل بالإمكان تحويل بعض مظاهر النزوح الى مؤشر إيجابي؟ (*طارق عسيران*) من خلال وضع برامج "حيث يجب ان تكون" (*ناصر ياسين*)؟ ورد في الاقتراحات ان العمل على البنى التحتية يخلق فرص عمل بخاصة في البلديات (*طارق عسيران*).

3. **الرعاية الصحية والتربوية:** خلال ورشة العمل تم التشديد على التأهيل المدرسي للأطفال النازحين الذين اذا إفتقروا الى التربية سيتحولون الى أفواج ناقمة وعاطلة عن العمل وضحية استغلال من جماعات مُتعصبة وارهابية. هل يتوفر الوعي الإقليمي والعالمي حول المخاطر في زمن ينتشر فيه التعصب والإرهاب؟ هذه القضية هي "الأكثر دقة وخطورة وكلفة وهي قضية وطنية كبرى لكن وزارة التربية محدودة الإمكانات فتسعى الى ان **تجود بالموجود**" (*وزير التربية مروان حماده*).

يستخلص من إحصاءات وزارة التربية ان عدد الأطفال النازحين هو حوالي 000، 500 طفل نصفهم تقريبًا في المدارس في دوام قبل الظهر (000، 67) وبعد الظهر (000، 124). عددهم في المدارس الرسمية حولي 000، 35 وفي المدرسة الخاصة حوالي 000، 40. كثيرون لا يلتحقون بالمدرسة بسبب

صعوبات النقل. فهل تنشأ مدارس داخل المخيمات او على الأقل مراكز لمحو الامية؟ وتتعاقد وزارة التربية مع حوالي 000، 3 معلم ولكنها تجابه صعوبات بسبب وضع الميزانية العامة في توفير رواتب هؤلاء المعلمين.

في مجال الرعاية الصحية تعمل وزارة الصحة على "حماية صحة النازحين واللبنانيين ايضًا، فاستطاع النظام الصحي اللبناني ان يتكيف مع موجبات الحماية من الأوبئة والكوليرا اذ لا نحافظ على صحة اللبنانيين بدون صحة الموجودين على ارضه" (*وليد عمار*).

يُستخلص من بعض الأرقام ان حوالي 43% من النازحين يعانون امراضًا مزمنة. الكلفة المقدرة للاستراتيجية هي حوالي 320 مليون دولار. ويلاحظ ان 000، 300 من النازحين هم دون الخمس سنوات وان مؤشر الخصوبة لدى النازحين السوريين هو 165 بالالف في حين هو 59 بالالف لدى اللبنانيين (*وليد عمار*).

4. **العودة الطوعية والآمنة:** يتوفر توافق حكومي حول مشكلة النازحين، وبالتالي يقتضي العمل عالميًا على توفير حلول مشتركة من خلال حل سلمي (*النائب ميشال موسى*). ورد في احدى المداخلات: "علينا على طول ان نذكّر العالم وان **يضلّوا يصرخوا**" (*النائب ياسين جابر*) لان النقص هو في "التضامن الدولي" *(Philippe Lazarini, UN Resident and Humanitarian coordinator)*. لم يوقع لبنان على اتفاقية فتح الحدود للنازحين لأسباب متعلقة بخصوصية لبنان ولكنه لا يمكن اعادتهم قسريًا (*ماري بل طربيه*). تم بالتالي التشديد على العودة الآمنة والطوعية، لكن العودة مُشكلة معقدة (*ناصر ياسين*) والمناطق الامنة مشكلة مُعقدة وقد تستغرق العودة سنوات ولا تحل بـ 200 مليون اقل او اكثر (*نديم المنلا*).

يقتضي خلال كل هذه الفترة الاستفادة من الخبرة اللبنانية في ايجابياتها فنعمل في تربية الأطفال النازحين للحفاظ على هويتهم، كما حصل للفلسطينيين في لبنان الذين اندمجوا في المجتمع مع محافظتهم على هويتهم في مدارس الانروا وغيرها. وقرأ في افتتاحية الورشة نثر شعري للفيلسوف اللبناني رينه حبشي يقول فيه ان عظمة لبنان ومأساته انه "درجت عليه النعم الى ان أصبحت النعم تجسيدًا لشخصيته". ويتطلبه الحفاظ على الهوية السورية تسجيل كل الولادات.

5. **رصد نماذج إيجابية وتمكين:** في سبيل مقاومة المخاوف والهواجس بُدون فاعلية، يتوجب العمل على رصد ووصف الإيجابيات (*Tanya Chapuisat, Unicef Lebanon*) ورصد المشاريع التي لا تنافس اليد العاملة والاستثمارات في البنى التحتية والعمل على تحسين صورة اللاجئ من خلال قصص حياتية معاشة (*ناصر ياسين*). ويستخلص من مداخلات *ماريو أبو زيد* ممثلاً وزير الشؤون الاجتماعية، *ونادين نعمه* ممثلة وزير الاقتصاد، و*Alexis Lober* ممثلاً الاتحاد الأوروبي مقترحات في سبيل استراتيجية اجتماعية اقتصادية.

***

وُزع على المشاركين مجموعة وثائق صادرة عن معهد عصام فارس في الجامعة الأميركية في بيروت ابرزها التالية:

دانيال ماسترسن، "المساعدات النقدية للاجئين السوريين في لبنان"، **موجز سياسات**، معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية AUB Policy Institute، آذار 2016، 4 ص.

هل من مأوى لهم؟ بحث حول توفير مآو مؤقتة للاجئين السوريين في لبنان، UN Habitat ومعهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية، الجامعة الأميركية في بيروت، 2015، 78ص.

الباب الخامس

الحوار والمصالحة وقيم لبنان التأسيسية

في برامج كرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار

1

جائزة هاني فحص للحوار والتعددية في جامعة القديس يوسف

ندى عيد طياره

أقامت أكاديميّة "هاني فحص للحوار والسلام" وكرسي اليونيسكو لدارسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار في جامعة القدّيس يوسف في بيروت وكرسي اليونيسكو في جامعة الكوفة ودار العلم – الإمام الخوئي، احتفالًا في معهد الدراسات الإسلاميّة – المسيحيّة في كليّة العلوم الدينيّة في جامعة القدّيس يوسف (حرم العلوم الإنسانيّة – طريق الشام)، أطلقت خلاله جائزة "هاني فحص للحوار والتعدُّديّة"، كما وقّعت الأطراف المشاركة اتفاقيّة تعاون في ما بينها.

حضر الاحتفال ممثل الرئيس سعد الحريري عضو كتلة المستقبل النائب عمّار حوري، الوزير السابق ناظم الخوري، النائب السابق سمير فرنجية، ممثل مؤسّسة "كونراد أديناور" الألمانية التابعة للحزب "الديمقراطي المسيحي" بيتر ريميله، ورئيس جامعة القدّيس يوسف البروفسور سليم دكّاش، ورئيس كرسيّ اليونيسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار البروفسور أنطوان مسرّه، وعمداء ومديرو كليّات في جامعة القدّيس يوسف، إضافة إلى حشد من الأكاديميين والناشطين السياسيين والمدنيين والصحافيين والمثقفين والطلاّب وعائلة الراحل السيّد هاني فحص.

***

بداية النشيد الوطني، ثم تحدّث رئيس كرسي الأونيسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار في جامعة القدّيس يوسف البروفسور **أنطوان مسرّه** الذي استذكر صديقه الراحل العلاّمة هاني فحص، فقال: "أريد دائما الإصغاء إلى هاني فحص. كلمته محملة

بالصدق والمحبّة، مُجسّدة، نابعة من الخبرة، من المعاناة، ومن القلب تجاه سجال أيديولوجي سائد ومعلّب".

وختم قائلاً: "في زمن البناء وإعادة البناء وفي توجهات أصيلة وعالمية عن الإسلام والأديان والعلاقات بينها، والعلاقات الإسلاميّة- المسيحيّة في لبنان والعالم العربيّ، تراث هاني فحص منبع إلهام ونموذج ومثال وطريقة استعمال يوميّة".

ثم ألقى الأمين العام لـ"مؤسّسة الإمام الخوئي الخيريّة" عضو "المجلس العراقيّ لحوار الأديان" **الدكتور جواد الخوئيّ** كلمة استهلها بالقول: "يسعدني ويشرفني باسم كرسي اليونيسكو للحوار بين الأديان في جامعة الكوفة ودار العلم الإمام الخوئي في النجف الأشرف، أن أكون بينكم في جلسة وفاء وتقدير وتكريم وتخليد لرمز من رموز الإنسانيّة المعطاء".

ورأى أن هاني فحص "لم يكن لبنانيًا ولا عراقيًا أيضًا، بل عربيّ مفتخر بهوّيته. لم يمثّل الشيعة بل السنّة كذلك، لم يهتم بالمسلمين حصرًا بل بالمؤمنين جميعًا، لم يكن إسلاميًا بل كان مسلمًا عقلانيًا معتزًا بانتمائه. حضوره يمثّل روح الأديان السمحاء، مشروعه إنسانيّ لجميع البشر، كان يحبّ الحياة ويريدها للجميع متصالحًا مع نفسه أولاً ومن ثمّ مع الآخر، ليس ضد الاختلاف لكن يؤكّد المشتركات، يحترم المختلف كما هو بما هو، لم يكن تبشيريًا ولا داعية لدين أو مذهب. هاني فحص لم يرد من الحوار الخوض في المسائل اللاهوتيّة العقيديّة بل اهتمامه بالعيش المشترك والكريم للجميع على أساس المواطنة والدولة المدنيّة العادلة وترسيخ فصل الدين عن الدولة". خاتمًا: "كم نحن بحاجة إلى الحكيم هاني فحص في مثل هذه الأيّام التي تمرّ بها منطقتنا بوضع مؤسف لا نُحسد عليه".

***

بعدها، ألقى نجل العلاّمة الراحل السيد هاني فحص، الصحافي **مصطفى فحص** كلمته، فقال: "ذات صباح لا يختلف عن غيره من صباحات بيروت المفتوحة على البحر وما وراءه وعلى الجبل وما خلفه، مثل تائها المفتوحة، التي وسعت مع مرور الأيّام وعبور الأمم والغزاة والفاتحين حتى أكسبتها ميزة استيعاب الأضداد وجعلتها مسكن التعدد وخيمة الحوار وملجأ

الآخر، الذي قدم ليسكنها فسكنته. ذات صباح كان أنطوان قربان يحاول استعارة علامات الرفع والنصب والجر لضبط نص شديد البلاغة والأصالة كأنه يحاول بذلك أن يُخرج الفكرة من انكسارها ويرتقي بخيالاتها إلى حال الحقيقة. صديقي الدكتور قربان ها هي الفكرة التي تداولناها ذات صباح أصبحت حقيقة بعد أن أودعناها في عهدة المعماري العتيق الذي بناها لبنة لبنة طيلة خمسة شهور ليضعها أمامنا مشروعًا إنسانيًا لأجيال سلب منها سلاطين هذا البلد اللغة وحروفها والفكرة وحقيقتها والحياة وأملها والمعرفة بالآخر كجزء من تكويننا وثقافتنا المشتركة".

أضاف: "حوَّل الدكتور أنطوان مسرّة الفكرة إلى واقع ومأسسها وجعلها مسؤولية كلّ منا، الفكرة التي هي ما لهاني فحص في كلّ منا. وكانت جامعة القدّيس يوسف محطّ رحالنا، لأنها منذ تأسيسها ساهمت في صنع مثال لبنانيّ وعربيّ حريص على فكرة إقامة الدولة وحماية الحريّات وتنوّع الثقافات وفضح الفساد والزبائنيّة السياسيّة والدينيّة. فكان لها من اسمها نصيب، من اسم يوسف القدّيس، الأبّ الأرضيّ حارس العِفَّة الذي إئتمنه الآب السماويّ على حماية الكلمة منذ البدء. وجامعة القدّيس يوسف حارسة العِفَّة في هذا الزمن الرديء التي أثبتت أن الثراء الحقيقيّ هو الإنسان المتعلّم المتنوّر المثقف".

وعن هاني فحص قال: "من الكوفة، حيث بيت جدّه علي بن أبي طالب، مدرسته الأولى التي تجلت فيها مواهبه في الشعر والأدب والسياسة والدين كمنطلق إلى الإيمان بالآخر لا إلغائه، فيها وَلَّد من اقتران الحروف لغة سمحاء فاستحقّ لقب السماحة. كان الكلّ حين تضيع الجماعة في تشتتها والمنفرد حين تتعصّب لواحدها والفرد الواحد إذا تحولت الجماعة إلى قطيع، كان رفيق درب الحقّ يؤنس وحشة العابرين الذين خرجوا من ظلام العصبيّة والحزبيّة والقبليّة إلى مساحة الوطن المنفتح المؤمن بتعدد الهوّيات وتركيباتها.

هذا هاني فحص أكاديميّة في رجل، مؤسّسة على اسمه، بعد أن كانت رغبته إنشاء مشروع أكاديميّة تربي الأجيال على الحوار والتعددية والسلام، وهذه الجائزة خطوة نحو تحويل ما تركه من إرث إلى مشروع علميّ وإسهام في إعادة تعريفنا ببعضنا البعض

ومشتركاتنا، علَّ الأجيال القادمة تستطيع أن تحمي بإرثه مستقبلها المحاط بكثير من الاستبداد والإرهاب والرفض والقمع والهجرة".

***

رحَّب رئيس جامعة القدّيس يوسف البروفسور **سليم دكّاش** اليسوعيّ، بالحضور من رسميين وأكاديميين وأصدقاء، ثم توقّف على صفات العلاّمة فحص فوصفه بأنه "وجه كريم وفكر نيّر وعباءة أمينة، وذكرى حلوة ومريرة في آن معا".

وقال: "نحن هنا لا من أجل جائزة هاني فحص، التي سوف تمنح من قبل أكاديميّة هاني فحص للحوار والسلام، بل من أجل السيد هاني فحص، الجائزة التي نالها الوطن اللبنانيّ والعربيّ، الذي بكلمته الواضحة الهادرة، أجاز التطرّق إلى الكثير من الموضوعات التي كان من العسير التطرّق إليها، كما أجاز للكثير من المريدين والتلامذة أن يحملوا أفكاره في الحوار والتواصل والسلام والمصالحة والتصالح إلى البعيد البعيد، فتستمرّ الشهادة ويكثر الشهود في أكثر من مكان وعلى أكثر من منبر"، مضيفًا "نحن نحتاج اليوم إلى السيّد هاني فحص وأمثاله في الفكر الدينيّ، لتحرير الدين من سجون العصبيّات والوحوليّات والزبائنيّة".

وتابع: "ولا ننسى أن السيّد هاني فحص كان من أهل هذه الجامعة (جامعة القدّيس يوسف) وفي أصلها كجامعة تلاقٍ وحوار، كجامعة قاعدة لحوار الهوّيات والانتماءات، فالحوار الإسلاميّ المسيحيّ موجود في تراثها منذ ما يزيد على قرن. كما كان السيّد فحص من جامعة الكوفة ولا يزال يدور في حناياها ومكتباتها، ليستمدّ فكره من رائحة الأوراق الماضية ومن تأملات السادة العلماء الأقوياء بمحبّتهم".

ثم تُرك المجال بعدها لمداخلات الحاضرين، فتحدّث كل من: حوري وفرنجية وقربان والأمير حارس شهاب ورئيس الحركة الثقافيّة في إنطلياس الدكتور أنطوان سيف.

ومن ثم، قدّم فرنجية دروعًا تقديريّة باسم "أكاديميّة هاني فحص للحوار والسلام" لكلّ من: الخوئي ومسرّة ودكّاش.

في الختام، تمّ توقيع بروتوكول الجائزة واتفاقيّة التعاون من قبل الجهات المتعاونة، المتمثلة بكل من: بادية فحص عن أكاديميّة "هاني فحص للحوار والسلام"، البروفسور أنطوان مسرّة عن كرسي اليونيسكو في جامعة القدّيس يوسف، الدكتور حسن ناظم عن كرسي اليونيسكو في جامعة الكوفة، البروفسور سليم دكّاش عن جامعة القدّيس يوسف والدكتور جواد الخوئي عن دار العلم الإمام الخوئي.

***

تنصّ بنود "جائزة هاني فحص للحوار والتعددية" على الشروع بمنح الجائزة ابتداء من هذا العام الدراسيّ، وهي جائزة سنويّة أو كلّ سنتين، تمنحها الأكاديميّة للطالبة أو الطالب المستحقّ، في كلّ من الجامعتين المشاركيتن ودار العلم، في سبيل متابعة إرث الراحل السيّد هاني فحص، في مؤلفاته وأعماله في المجالات التالية: الفكر الدينيّ، التعددية والحوار، وذلك من خلال عمل بحثيّ أو رسالة جامعيّة أو أطروحة أو كتاب أو انتاج فنيّ أو عمل ميدانيّ في قلب المجتمع. كما نصّت اتفاقيّة الجائزة على منحها لمن تقدّم بطلب المشاركة أو بناء على استقصاء تقوم به لجنة الجائزة بين الباحثين والفاعلين في الحياة العامّة.

2

اتفاقية

جائزة هاني فحص للحوار والتعددية

المادة 1: تنشأ ابتداء من 2016 جائزة سنوية أو كل سنتين تمنحها أكاديمية هاني فحص للحوار والتعددية في سبيل متابعة تراث السيد هاني فحص طيلة أكثر من نصف قرن في مؤلفاته وأعماله وفي المجالات التالية:

1. **الفكر الديني:** الأصالة والتجدد في الفكر الديني في لبنان والمنطقة.
2. **التعددية:** الدفاع عن تراث المنطقة العربية والشرق الإنساني وصيانته في تعددية نسيجه الديني والثقافي طيلة قرون.
3. **الحوار:** الحوار والتواصل والعلاقات الحياتية واليومية بين الأديان والمذاهب في لبنان والمجتمعات العربية والمشرقية كمصدر ثراء حضاري وايماني وسلم أهلي مستدام.

المادة 2: تُمنح الجائزة أكاديمية هاني فحص للحوار والتعددية وتتولى التنظيم كرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار في جامعة القديس يوسف وكرسي اليونسكو في جامعة الكوفة ودار العلم الإمام الخوئي.

المادة 3: تُعلن أكاديمية هاني فحص عن منح الجائزة وشروط المشاركة في الاشهر الاولى من كل سنة.

المادة 4: تُمنح الجائزة لعمل بحثي أو رسالة جامعية أو أطروحة أو كتاب أو إنتاج فني أو عمل ميداني في قلب المجتمع يندرج في إطار أهداف اكاديمية هاني فحص وذلك لشخص أو مجموعة أشخاص أو مؤسسة.

المادة 5: تُمنح الجائزة لمن تقدم بطلب المشاركة أو بناء على استقصاء تقوم به لجنة الجائزة بين الباحثين والفاعلين في الحياة العامة.

المادة 6: تتألف لجنة الجائزة من ثلاثة أعضاء أو أكثر تختارهم الهيئة التنفيذية في اكاديمية هاني فحص استنادًا الى نظاميها الأساسي والداخلي ومن الشخصيات المشهود لها في الحياة العامة ومساهمتها في ترسيخ العلاقات والتفاعل بين الأديان والمذاهب في لبنان وفي المجتمعات العربية والمنطقة.

المادة 7: تُمنح الجائزة خلال احتفال بدعوة من اكاديمية هاني فحص وفي اطار برنامج كرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار في جامعة القديس يوسف وكرسي اليونسكو في جامعة الكوفة ودار العلم الإمام الخوئي.

المادة 8: تُحدد اكاديمية هاني فحص سنويًا أو كل سنتين طبيعة الجائزة، مبلغًا ماليًا أو درعًا ووثيقة رسمية باسم الفائز بالجائزة، مع توقيع مؤسسة هاني فحص وكرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار في جامعة القديس يوسف وكرسي اليونسكو في جامعة الكوفة ودار العلم الإمام الخوئي وعلى أساس تقرير لمبررات منح الجائزة تضعه لجنة الجائزة.

المادة 9: يتم التوقيع على هذا النظام من قبل رئيس او ممثل عن اكاديمية هاني فحص للحوار والتعددية، وكرسي اليونسكو لدراسة الأديان المقارنة والوساطة والحوار في جامعة القديس يوسف، وكرسي اليونسكو في جامعة الكوفة، ودار العلم الإمام الخوئي.

المادة 10: تتألف اللجنة العلمية لسنة 2016- 2017 من: الدكتور انطوان مسرة، الدكتور حسن ناظم، الدكتور سعد سلوم، الدكتور وجيه قانصو، الدكتور انطوان قربان ومديرة المشروع السيدة بادية هاني فحص.

جهات الاتفاقية

اكاديمية هاني فحص كرسي اليونيسكو كرسي اليونيسكو جامعة القديس يوسف
دار العلم الامام الخوئي جامعة الكوفة

بادية فحص أنطوان مسرّه جواد الخوئي

رئيس جامعة القديس يوسف
البروفسور الاب سليم دكاش اليسوعي

3

هاني فحص: شجاعة الكلمة الحق

أنطوان نصري مسرّه

اريد، اريد دائمًا، الاصغاء الى هاني فحص. كلمته مُحمّلة بالصدق والمحبة، مُجسّدة، نابعة من الخبرة، من المعاناة، ومن القلب، تجاه سجال سائد ومعلّب.

رجل ايمان في زمن تعبئة أيديولوجية، ورجل مبدأ في زمن حيث القواعد البديهية في الحياة العامة تلوّثت مع مساحيق تجميلية. رجل الشجاعة في زمن الانتهازية، وزمن التموضع، والمسافة الواحدة تجاه التناقضات.

كنت ادرك احيانًا الى أي مدى نفسه حزينة بدون لجوئة الى سجال عقيم، او إتهام الغير، او تصوير نفسه كضحية، لان عمق ايمانه المعاش لا يأتلف مع أي مسلك عدائي.

***

هاني فحص، رجل الحوار الحق بدون مراوغة، وبادراك نيّر ورؤية وجرأة. إنه يعطي معنى وابعادًا للتفاعل الثقافي.

في زمن استنسابية موحشة، وايديولوجيات متستّرة بالدين، وتجار هيكل يقتحمون كل الهياكل، هاني فحص متجذّر في لبنانيته وعروبته وإسلامه وشيعيته... في إنسانية عالمية.

هاني فحص، الملتزم في الايمان والحياة العامة، لم يصمت.

طيلة ثلاثة اجيال على الأقل، مسؤولون عربًا في مراتب دينية عليا اعتمدوا الصمت، او تواطئوا بفعل المصلحة، او الخوف، او الكسل... تجاه اسلام لم يعد مسلمًا.

غادر هاني فحص بفعل المرض، وأيضًا بفعل حزن عميق اكثر وطأة، وربما ادراكًا منه انه وحيد بين مواطنيه واقرانه.

***

من خلال شخصيات مثل هاني فحص يُمكن ان نرسي السلم الأهلي الثابت في لبنان، هذا السلم الثابت الذي كان منبع إنشاء المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي الدائم وعمل العديد من المؤسسات في لبنان والمنطقة التي تؤسس في سبيل الإدارة الديمقراطية للتنوع في لبنان والمجتمعات العربية.

ما نعيشه اليوم من مخاطر تعصّب من أزمنة غابرة، وما نعيشه من تدهور وانحطاط قيمي هو نتيجة سلوكيات رمادية، ملتبّسة، خائنة للحق والعدل. يقول انطوان دي سان اكزوبري Antoine de Saint–Exupéry عن هؤلاء: "اني اتقيؤهم واعيدهم الى اجوائهم الضبابية: تعالوا الي حين اكتمال بنيتكم"[1]

في زمن البناء وإعادة البناء، وفي توجهات اصيلة وعالمية في الإسلام والأديان والعلاقات بينها، والعلاقات الإسلامية المسيحية في لبنان وفي العالم العربي، تراث هاني فحص منبع الهام ونموذج ومثال وطريقة استعمال يومية.

---

[1]. “Je les vomis et les rends à leurs nébuleuses : venez me voir quand vous serez bâtis » (Saint-Exupéry, *Citadelle*, XCVI).

4

لقاء أبناء الجبل

متابعة مصالحة الجبل ثقافيًا وتربويًا في قلب المجتمع

استضاف معهد الدراسات الإسلامية المسيحية التابع لكلية العلوم الدينية في جامعة القديس يوسف في بيروت، اللواء الركن المتقاعد شوقي المصري ضمن سلسلة "محاضرات مهنية" التي يشرف عليها أنطوان مسرّه، ليعرّف طلاب الماستر في شهادة العلاقات الإسلامية المسيحية بـ "لقاء أبناء الجبل" ودوره في بناء المصالحة.

رمزية شهر نيسان

تحدّث اللواء المصري عن تأسيس "لقاء أبناء الجبل" كتجربة "في العيش والتواصل معًا" متوقفًا عند رمزية شهر نيسان الذي يصادف الذكرى الأولى بعد الأربعين للحرب اللبنانية التي "اندلعت في 13 نيسان 1975 وما زلنا نعاني من ويلاتها حتى الآن" مؤكدًا أن الهدف من الاستذكار الآن، مؤكدًا ان الهدف من الاستذكار ليس نكء الجراح بل التبصر والتفكير واستخلاص العبر وتجنّب تكرار ما حصل، إذ عندما حملنا السلاح انحرفنا نحو متاهات لم نخرج منها بعد (...) واضعنا الفرص لتصحيح الشواذات، فنحن دخلنا الحرب بهدف الإصلاح، تقاتلنا طائفيًا وعمّ الفساد وعمّت الفوضى".

وبعد مقدّمة وصّف فيها الوضع الراهن وعلاقته بالماضي القريب ونتائج الحرب انتقل للكلام على "لقاء أبناء الجبل" فشرح أهدافه التي تدور حول ثلاثة محاور أساسية: التواصل، والتنمية، وبناء ذاكرة المستقبل.

وبيّن "أهمية التواصل في تعزيز أواصر المودة والثقة والتشديد على العيش الواحد بين أبناء الجبل، كما بين أبناء الوطن الواحد"، مذكّرًا بالقول الشهير: "إذا كان الجبل بخير يكون لبنان بخير"، وضورة "بناء جسور التواصل بين أهلنا في لبنان والمهجر". وفي محور

التنمية أشار الى أهمية العمل على "التعاون المخلص والبناء في سبيل الحفاظ على خصوصية الجبل وأبنائه، والعمل على إنهاضه وتقدمه وازدهاره".

وعلى صعيد بناء ذاكرة للمستقبل فنّد اللواء المصري كيفية تحقيق ذلك عن طريق "أخذ الدروس والعبر من سلبيات الماضي لتوظيفها ايجابيًا في المستقبل، وتوعية أبناء الجبل خاصة الأجيال الصاعدة على نبذ الأحقاد ونسيان الماضي في محطاته البغيضة، والتركيز على الصفحات المشرقة من التعاون والتآلف والعيش المشترك، والإيمان بالوطن النهائي والمستقل والتمسك بمؤسساته كمرجعية دون سواها..."

ممارسات فعلية

ثم انتقل اللواء المصري للحديث على الممارسات الفعليّة التي قام بها أعضاء اللقاء على الأرض منها على سبيل المثال: لقاء عين زحلتا، ولقاء عبيه، ولقاء بيت الدين، ولقاء بتخنيه، ولقاء منطقة الجرد في صوفر إلخ...وخلال هذه اللقاءات تمّ الاستماع الى شهادات الناس. وهواجسهم، والتركيز على الممارسات الحميدة التي قام بها الأهالي تجاه بعضهم البعض خلال الحرب وفي أصعب الظروف... وختم المصري كلامه بالقول: "على اللبنانيين أن يعوا أن غدهم مضمون فقط بوحدتهم، وعليهم أن يلتقوا على المحبة والتعاون والتعاضد برغم كل مشاريع التفرقة المستوردة، فلبنان الذي يخاف على أبنائه يخاف منهم في الوقت ذاته، ومطلوب منا جميعًا ان نبقى موحّدين وان نحافظ على تراثنا وتاريخنا".

تشييد متحف بلدي

من جهته تحدّث مسرّه بصفته عضوًا مؤسسًا في اللقاء، فشدّد على أهمية "استعادة الثقة بخاصة لدى الجيل الجديد وإرساء قناعة بأن التاريخ لن يعيد نفسه في لبنان كما لدى الشعوب المتخلفة التي لا تتعلم إلا في التاريخ وليس من التاريخ"، ثمّ عدّد المبادرات العمليّة التي اقترحها اللقاء في مناسبات أقامها منها في عين زحلتا، مثلاً، كنموذج للمتابعة والاقتداء في بلدات أخرى، وهي اقتراحات تهدف الى "التواصل وبناء ذاكرة المناعة للمستقبل، والتوبة القومية الرادعة، من خلال تشييد متحف بلدي ليس حول تاريخ لبنان والحكّام بل تاريخ اللبنانيين في تفاعلهم اليومي وتواصلهم وتقاليدهم ومعاناتهم وإنجازاتهم، وإصدار وثيقة شبيهة بوثيقة جبيل في بداية عام 1976 داعيًا الى "اعمال إنمائية لا تغيّر في سلوك الناس فحسب

إنما التنمية التي تغيّر في سلوك الناس من خلال توجّه نفسي ثقافي اجتماعي تربوي، لأن الخطر هو التكرار من قبل جيل الأحفاد وما بعدهم، إذا لم تتم تنقية الذاكرة ومعالجتها وبناء المناعة الداخلية واستعادة الثقة وتعميمها".

تراثنا المشترك في الجبل
تواصل وتنمية وذاكرة للمستقبل

اولاً– تواصل

1. تعزيز اواصر المودة والثقة، والتشديد على العيش الواحد بين ابناء الجبل، كما بين ابناء الوطن الواحد.

2. التأكيد والاصرار على ان هذا اللقاء ليس لقاء طائفيًا، وليس موجهًا ضد احد، بل هو لقاء وطني، نأمل من خلاله الانتقال الى لقاءات تشمل كل العائلات اللبنانية على كامل مساحة الوطن.

3. اعتماد الصلات الروحية والاجتماعية والثقافية دون سواها كمرجعية بين اعضاء اللقاء.

4. العمل وضمن الامكانات المتاحة، وفي كافة الميادين الممكنة، للحؤول دون وقوع ما لا تحمد عقباه بين ابناء الجبل، سواء ضمن الطائفة الواحدة، او بين المكونين الرئيسين لمنطقة الجبل.

5. بناء جسر التواصل بين اهلنا في لبنان والمهجر.

هذه هي اهدافنا، وهذا هو التحدي الكبير الذي يواجهنا. فهل نستطيع قلب الصفحات المظلمة القليلة في تاريخنا، والتركيز بدلاً من ذلك على الحياة الواحدة التي صنعناها معًا في الجبل، جيلاً بعد جيل، وبالتالي ادخال الفرح والامان الى نفوس ابنائنا واحفادنا؟

لا شيء مستحيل تحت الشمس، ويبقى ان نبدأ، لان الله مع القاصدين.

ثانيًا– تنمية

6. التعاون المخلص والبناء في سبيل الحفاظ على خصوصية الجبل وابنائه، والعمل على انهاضه وتقدمه وازدهاره.

ثالثًا– ذاكرة للمستقبل

7. اخذ الدروس والعبر من سلبيات الماضي لتوظيفها ايجابيًا في المستقبل.

8. التأكيد على وحدة المصير بين ابناء الجبل، خاصة في ظل الظروف التي يمر بها البلد حاليًا.

9. توعية المواطنين من ابناء الجبل وخاصة الاجيال الصاعدة، لنبذ الاحقاد ونسيان الماضي في محطاته البغيضة، والتركيز على الصفحات المشرقة من التعاون والتألف والعيش المشترك.

10. الايمان بالوطن النهائي والمستقل، والتمسك بمؤسساته الدستورية كمرجعية دون سواها.

11. عدم التفكير بالاعتداء على اي شريحة او منطقة لبنانية، تحت اي ظرف او عذر.

12. التصدي كرجل واحد لأية محاولة تهدف الى تعكير امن الجبل.

التراث المشترك في الجبل:
مبادرات وذاكرة للمستقبل

يستخلص من ورشة العمل الثالثة للقاء ابناء الجبل، التي عقدت بالتعاون مع مطرانية صيدا للموارنة في دار المير في مطرانية بيت الدين للموارنة في 2015/9/3، حول موضوع: "تراثنا المشترك في الجبل: تواصل وتنمية وذاكرة للمستقبل ودور الشباب" مجموعة مبادرات واقتراحات تطبيقية في سبيل احياء التراث المشترك في الجبل وبناء ذاكرة جماعية للمستقبل.

قدّم المحاضرين عضو اللقاء الاستاذ جهاد الاطرش. وافتتح الورشة المطران الياس نصار. جاء في كلمته: "الهدف تثبيت الشراكة وتطويرها في ظروف معقدة وحساسة بفضل المساعي الخيرة ورسم خطة مستقبلية واعلاء الشأن العام وتثمير هذا اللقاء. يزدهر التنوع الثقافي، ركيزة التنمية المستدامة، في رحاب الديمقراطية. يندرج لقائنا اليوم في عمق العمل الثقافي".

عرض اعضاء اللقاء اللواء شوقي المصري والاستاذ جورج يزبك والعميد بهيج ابو شقرا والمحامي مارون نصار منطلقات نشوء لقاء ابناء الجبل ودور الشباب مُشددين على "ضرورة التوعية والاتعاظ من الماضي"، وعلى اصالة النسيج الاجتماعي في الجبل "حيث لم تجمعنا الصدفة"، وعلى اهمية الانتقال من "ذاكرة الحرب الى ثقافة السلام"، مع التركيز على

"الصفحات المشرقة من تاريخنا والعمل على بناء المناعة تجاه فتن داخلية مُفتعلة حيث مصلحة وجودية حياتية لجميع مكونات الجبل". وتحدث الاستاذ جورج سعاده عن المصارحة: "وعدم كبت مشاعرنا فيكون قلبنا على لساننا". وقال ان من اهداف اللقاء "ردم الهوة بين القمة والمجتمع".

تركزت اعمال الورشة على الاستماع الى شهادات حية وخبرات في الحياة المشتركة مع اقتراح مبادرات تطبيقية للمتابعة في ورشات عمل لاحقة خلال 2015-2016.

***

جاء في شهادات وخبرات المشاركين وابرزهم من الشباب والشابات:

لورا ابو حلا: "تاريخنا كُتب في جبل لبنان. أشعر بثراء نفسي في منطقة الشوف. هل نغيّر التاريخ وننسى الماضي ولكن نتذكر في وطن يحمل رسالة".

حنا ابو حبيب: "التمليذ الغبي هو الذي يعيد صفه! الحاجة الى اعادة الجبل الى لحمته واصالته".

سلمى صفير: "بدأت اثارة الفتنة في الجبل بعد الاجتياح الاسرائيلي. لا مشكلة اساسًا بين مكونات الجبل كما يظهر من الوثائق التاريخية".

زينة عبد الصمد: "لن نكون وقودًا في حروب حيث يستحيل تحقيق اي انتصار وحيث الكل خاسرون".

ناريمان باز: "نظمنا مخيمًا لستين شابًا وشابة من مختلف الطوائف ليتعرفوا على بعضهم. الحاجة الى فكر متجدد لبناء المستقبل والتطبيق. ما نقوم به من ترفيه متلازم مع توجه ثقافي وتربوي".

شكري حداد: "يصر والدي دائمًا على قضاء فصل الصيف في عين زلحتا. بدأت اتأثر بتصرفه. المشكلة في الجبل هي من الماضي. المعضلة الكبرى تنموية".

منير نجار: "كانت الايدي الغريبة خلال سنوات الحروب تُحرض على الفتنة. كنا مقاومين للفتنة ولا نريد ان يتكرر التلاعب بالغرائز والمكبوتات".

اميل مغبغب: "ندرك اليوم انتماءنا الى عين زحلتا".

جورج ناهض: "لن نسمح للضيوف بإثارة الفتنة بيننا. ما ينقصنا غالبًا آليات التطبيق".

مروان زبيان: "بعض الناس عادوا يشترون اراضي في بلداتنا. المعضلة ان الشباب لا يجدون رفاقًا لهم في بلدتهم".

بول يزبك: "عشت في دير القمر. ما يجمعنا اقوى مما اعيشه في بيروت. اشعر انني في الزلقا من الضيوف. انا من دير القمر".

جوزف القزي: "اصبح المسيحيون قلائل في بعض مناطق الجبل. انا الماروني تم اختياري لامثل الطائفة الدرزية في هيئة رسمية تربوية! استغرب البعض ذلك! تطورت الحضارات عندما كان الشعب في حالة وفاق. نحن ام الصبي. اذا بقينا متضامنين لن تؤثر فينا مساع الفتن. الشغل متوجب علينا. ارجو من الشباب ان يتعلموا من تجربتنا ويستعملوا عقولهم. ولنعود الى خدمة العلم".

ميشال ناصيف: "عشت احداث 1958 وطبعًا الحروب الاخيرة. كان هاجسنا في الجيش تنمية المواطنية وارساء خدمة العلم".

داليا حرب: "اني اشتاق الى صوت أجراس الكنائس واتمنى ان تفتح كل الكنائس عندنا. تربيت في دير القمر.

نجاد سعد الدين: "علينا العمل لحماية اجيالنا ونبذ التفرقة".

بهاء الصغير: "كنا وقود الساحات ولن نختبئ وراء اصبعنا! دفعنا فاتورة ضخمة للحروب في لبنان. لا حياة في منطقة تقتصر في طائفة واحدة".

منح ابو شقرا: "ليس التاريخ مجرد الماضي. لنعمل ايضًا على صنع التاريخ".

ليليان هاني: "في بلدتنا 10 عائلات مسيحية و13 عائلة درزية وبدون تفريق. نتفاعل معًا ولا نسأل. نذهب معًا الى اماكن مقدسة".

وليد بستاني: "تحتاج قراءة الاحداث التاريخية الى بُعد زمني. اليوم في 2015، لنسأل من ربح ومن خسر. كلنا خسرنا".

بشير يزبك: "الحقل الرياضي هو مجال للاندماج. اقترح تنظيم مراتون الشوف".

***

اختتم المطران الياس نصار اللقاء وقال: "نحن المطارنة معنيون بقضايا الجبل ولبنان من خلال فكر وطني جامع، مع نقل هذا الفكر الى المجتمع. لنبني ايجابًا للمستقبل.

لا اشاهد عرسًا درزيًا بدون مشاركة مسيحيين. لنوسع هامش المعرفة والصداقة. المركز حيث نحن يمكن ان يجمع اكثر من مئة شاب في مخيمات تهدف الى تنقية الاذهان ونبذ الذهنية الاقلوية وتجنب إلباسنا ثوبًا ليس لنا. المسؤولية كبيرة".

وتحدث عضو اللقاء الدكتور فؤاد سيور عن "وضع خطط مرحلية في البلدات وتكليف منسقين والحؤول دون استيراد الازمات وتقوية المناعة اللبنانية". وتحدث الدكتور خليل خيرالله عن "وضع المجتمعات حولنا والاتجاه العملي للالتقاء" وعن عقد لقاء شبابي في 25 ايلول 2015.

وجاء في كلمة الدكتور انطوان مسرّه: "ورد في النشيد الوطني: قولنا والعمل. نقول غالبًا ان التاريخ يعيد نفسه. كلا! التاريخ يعيد نفسه لدى الشعوب المتخلفة التي دائمًا تتعلم في التاريخ وليس من التاريخ. ونحن في هذا المجال متخلفون اذا استمرينا في آلية التكرار في حروب من اجل الآخرين. انه عنوان كتاب غسان تويني وليس حروب الآخرين، بل حروبنا ايضًا المفخخة والمجيّرة والمستوردة. الوطن اللبناني ليس مُجرد مساحة جغرافية، بل علاقات في ما بيننا. يتطلب ذلك جهدًا ثقافيًا وتربويًا واجتماعيًا في سبيل صيانة تعددية النسيج اللبناني من خلال مبادرات تطبيقية نموذجية تثير الثقة والتماثل والاقتداء فنعدل عن الاستقواء والذهنية الانتصارية وعقدة الباب العالي ونبني مناعة للمستقبل".

***

يُستخلص من ورشة العمل المبادرات التالية للمتابعة:

1. ميثاق: وضع ميثاق على نمط ميثاق جبيل في 1975/9/21.

2. نصب تذكاري: وضع نصب تذكاري لكل شهداء حروب 1975–1990 الذين هم من كل الانتماءات ولاانتماءات وهم شهداء لبنان الساحة وليس لبنان "الوطن النهائي لجميع ابنائه".

3. متحف بلدي: مباشرة انشاء متحف بلدي حول تاريخ اللبنانيين في البلدة.

4. ذاكرة جماعية مشتركة: العمل على قراءة اخرى لتاريخ اللبنانيين في المؤسسات التعليمية وفي التربية العائلية (سلمى صفير).

5. مخيمات: تنظيم مخيمات شبابية مشتركة (حنا ابو صعب).

6. مراتون: تنظيم مراتون الشوف (بشير يزبك).

7. خدمة العلم: اعادة العمل بخدمة العلم في اطار برامج هادفة.

وثيقة تضامن تاريخي لأبناء عبيه والجوار بعيدًا من أي تفرقة طائفية أو سياسية

"نحن الموقعين أدناه، المجتمعين في عبيه الأحد الثاني من تموز 2017، بدعوة من لقاء أبناء الجبل، وبالتعاون مع جمعيات أهلية وشبابية وتنظيمات وفاعليات اجتماعية وتربوية وبلدية، في يوم الحج المشترك إلى عبيه، عبر زيارة مشتركة إلى مزار سيّدة فاطيما في كنيسة سيدة الانتقال لدير الآباء الكبوشيين، وإلى مقام الأمير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي، نُعاهد الله ونقسم بشرفنا أن نبذل كلَّ الجهود المُخلصة والخيّرة لمتابعة مصالحة الجبل وترسيخ مبادئها كنموذجٍ راقٍ للأخوَّة والمحبة، وللمحافظة على التضامن التاريخي لأبناء عبيه والجوار وعلى وحدة الشعب والوطن، بعيدًا من أيّ تفرقة طائفية وأيِّ انقسام سياسي، مهما كانت الأسباب والدّوافع ومهما كانت الأوضاع والظروف، وأن نعمل بإرادة صلبة وتصميم وثبات واستمرار، متعاونين ومتكاتفين من أجل استقرار منطقة الجبل أساساً لاستقرار لبنان وضمان كرامة شعبه وحرّيته وثبات أمنه وازدهاره ."

بهذه الوثيقة تعاهد أبناء عبيه والجوار على التضامن في السراء والضراء، بعيداً من رياح التفرقة الطائفية والسياسية.

هذه" العامية" التأمت بدعوة من "لقاء أبناء الجبل" بالتعاون مع جمعيات أهلية وشبابية، تحت شعار "سوا ما منترك جبلنا..."، بمشاركة جمع من أبناء الجبل مسيحيين وموحدين، في دار مقام السيد الأمير جمال الدين عبدالله التنوخي في عبيه .

افتتح اللقاء بالنشيد الوطني، ثم تعاقب على الكلمة عضوا اللقاء الشيخ منير حمزة وميسرة سكر والأب شارل سلهب، والقى رئيس اللجنة الثقافية في المجلس المذهبي لطائفة الموحدين الشيخ سامي أبي المنى قصيدة. وبعد تلاوة الوثيقة، وقعها الحضور.

النهار، 2017/7/3

كيف نعيش تاريخنا المشترك في عبيه
رسالة موجهة الى كل أهالي عبيه
رجالها ونساؤها وشيوخها وشبابها واطفالها وكل مواطنيها ومحبيّها

ونحصّنه

ونثابر عليه

ونحميه في المستقبل من العابثين من الداخل والخارج

ونبني ذاكرتنا الحية المشتركة

فلا يكون تاريخ لبنان **واللبنانيين** مجرد درس نتلقنه في مدرسة ونفرغه في امتحان

بل يكون **تاريخ أهالي عبيه**

تراثًا حيًا

وسلوكًا

ومتابعة

وحماية لإرث ثقافي لأبناء أهالي عبيه طيلة قرون **وللمستقبل.**

***

لهذا الهدف وضع

لقاء أبناء الجبل

ولجنة احياء تراث عبيه

مشروعًا للمباشرة بإنشاء متحف بلدي: **تاريخ أهالي عبيه**

***

نرجو من كل أهالي وعائلات عبيه تزويدنا بما يتوفر لديهم من **وثائق قديمة** ونعني بذلك:

صور عائلية: مناسبات، اعراس، مآتم...

صكوك ملكية

عقود بيع وشراء

شجرات عائلة

قصاصات صحفية حول مناسبات قديمة متعلقة ببلدة عبيه

كتابات ومخطوطات منشورة او غير منشورة

نقود قديمة

أرشيف المؤسسات الدينية والبلدية والمخاتير

طبعًا شرط ان لا يكون لأي وثيقة أي مسّ بالقواعد الأخلاقية حول السرية والاحترام والكرامة

ومع تجنب القضايا الحديثة بعد سنة 1990

لان الهدف ليس تمجيد شخصيات ووجهاء ما زالوا على قيد الحياة ونتمنى لهم العمر الطويل،

بل التركيز على **حياة الناس في عبيه**

وانماط عيشهم

وتفاعلهم

ومعاناتهم خلال الحروب والأزمات والصعوبات

وتضامنهم خلال مراحل الحروب والأزمات

وانجازاتهم المشتركة...

***

لا نريد امتلاك هذه الوثائق او نزعها عن أصحابها،

بل نرجو ارسال **صور واضحة عنها**

مع ذكر المصدر والمناسبة

وسوف يُذكر ذلك في المتحف البلدي وفي عرض الوثيقة المرسلة.

انها مناسبة **لكل أهالي** عبيه في التفتيش في منازلهم وخبايا جواريرهم ما يكتنزونه من

تراث قديم

هو تراث مهدد بالتلف

إذا لم نقم الآن بجمعه وعرضه للأجيال القادمة كنموذج

لحياة مشتركة

ومعاناة مشتركة

وانجازات مشتركة تستحق الالتزام والمتابعة والاستمرارية.

***

على سبيل المثال وجد سنة 1974 في أحد منازل حمانا صورة للجنرال ديغول في زيارة لحمانا في حزيران 1941 وفي استقباله النسوة بالسيوف والصبايا بالورود... نُشرت في كتاب: نبيه سعد وانطوان مسرّه، **دليل حمانا**، النادي السياحي، 1974، 170 ص، ص 165.

نعرف انه صدر سابقًا كتاب: لجنة احياء تراث عبيه برعاية وزارة الثقافة والتعليم العالي وبالتعاون مع بلدية عبيه، عين درافيل، **عبيه في التاريخ**، وقائع مؤتمر 20-1999/11/21، 2000، 556 ص. سوف نستخرج من الكتاب حوالي **عشر ملصقات** معبّره عن تراث عبيه **والحياة المشتركة في عبيه ستكون** جزءًا من متحف عبيه البلدي.

نعرف ان كثيرًا من الأمور دمرّت في بعض مراحل السنوات 1975–1990 لكننا نسعى الى **حماية ما تبقى** في سبيل ذاكرة عبيه المشتركة وللمستقبل.

اقفلنا الساحة: نحن في وطن

نحن مجتمعون اليوم في عبيه،
لقاء أبناء الجبل
وجمعيات أهلية وشبابية وفاعليات اجتماعية واقتصادية وبلدية
دعمًا **لمصالحة الجبل**
التي أرستها قيادات عليا ريادية دينية وسياسية،
البطريرك مار نصرالله بطرس صفير
والبطريرك بشاره الراعي
ووليد بك جنبلاط
وتيمور جنبلاط
بحضور قيادات وفعاليات عديدة من الجبل
نحن معًا اليوم للمساعدة في متابعة المسيرة وثباتها وترسيخها للأجيال المقبلة
في قلب المجتمع
ثقافيًا وتربويًا وذاكرة للمستقبل

لماذا؟

كي لا تتكرر معاناة ومآسي الماضي لان التاريخ لا يعيد نفسه الا لدى الشعوب المتخلفة والتي لا تتعلم ولا تتعظ **من** التاريخ، بل دائمًا **في** التاريخ

***

نحن معًا اليوم في عبيه لأننا

بعد معاناتنا وانجازاتنا المشتركة طيلة قرون

وقد بلغنا سن الرشد الوطني في "الوطن النهائي لجميع أبنائه".

اقفلنا الساحة ونحن اليوم في الوطن.

لا أحلام عبثية بعد اليوم في الاستقواء والانتصارات المستحيلة والمفخّخة ولصالح الغير

ولا مكبوتات في نفوسنا من الماضي

تُستغل لإثارة المخاوف وتغذية الفتنة

في زمن حيث تجار الهيكل يقتحمون كل الهياكل.

***

كل شهداء لبنان شهداؤنا

ماتوا لنحيا وليبقى لبنان.

كانوا ضحية حروب بالوكالة تحصد الجميع.

نحن معًا اليوم للمساعدة في متابعة مسيرة قيادية عريقة واصيلة وواعدة في **مصالحة الجبل**

لأننا بلغنا سن الرشد ميثاقيًا.

انتقلنا من الساحة اللبنانية الى الوطن

في لبنان الرسالة والدور والعروبة الحضارية

ولبنان الريادة في الوحدة والتنوع.

يحتاج ذلك الى تحصين ومناعة وصدمة نفسية خَلاصية تُنقل من جيل الى جيل

في ثقافتنا وتربيتنا وسلوكنا اليومي وذاكرتنا المشتركة للمستقبل

وفي سبيل قيم لبنان التأسيسية الثابتة والمستمرة والمنيعة تجاه كل خبراء الفتن خارجيًا وداخليًا.

***

مهما كانت الأوضاع والظروف والمبررات،
وثيقتنا التاريخية في بلدة **عبيه** سنعمّمها على أولادنا واحفادنا
ونرفعها في كل المناسبات
ونشهد على الوفاء والأمانة لتواقيعنا
ونُعمم خبرتها على بلدات الجبل وكل لبنان.

جمعية "تصالح" Gladic
احياء قيم لبنان التأسيسية

أنطوان نصري مسرّه

عندما يغوص التلامذة في كتابة تاريخ اللبنانيين

هل اللبنانيون مُحصنون وملقّحون تجاه التلاعب بالمصير وتجاه العواصف الداخلية والخارجية والخبراء في الحروب الداخلية وبالوكالة؟ يقتضي لاكتساب القناعة حول ذلك الانكباب على نتائج مباراة السنة الرابعة 2017 لبرنامج "تصالح" (تجمع الصداقة اللبناني للحوار المسيحي الإسلامي).

موضوع المباراة: "وجوه وقيم تأسيسية في تاريخ اللبنانيين: 1920–1943". لتبرير خيار الموضوع يتوجب التذكير بأن انطلاقة الحروب المتعددة الجنسيات في لبنان (1975–1990) تلازمت مع تهديم نصب تذكارية تشكل رموزًا في ذاكرة اللبنانيين.

شارك في المباراة ثلاثون مدرسة رسمية وخاصة من كل المناطق. افتتح اللقاء رئيس جامعة القديس يوسف ورئيس "تصالح" الأب سليم دكاش بقوله: "انه ليوم منتظر كبزوغ الشمس بعد الظلمة في حالة دائمة من الحب والتشارك. ليوقذ كل واحد شمسه الداخلية. أنتم شمس لبنان ومستقبله. رسالتكم اليوم تضامنكم. القيم التي استخلصتم هي ذاتيتنا ودوركم تعميمها فتتحولون الى سفراء جمعية تصالح".

ثم أظهرت على صقر، وهي من طلاب الماستر في العلاقات الإسلامية المسيحية في جامعة القديس يوسف الذين تابعوا المباراة مع المدارس، ان عدد المدارس المشاركة يتزايد منذ أربع سنوات مع امتداد جغرافي "ما يحتم مزيدًا من الالتزام وفي حالة قصوى من الضرورة". وبعد تقديم لمنسقة الماستر في العلاقات الإسلامية المسيحية في الجامعة رولا تلحوق، تولت إدارة التجمع بينالا الحاج باسم الفريق الذي تابع المباراة مع المدارس المشاركة. قال أحد التلامذة: "نشكر البرنامج الذي سمح لنا بإسماع صوتنا والتعبير عن شهادتنا عن لبنان الذي نريد أن نعيشه" (*المقاصد، مدرسة خديجة الكبرى*).

ما الذي يستخلص من أعمال التلامذة التي عرضوها خلال يوم كامل في مدرج أبو خاطر في جامعة القديس يوسف في 2017/4/1؟

1. ردم مخيّلة جماعية مغلقة: أية مخيلة؟ انه الادراك الذي يُعممه "تاريخ مؤرخين" ، وليس تاريخ الناس المعاش حسب تعبير الدكتور أنطوان سيف، حول التناقض بين مواقف مسيحيين ومسلمين خلال اعلان لبنان الكبير سنة 1920 والميثاق الوطني سنة 1943. يظهر جليًا من أعمال الطلاب الطابع الوطني الجامع للميثاق الوطني وصفته "كتعهد" وليس مجرد تعاقد (*المدرسة الرسمية بيت شباب*). اكتشف الطلاب اميل اده (*مدرس علي بن أبي طالب*)، ومؤتمر وادي الحجير في جنوب لبنان (*مدرسة الكوثر*) وسعيد فخر الدين (*مدرسة زحلة الرسمية*) وعدنان الحكيم رئيس حزب النجادة (*المقاصد*) والمناضل علي يحفوفي من مواليد 1903 (*ثانوية البشير*). واستعاد الطلاب يوميات 22 تشرين الثاني 1943 (*المبرات، مدرسة عيسى بن مريم*). تزعزعت بذلك برمجة مغلقة (*ثانوية زغرتا الرسمية*) وتمّ عرض مسرحي قصير من انتاج الطلاب حول بشاره الخوري مع هذا التقديم: "الى أصغر مواطن في لبنان" (*ثانوية شكيب أرسلان*).

2. الاكتشاف الذاتي: يقول أحد الطلاب: "احببنا هذا العمل لأنه سمح لنا بالالتزام وتحميلنا المسؤولية". أنشد الطلاب أغنية زجلية من ابداعهم مع هذه اللازمة: "لا شيء يفرقنا (*ثانوية فتاة لبنان*). وقال طالب آخر: "الاستقلال كان يحيّرنا". وألقى زملاؤه أنشودة من انتاجهم جاء فيها: "ارتكبنا الخطأ ذاته واذا جمعنا الكل يكون لبنان" (*ثانوية دير الأحمر الرسمية*). وعرض مشهد مسرحي قصير بوقار وبدون تمجيد أو شوفينية، حول الاستقلال مع هذه الخاتمة: "مناضلون وبدون مصالح دنيئة" (*مدرسة أديب سليمان في بدنايل*). وتقمّس

طلاب آخرون شخصيات من الاستقلال: عبد الحميد كرامي، عادل عسيران...، ما يظهر مدى استيعابهم لما اكتشفوه بأنفسهم (*مؤسسات الامام الصدر*). ما يثير الاعجاب مدى استيعابهم لفكر وعمل الرئيس فؤاد شهاب من خلال عمل مسرحي من انتاجهم مع هذه الخاتمة: "من لا تراث له لا مستقبل" (*ثانوية مار ضومط للراهبات الانطونيات*).

لم يقتصر كل هذا العمل على التوثيق بل شمل مقابلات مع أسعد شفتري (*المقاصد، مدرسة خديجة الكبرى*). واطلع الطلاب على وثائق أولية لدى عائلة محمد الفضل أحد الموقعين على العلم اللبناني (*جمعية المبرات، ثانوية الرحمة*). وقابلوا السيدة ليلى الصلح في سبيل انتاج وثائقي بعنوان: "لبنان وطن الحريات والمساواة" (*المقاصد، مدرسة عمر بن الخطاب*). وأبدع طلاب آخرون أنشودة من انتاجهم: "لبناني ولبنانية. لبنان المميز بشعبه: أنهض وأصرخ" (*ثانوية زغرتا الرسمية*)، مما حمل الدكتور أحمد حطيط، أحد الأعضاء المؤسسين لتصالح، على القول: "كتبوا هم نصّهم الذين يُعبر عن شخصيتهم بالذات".

3. تاريخ اللبنانيين: اعمال الطلاب مؤثرة حين يقولون: دموع التوبة"، "كفى"، "من انتصر وعلى من؟" (*ثانوية دير القمر الرسمية*). كان الهدف "استعادة شتات الوطن الذي مزقته العدائية" (*مؤسسات الامام الصدر، مدرسة التمريض*) وضمان عودة المهجرين الى الجبل وتحقيق المصالحة من خلال وثائقي قصير وعرض مسرحي مع القسم: "نعيش متضامنين" (*ثانوية مار ضومط للراهبات الانطونيات*).

***

غاص الطلاب في عمق القيم التأسيسية وثوابت لبنان بقولهم: "لبنان هو لبنان" (*ثانوية جميل الرّيس*).

اختتم الاحتفال في الساحة الكبرى لحرم العلوم الإنسانية حيث رسم الطلاب بأجسادهم: "كلنا للوطن".